سلسلة النبي والعترة

# سيد العابدين

## الإمام علي بن الحسين عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

# سيّد العابِدين

## الإمام عليُّ بن الحُسين عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

# سيّد العابِدين

## الإمام عليُّ بن الحُسين عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدِّمة

أقدم للإخوة المؤمنين والأخوات المؤمنات هذا الكتاب الذي يعنى بشيء من سيرة الإمام علي بن الحسين سيد العابدين، كأحد حلقات سيرة المعصومين عليهم السلام، وقد سبق أن ذكرت في مقدمة كتاب آخر من هذه السلسلة أن من الصعب إن لم يكن من المتعذر أن نحيط بسيرة هؤلاء المعصومين في هذا المقدار من الصفحات.

ولكن على طريقة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1] نقدم هذا الكتاب، ونعلم أن ما فاتنا من حياة هذا الإمام العظيم وسيرته هو أكثر مما أدركناه، معترفين في ذلك بالقصور والتقصير، راجين مع ذلك من الله سبحانه الثواب والأجر، ومن الإمام سيد العابدين القرب والشفاعة.

**فوزي بن المرحوم**
**محمد تقي آل سيف**
**تاروت القطيف في يوم**
**1444 / 5/17**

(1) التغابن: 16.

# تعريف في سطور

**الاسم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.**

**كنيته: أبو الحسن، وأبو محمد.**

**ألقابه: السجّاد، وزين العابدين، وسيد العابدين، وذو الثفنات.**

**تعريفه: الإمام الرابع من أئمة المسلمين.**

**ولادته: في الكوفة سنة 38 هـ.**

**والدته: شهربانو بنت يزدجرد من الأسرة المالكة في فارس.**

**شهادته: سنة 95 مسمومًا بواسطة والي الوليد بن عبد الملك.**

**مدفنه: البقيع في المدينة المنورة.**

**عمره: 57 سنة.**

# الإمام السجَّاد
# من الميلاد إلى الاستشهاد

**1/ ولادة الإمام ووالدته:**

يفترض أن ترتبط ولادة الإمام علي بن الحسين السجّاد بقضية والدته ومتى وصلت المدينة المنورة وتزوجها الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. ذلك أنه ليس من المعقول مثلاً ما يقوله البعض من أن والدته المكرمة شهربانو قد جلبت إلى المدينة المنورة أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (اغتيل سنة 23 هـ) وفي نفس الوقت يلتزم بأن ولادتها به في سنة 35 هجرية أو حتى 37 هـ.

ولا نقول إن ذلك مستحيل ولكنه خلاف طبع الأمور، ما لم يكن هناك مانع، وبناء عليه فإنها لو تزوجها الإمام في سنة معينة فإن من الطبيعي أن تنجب له بعد سنة أو سنتين لا أن تتأخر نحو عشر سنوات عن الإنجاب.

ولذلك سنستبق التحليل التاريخي لكي نقول إن الاحتمال

الأكبر في ولادته عليه السلام كان في سنة 38 هجرية، وهو الذي عليه أكثر المؤرخين وأرباب السير.[1]

وفيما يرتبط بوالدته المكرمة، فإن الاتفاق قائم على أنها ليست عربية وإنما أعجمية، وعلى أنها أخذت من السبي، وعلى أنها تنتمي إلى الأسرة المالكة في فارس، وأنها ماتت في نفاسها به.. هذه الأمور الأربعة تكاد تكون موضع اتفاق بين المؤرخين.

ويبقى نقاط خلاف مثل اسمها، والخلاف هنا ليس مهمًّا. ونقطة خلاف أخرى مهمة وهي تاريخ استجلاب والدته وفي أي زمان كان؟

وفي هذا الموضوع هناك ثلاث روايات تاريخية:

(1) فقد ذكر ذلك الشيخ الكليني في الكافي، وقال ولد علي بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين، ومثله ذكر محمد بن جرير الطبري (الإمامي) في دلائل الإمامة، والشيخ المفيد في الإرشاد، وشيخ الطائفة الطوسي في والفتال النيسابوري والطبرسي والإربلي وابن شهرآشوب والمجلسي. وقد نقل أقوالهم وغيرهم مع مصادرها، العطاردي في كتابه مسند الإمام السجّاد عليه السلام 1/ 5. كما ذكرها الذهبي من علماء مدرسة الخلفاء في كتابه حياة التابعين.
هذا بينما ذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق (41/ 361): أنه «في سنة ثلاث وثلاثين ولد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب». وهو غير صحيح في اعتقادنا، وأعجب من هذا ما جاء في «تهذيب التهذيب» (7/ 307): لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) من قوله ناقلًا عن بعضهم: «ولد علي بن الحسين سنة ثلاث وثلاثين وقال ابن عيينة عن الزهري كان علي بن الحسين مع أبيه يوم قتل وهو ابن 23 سنة».. فكيف يجتمع هذان؟ إذا كان ولد سنة 33 هـ فمقتضى ذلك أنه في يوم شهادة الحسين سنة 61 هـ أن يكون ابن 28 سنة!

**الأولى**: أن ذلك تمَّ في أيام الخليفة الثاني حينما انهزمت جيوش الفرس أمام المسلمين وحصلت سيطرة المسلمين على بلاد فارس، وجيء بالغنائم إلى المدينة المنورة ومن بينها كانت النساء الأسيرات، وفيهن شهربانو (والدة الإمام فيما بعد)، وتضيف هذه الرواية بأن الخليفة أراد أن يقسمها كغيرها، فأشار عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام بأن يخيرها لتختار لها زوجًا ويحسبها عليه الفيء! فقبل ذلك واختارت هي الإمام الحسين عليه السلام.

**الثانية**: أن ذلك تمَّ في زمان الخليفة الثالث عثمان وأنه أتي له بسبي كان فيه شهربانو تلك، فنحلها الحسين عليه السلام. وربما يستفاد هذا المعنى أيضًا من بعض الروايات الواردة من طريق الإمامية.[1]

**الثالثة**: أن ذلك تمَّ في خلافة أمير المؤمنين الظاهرية، يعني بعد سنة 35هـ. وأنه عليه السلام أرسل حريث بن جابر واليًا على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد فنحل إحداهما ولده الإمام الحسين وهي التي ولدت له الإمام زين العابدين، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم.

(1) ابن بابويه؛ محمد بن علي الصدوق: عيون أخبار الرضا 2/ 136: عن الإمام الرضا عليه السلام: إن عبدالله عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجر بن شهريار ملك الأعاجم فبعث بهما إلى عثمان بن عفان فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلي بن الحسين عليهما السلام فكفل عليًا عليه السلام بعض أمهات ولد أبيه فنشأ وهو لا يعرف أما غيرها..

وملاحظتنا على الأولى أنها لا تنتهي في نتائجها مع المسلمات التاريخية، في عمر الإمام السجّاد عليه السلام، فإن التاريخ يتحدث عن أن آخر الحملات العسكرية في زمن الخليفة الثاني كانت سنة 23 هـ، فلو فرضنا أنه قد سبيت النساء في آخر الحملات وأنه تزوجها الإمام الحسين في نفس هذه السنة أو التي بعدها، فسيكون عمر الإمام السجّاد في كربلاء حين المعركة، ثماني وثلاثين سنة (38) وأن عمره الشريف حين استشهد جده أمير المؤمنين نحو سبع عشرة سنة (17) وهذا خلاف إجماع المؤرخين.

والملاحظة الثانية عليها: ـ بالرغم من ورودها في بعض مصادر الإمامية ـ: أنها ربما جاءت في سياق صنع المشروعية للخلافة، وبيان الانسجام بين الخلفاء وبين أمير المؤمنين وأهل البيت وهي الغاية التي تستهدفها باستمرار مدرسة الخلفاء، وتحاول الاستفادة مما يمكن في هذا الأمر. فهي توظف تشابه الأسماء وهي ظاهرة عادية، لإثبات أمر عقائدي وهو مشروعية الخلافة الرسمية، واتحاد الطريق بين أهل البيت والخلفاء، وتوظف الزيجات الحقيقية والوهمية بين البيتين بني هاشم وغيرهم لإثبات ذات المطلب، وهكذا. فهم إذا أثبتوا هنا: أن

شهربانو هي ممن سبي في أيام خلافة عمر بن الخطاب وقد نفلها للحسين وقبل ذلك الإمام علي عليه السلام، فهذا يعني في رأيهم الاعتراف بشرعية الخلافة والخليفة.

فتبقى الروايتان الثانية والثالثة، حيث تشير الثانية إلى أن ذلك كان في زمان الخليفة عثمان وهي التي اختارها الشيخ اليوسفي الغروي[1] في بحثٍ له.

ونرى ـ كما ذهب إلى ذلك السيد المقرم والشيخ القرشي حيث رأى أنها أشهر من غيرها ـ أن الأقرب إلى الواقع هو الرواية الثالثة، وحاصلها «أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما ولي الخلافة أرسل حريث بن جابر واليًا على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد بن شهريار فنحل شاه زنان إلى ولده الإمام الحسين عليه السلام فولدت له الإمام زين العابدين، ونحل الأخرى إلى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم، الفقيه المشهور».[2]

(1) الغروي؛ الشيخ محمد هادي: ما دلّت عليه رواية الشيخ الصدوق عن الرضا عليه السلام، هو مختاري الراجح من بين مختلف الأخبار في الموضوع بمرجّحات عديدة../ راجع بحثه المقدم إلى المؤتمر العالمي للإمام السجّاد عليه السلام بعنوان عصر الإمام السجّاد، سياسيًا وإجتماعيًا / منشور على موقع مكتبة الفقاهة https://lib.eshia.ir/12390/1/10 ورتب عليه أن ولادته عليه السلام كانت في سنة 36 هـ.

(2) العكبري؛ محمد بن النعمان المفيد: الإرشاد 2/ 137، ونقلها الشيخ باقر شريف القرشي في حياة الإمام زين العابدين 1/ 23.

ويكاد يكون الاتفاق قائمًا على أن والدة الإمام ﷺ قد توفيت أثناء نفاسها به، ويشير إلى ذلك بعض الروايات الواردة عن طريق أهل البيت بالإضافة إلى تنصيص المؤرخين، ومن ذلك ما ورد عن الإمام السجّاد، ولذلك نعتقد أن ما يقوله بعضهم من أنها كانت في كربلاء وأنها امتطت جوادًا عبر بها ماء الفرات، ليس صحيحًا، وهو كنسبة المقام الموجود في منطقة ورامين القريبة من طهران، لها حيث لا يوجد ما يدل عليه. ويشبه هذا في عدم الصحة ما نقلته بعض مصادر مدرسة الخلفاء من أنه خلف على أم الإمام السجّاد فلان أو تزوجها علّان، فهذا كله لا أصل له.

**2/ مع جده أمير المؤمنين وعمه الحسن ﷺ:**

بناء على ما ذكرنا من تاريخ ولادته عليه فإنه قد أدرك من حياة أمير المؤمنين ﷺ سنتين، ومن حياة عمه الحسن المجتبى اثنتي عشرة سنة ومع أبيه الحسين ﷺ نحو اثنتين وعشرين سنة، ولا نجد روايات أو حوادث تؤرخ فترة بقائه مع عمه الحسن المجتبى فضلًا عن جده أمير المؤمنين ﷺ، بالرغم من أنه سيتزوج ابنة عمه الحسن السبط في وقت لاحق أي في سنة 56 هـ. وعمره الشريف حينها ثمانية عشر عامًا.

وبهذا الزواج سيجتمع الفرعان النبويان والغصنان العلويان ليكون امتداد الإمامة حائزًا على خلاصة الصفات الوراثية من السبطين الحسنين عليهما السلام، فيكون الأئمة من بعد السجّاد عليه السلام جدهم الحسين من جهة الأب والحسن من جهة الأم. عندما تزوج الإمام السجّاد بفاطمة بنت الحسن. وسيأتي ذكر هذا عند بحث الحياة الأسرية له عليه السلام.

وقد لا يسجل التاريخ لنا حوادث كثيرة من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام أيام أبيه الحسين عليه السلام قبل كربلاء، وربما يرجع ذلك إلى ما عرف في العقيدة الشيعية بالإمام الصامت[1]، وتعني أن الإمام التالي لا يمارس في حياة الإمام الحاضر من أدوار الإمامة إلا بمقدار ما يدعم إمامة الحاضر، ويكون ظلا له، بالرغم من أنه مؤهل وقابل لأن يمارس الأدوار المختلفة في العلم والإرشاد وقيادة الأتباع. وذلك لأن غيره هو الإمام الناطق. فقد يجتمع إمامان في زمان واحد بل ثلاثة، كما كان في حال أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسنين، إلا أنهما في حياة أبيهما لا يمارسان أدوار الإمامة الفعلية مع قدرتهما عليها، وإنما يكونان ظلًّا لأبيهما

(1) ابن بابويه؛ محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص 416: قلت (للصادق): فهل يكون إمامان في وقت؟ واحد؟ قال: لا إلّا أن يكون أحدهما صامتًا مأمومًا لصاحبه، والآخر ناطقًا إمامًا لصاحبه، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا.

ومعينين له، وإذا أثر عنهما التعليم أو الإجابة عن الأسئلة الدينية المشكلة فإنما ذلك بتوجيه أبيهما وتفويضه الأمر إليهما أو إلى أحدهما.

وهذا قد يكون السبب الأساس في أننا لا نجد الروايات الكثيرة عن الإمام زين العابدين أيام أبيه الحسين عليهما السلام، وقد يضاف إلى ذلك جهة عادية نجد مثالها في الطبيعة وهي أنه مع شروق الشمس تختفي النجوم تحت شعاعها، فمع وجود تلك النجوم إلا أنه لما كانت الشمس ساطعة فإنها تطوي نور غيرها. وهكذا فإذا رأى الناس الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المتصدي لإمامة الناس فمن غير الطبيعي أن يتركوه ويسألوا ابنه الإمام السجّاد.

نعم توجد روايات[1] عن الإمام الحسين عليه السلام فيها الإشارات إلى إمامة ابنه السجّاد وبعضها حين كان السجّاد صغير السن.

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 58 نقلا عن كفاية الأثر: عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال كنت عند الحسين بن علي عليهما السلام إذ دخل عليّ بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين عليه السلام وضمّه إليه ضمًّا وقبل ما بين عينيه ثم قال: بأبي أنت ما أطيب ريحك؟ وأحسن خلقك فتداخلني من ذلك فقلت: بأبي أنت وأمّي يا بن رسول اللّه إن كان ما نعوذ باللّه أن نراه فيك فإلى مَنْ؟ قال: عليّ ابني هذا هو الإمام أبو الأئمة.

### 3/ هل هو الأصغر سنًّا أو الأكبر؟

كمقدمة للحديث لا بد أن نشير إلى أنه لا ارتباط بين السنّ والعمر وبين موضوع الإمامة، فقد يكون الأصغر سنًّا هو المعين للإمامة من قبل الله عز وجل، بينما لا يكون الأكبر كذلك، وهذا ليس من الناحية النظرية فقط بل وجدنا ذلك عمليًّا في مثال عبد الله (الأفطح بن الإمام الصادق) أنه لم يكن الإمام بل ولا إسماعيل أخوه بينما حازها الإمام موسى بن جعفر وهو الأصغر!

وهكذا نرى أمثلة أخرى في أبناء الإمام موسى الكاظم عليه السلام فلم يكن هو الأكبر سنًّا بل كان غيره أكبر منه سنًّا. فلا ارتباط بين الأمرين. وأيضًا في مثال السيد محمد بن الإمام الهادي فمع أنه الأكبر سنًّا (بل مع فقاهته وصلاحه) لم يكن الإمام وإنما كان أخوه الأصغر الحسن العسكري عليه السلام هو الإمام بعد أبيه.

ومن البديهي أيضًا أنه لا ارتباط بين كبر السن وعلو المنزلة، فقد يكون الأصغر سنًّا أعلى منزلة ودرجة من أخيه الأكبر سنًّا.

بعد هذا نقول على سبيل استباق التفاصيل: إنّ الإمام علي بن الحسين السجّاد كان الأصغر سنًّا، وإنّ عليًّا الشهيد كان الأكبر سنًّا.

وسنشير إلى قاعدة جيدة ذكرها المحقق ابن ادريس الحلي

رحمه الله (ت 598 هـ) حاصلها أنه لا بد في مثل هذه الأمور من الرجوع إلى علماء الأنساب والمؤرخين قبل الرجوع إلى الفقهاء والعلماء لأن أولئك هم أهل الخبرة في أنساب الأشخاص ومن ولد سابقًا، ومن تأخرت ولادته، وفي هذا أيضًا لا ينظر إلى مذهب الشخص، إلا ما علم فيه تأثره بمذهبه! وأما في الحالة العادية فإنه لا ينظر إلى أن هذا القول قول علماء الشيعة بينما ذلك القول قول غيرهم.. هذا لا ينبغي أن يكون مؤثرًا بحسب القاعدة الأولية.

ولهذا لا نعتقد أن ما ذكره بعض المحققين من التركيز على أن المشهور عند علماء الطائفة هو كون علي السجّاد هو الأكبر والشهيد هو الأصغر بينما المشهور عند علماء العامة عكس ذلك، لتقوية القول الأول ليس كما ينبغي. لما سبق ذكره من القاعدة.

والأصل فيما ذكر من كون الإمام السجّاد عليه السلام هو الأكبر سنًّا، من الأقوال هو ما نقل عن الشيخ الصدوق والشيخ المفيد في الإرشاد[1]، والاعتقاد أن الشيخ المفيد الذي اعتمد على أبي مخنف والطبري في نقل واقعة الطف حتى ليكاد الناظر كما يقول

(1) العكبري؛ محمد بن النعمان المفيد: الإرشاد 2/ 135: علي بن الحسين الأصغر، قتل مع أبيه بالطف.

بعض الباحثين يرى ان الغالب فيه استنساخ لما ذكر هناك. قد ترك ما ذكره الطبري (والأصل فيه عن أبي مخنف) ربما لاجتهاد منه، وإلا فإن الطبري نقلا عن أبي مخنف ذكر صغر سن الإمام السجّاد في موضعين، تارة في قوله 11/ 630: «وشهد علي بن الحسين الأصغر مع أبيه، كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضًا نائمًا على فراش، فلما قتل الحسين عليه السلام قال شمر بن الجوشن: اقتلوا هذا، فقال له رجل من اصحابه: سبحان الله أَنقتل فتى حدثًا مريضًا لم يقاتل!» ولا يخفى التصريح بالقول بأنه فتى حدثًا! والموضع الثاني في قول السجّاد عليه السلام لابن زياد: «كان لي أخ أكبر مني قتله الناس..»!

ومن الناحية التاريخية فقد رأينا أن المصادر التي ذكرت كون علي السجّاد هو الأصغر وأن الشهيد هو الأكبر هي سابقة أحيانًا بنحو قرنين من الزمان على ما ذكره الشيخان المفيد (ت 413 هـ) والصدوق (ت 381 هـ) فقد ذكر ذلك ابن سعد (ت 230 هـ) في الطبقات ناقلا عن الإمام تلك الجملة (أخٌ أكبر مني) والزبير بن بكار (ت 236 هـ) وصرح بأنه الأصغر كما نقل جملة (أخٌ أكبر مني) عن الإمام عليه السلام. وفيما بعد أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) حيث صرح بأن الشهيد هو الأكبر.

وترجيح قول المفيد (المجرد من صفة أكبر مني) بقول متأخرين عنه جدًّا كابن نما (ت سنة 680 هـ) في مثير الأحزان وآخذين منه هو أشبه بالدور!

ومحاولة اسقاط هذه القرينة بالقول أنه كما أن هناك رواية تاريخية تثبت صفة (أكبر مني) فهناك أخرى ليس فيها صفة (أكبر مني) بالمعارضة، لا تصح لتقدم الرواية المثبتة للصفة على غير المثبتة لها تاريخيًا، بل اعتماد غير المثبتة وهي المتأخرة على المثبتة وهي المتقدمة تاريخيًا كما ذكرنا من أن الأصل في هذه الصفة هو مقتل أبي مخنف الذي نقل عنه الطبري ونقل عنهما الشيخ المفيد لكن هذه الصفة قد سقطت في نص كتاب الشيخ المفيد!

وعلى فرض المعارضة ينتهي الأمر إلى الدوران بين احتمال الزيادة من الناسخين أو احتمال النقيصة، وعندهم: الرأي هو تقديم ما فيه الزيادة لبعد أن يسهو الناسخ فيضيف من عنده كلمات، بخلاف ما إذا سها أو غفل فلم ينقل كلمة أو كلمات فإنه كثير عند النساخ.

ثم إن لأصحاب هذا القول أن يستندوا إلى ما رواه: الخزّاز القمي في كفاية الأثر بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنتُ

عند الحسين بن علي عليه السلام إذ دخل عليُّ بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين عليه السلام وضمَّه إليه ضمًّا وقبَّل ما بين عينيه ثم قال: بأبي أنت ما أطيب ريحك وأحسن خلقك، فتداخلني من ذلك، فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أنْ نراه فيك فإلى منْ؟ قال: «إلى عليٍّ ابني هذا هو الإمام وأبو الأئمة».[1]

فإنه ذكر بعنوان الأصغر مما يفيد بثبوت هذه الصفة له وثبوت صفة الأكبر لغيره وليس إلا عليًّا الشهيد!

وردُّ هذه الرواية بالقول إن هذا القيد كان في كلام الراوي وليس كلام الإمام فلا يكون حجة! ليس تامًّا، بل المورد هنا من موارد لزوم البيان حيث أن في مقام النص على الإمامة، ولا يحصل ذلك إلا بتشخيصه! فلا يراد القول إن (عليًّا) ابن الحسين سواءً كان الأصغر أو الاكبر هو الإمام! وإنما خصوص الأصغر وهو السجّاد.

بل قد يستفاد من اعتراض الراوي أكثر من ذلك.. وهو قوله: يا مولاي هو صغير السن! وكأنه يريد القول: إن من أولادك من هو أكبر منه فلِمَ لا يكون هو الإمام؟ ويكون هذا الأصغر سنًّا هو الإمام؟ فدلالة هذه الرواية على المطلب تامة.

(1) الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر ص 258.

وكذلك لهم أن يستفيدوا مما ورد في زيارة الناحية المنسوبة[1] للإمام المهدي عجل الله فرجه من توصيف علي الشهيد بأنه الكبير، والزيارة هي في صدد التسليم على شهداء كربلاء (السلام على عليٍّ الكبير، السلام على الرضيع الصغير)[2].

وأما الرواية التي قد يستشهد بها الطرف الآخر على أن الإمام السجّاد هو الأكبر والتي تنقل عن الفضيل بن يسار قال: «قال لي: أبو جعفرعليه السلام: لما توجَّه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أمِّ سلمة زوج النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعتُه إليك، فلمَّا قُتل الحسين عليه السلام أتى عليُّ بن الحسين عليه السلام أمّ سلمة فدفعتْ إليه كلَّ شيء أعطاها الحسين»[3]. والتي قد يستدل بها القائلون بكون السجّاد عليه السلام هو الأكبر بقرينة قول الإمام الحسين عليه السلام (أتاك أكبر ولدي) فهي صحيحة بلا ريب! وحين أتى السجّاد بعد كربلاء لاستلام الوصية والكتب كان أكبر ولد الحسين بعد استشهاد علي الشهيد أخيه!

(1) هناك كلام في تمامية نسبتها للإمام وعدم ذلك، ولم نأت به للاستدلال وإنما لحشد القرائن.
(2) المزار، محمد بن جعفر المشهدي، ص 498.
(3) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الغيبة ص 223.

كما أنه من خلال النظر إلى تاريخ ميلاديهما عليهما السلام يتعين ما ذكره القائلون بكون الشهيد علي هو الأكبر وكون الإمام السجّاد هو الأصغر، فقد ذكرنا فيما مرَّ بأن ميلاد الإمام السجّاد كان في سنة 38 هـ بعد ثلاث سنوات من خلافة جده أمير المؤمنين الظاهرية، بينما كانت ولادة علي الشهيد في خلافة[1] عثمان بن عفان (والتي انتهت في سنة 35 هـ) فلو فرضنا أنها كانت قبل نهايتها بسنتين أو ثلاث فإن ولادته ستكون بنحو سنة 33 هـ.

وكلام المحقق ابن إدريس الحلي هو القول الفصل، وهو ما صرح به في السرائر، فقال بعد أن ذكر رأي الشيخ المفيد في الإرشاد حيث قال بأن الشهيد هو الأصغر والسجّاد هو الأكبر «والأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة، وهم النسابون، وأصحاب السير والأخبار والتواريخ، مثل الزبير بن بكار، في كتاب أنساب قريش، وأبي الفرج الأصفهاني، في مقاتل الطالبين، والبلاذري، والمزني، صاحب كتاب لباب أخبار الخلفاء، والعمري النسابة حقق ذلك، في كتاب المجدي، فإنه قال: وزعم من لا بصيرة له، إن عليًّا الأصغر، هو المقتول بالطف، وهذا خطأ

(1) الأصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص 53: قال عند الحديث عن علي الشهيد: «وولد علي بن الحسين في خلافة عثمان».

ووهمٌ وإلى هذا ذهب صاحب كتاب الزواجر والمواعظ، وابن قتيبة في المعارف، وابن جرير الطبري المحقق لهذا الشأن، وابن أبي الأزهر في تاريخه، وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال، وصاحب كتاب الفاخر.. الى آخر كلامه».[1]

**4/ الإمام السجّاد قبيل وأثناء واقعة كربلاء:**

لئن كان دوره عليه السلام ما قبل كربلاء غير واضح بالنحو الكافي، إلا أنه في كربلاء وما بعدها أصبح أوضح من البيان. وسنعرض لذلك في نقاط:

**أولاها**: أنه عليه السلام قد رافق أباه الإمام الحسين عليه السلام من حين خروجه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وبقي معه حتى هاجر منها إلى كربلاء، ورافقه في كل مواقفه إلى ساعة شهادته. وكان عمر الإمام السجّاد عليه السلام حينها نحو 22 سنة، إذ سبق أن قوينا أن تكون ولادته سنة 38 هـ، (وسيأتي ما ينفع في ترتيب بعض الآثار على هذا العمر) وقد كان معه في هذه المسيرة ابنه محمد بن علي الباقر وكان له نحو 4 سنوات، على الراجح من أن زواج أبيه السجّاد بأمه فاطمة بنت الحسن المجتبى عليهما السلام كان في نحو سنة 56 هـ.

(1) الحلي؛ محمد بن إدريس: السرائر 1/ 655.

ولا يبدو أنه كان للإمام السجّاد أحد غير ابنه الباقر في ذلك الوقت من أولاده، فلم يرافقه أحد غيره.

**ثانيها**: إن المعروف بين علماء الطائفة بل المؤرخين عامة بأن الإمام السجّاد عليه السلام لم يشارك في القتال، وذلك لمرضه التي اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون كذلك، فيسقط عنه واجب الدفاع عن المعصوم أبيه لعدم القدرة، فيبقى على قيد الحياة ويستمر نسل الإمامة من الحسين عليه السلام بوجوده.

غير أنه ذهب بعض الباحثين المعاصرين[1] اعتمادًا على ما جاء في رواية الزبير الرسان[2] في مقتل الحسين عليه السلام، بأنه قاتل لبعض الوقت وجرح حتى ارْتُثّ (أصيب بجراحات عميقة)، وكان هذا سبب مرضه.. وحيث أننا قد تعرضنا لهذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابنا قضايا النهضة الحسينية ولم يتغير رأينا، نثبت الموضوع كما جاء هناك.

(1) الجلالي؛ السيد محمد رضا: جهاد الإمام السجّاد.

(2) عرف الزبير الرسان بأنه زيدي المذهب وإن كان معدودًا في أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (بمعنى المعاصرة لهما).. فهل لاتجاهه المذهبي دخل في نسبة القتال وإشهار السيف للإمام السجّاد عليه السلام وذلك لأن من شروط الإمامة عند الزيدية القيام بالسيف، فمن لم تتوفر فيه هذه الصفة لا يُعد إمامًا! والمفروض أنهم يحسبون السجّاد إمامًا فلا بدَّ أن يكون قد قام بالسيف ولو لبعض الوقت؟ لا نستطيع الجزم بذلك ولكنه من الأمور المحتملة جدًا. خصوصًا وأنه انفرد بين كل المؤرخين بهذه الرواية.

**ماذا كان مرض الإمام في يوم عاشوراء؟**

«**الجواب**: في البداية لا بد أن نلفت النظر إلى نقطة أساسية ترتبط بمرض الإمام السجّاد عليه السلام، وهي أن مرضه كان في فترة مؤقتة[1] قبل يوم عاشوراء وما أعقبه من الأيام التي لا نعلم مقدارها، نظرًا لاستمرار حالة المعاناة على أثر السفر والسهر، والإيذاء الذي تعرض له خلال رحلة سبي النساء من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام ثم العودة وإن كانت العودة أهون.

ولا تمتد قطعًا إلى السنوات المتأخرة، خلافًا للشائع في بعض الأذهان التي ما أن يذكر الإمام عليه السلام حتى تتبادر صورة المريض الذي لا يستطيع فعل شيء.

كما نعتقد أن مرض الإمام عليه السلام في تلك الفترة كان ضمن الحكمة الإلهية لجهة أن يستمر النسل الحسيني،[2] والامتداد العلوي، والإمامة المحمدية بحيث يكون في الأمة من هو قادر على حمل مواريث النبوة والإمامة، ويكون فاعلًا في تغيير مسيرتها، والحفاظ فيها على شريعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) يستفاد من نص للشيخ المفيد الإرشاد: 2 / 114 أن هذا المرض استمر معه حتى الخروج إلى الكوفة في اليوم الثاني عشر وتوجه إلى الكوفة ومعه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من النساء والصبيان، وعلي بن الحسين فيهم، وهو مريض بالذرب وقد أشفى (يعني قرب من الموت).

(2) ولذلك قالوا بأنه ما على وجه الأرض حسيني إلا من ولد علي بن الحسين» كما في «التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب» (ص6 بترقيم الشاملة آليًا): أحمد بن محمد بن إبراهيم، شهاب الدين أبو الحجاج الأشعري الشافعي (ت 600هـ).

وإلّا لو كان صحيح البدن إلى مقتل الحسين عليه السلام لما وسعه التأخر عن نصرته والمبادرة إلى فدائه بنفسه، لما ثبت من لزوم دفع الموت عن النبي والإمام، فإنه «لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلّا أكبه الله على منخريه في نار جهنم»[1]. إضافة إلى أنه مقتضى برّ الولد بأبيه حتى في حالة عدم العصمة والإمامة.

أما ما هي كيفية مرض الإمام السجّاد عليه السلام، فما وجدته من النصوص هو التالي:

أ/ أقدم نص رأيته هو ما ذكر في كتاب للفضيل بن الزبير الأسدي[2] (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام) فقد قال:.. «وكان علي بن الحسين عليه السلام عليلًا، وارتث[3] يومئذ، وقد حضر بعض

(1) قاله الإمام الحسين عليه السلام لعمرو بن قيس المشرقي داعيًا إياه إلى نصرته كما في اختيار معرفة الرجال 1/ 371.. في حديث إلى أن قال: فقال الحسين: «جئتما لنصرتي فقلت له: أنا رجل كبير السن، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن تضيع أمانتي، فقال له ابن عمي مثل ذلك، فقال لي: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تريا لي سوادًا، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجب واعيتنا، كان حقا على الله أن يكبه على منخريه في نار جهنم.»

(2) الفضيل بن زبير بن عمرو بن درهم (الرسان (الأسدي من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ومن الذين اختصوا بزيد بن علي الشهيد، قيل إنه زيدي المذهب، وقد ورد اسمه في أسانيد كامل الزيارات وتفسير علي بن إبراهيم القمي وهو يروي ما ذكر في الكتاب عن زيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن أم الطويل وعبد الله بن شريك العامري. وقد طبع النص ضمن مجلة تراثنا التي تصدرها مؤسسة آل البيت، في عددها رقم 2 للسنة الأولى بتحقيق العلامة السيد محمد رضا الحسيني.

(3) ارتث: حمل من المعركة جريحًا وبه رمق.

القتال فدفع الله عنه، واخذ مع النساء هو، ومحمد بن عمرو بن الحسن، والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

ب/ ما ذكر في بصائر الدرجات والكافي من رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر ﷺ قال: إِنَّ اَلْحُسَيْنَ لَمَّا حَضَرَهُ اَلَّذِي حَضَرَهُ دَعَا اِبْنَتَهُ اَلْكُبْرَى فَاطِمَةَ فَدَفَعَ إِلَيْهَا كِتَابًا مَلْفُوفًا وَوَصِيَّةً ظَاهِرَةً وَوَصِيَّةً باطنة وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ اَلْحُسَيْنِ مَبْطُونًا لاَ يَرَوْنَ إِلاَّ أَنَّهُ لِمَا بِهِ فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ اَلْكِتَابَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ.[1]

وفي تفصيل ذلك نقل الشيخ الطبرسي في كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) عند حديثه عن رحيل الركب الحسيني إلى الكوفة وهو نفس النص الذي ذكره المفيد في الإرشاد، وأشرنا إليه فقال:.. «ثم نادى في الناس بالرحيل، وتوجه نحو الكوفة ومعه بنات الحسين ﷺ وأخواته ومن كان معه من النساء والصبيان، وعلي بن الحسين ﷺ فيهم وهو مريض بالذرب[2] وقد أشفى».

ج/ نقل العلامة المجلسي في البحار[3] عن كتاب نوادر ابن أسباط عن بعض أصحابه رواه قال: «إن أبا جعفر (الباقر) ﷺ

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب ثقة الإسلام: الكافي 1/ 339.

(2) الذرب: الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، ويفسد فيها ولا تمسكه. (لسان العرب). أشفى: قرب من الموت. (الصحاح).

(3) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار 45/ 91.

قال: كان أبي مبطونًا[1] يوم قتل أبوه صلوات الله عليهما وكان في الخيمة وكنت أرى موالينا كيف يختلفون معه، يتبعونه بالماء».

والنص الأول الذي ذكر في كتاب الفضيل بن الزبير يفيد بظاهره أمرين:

- أن الإمام السجّاد قد شارك في بعض القتال.
- وأنه كان قد اُرتث أي جُرح.

وقد أصرّ السيد الجلالي في كتابه (جهاد الإمام السجّاد عليه السلام) على هذا واستفاد من النص المذكور ما ينفعه في الاستدلال على جهاد الإمام وشجاعته وأنه قد شارك في المعركة أو مقدماتها، وقد أصيب بجراح على أثر ذلك.

بينما النصان التاليان لذلك لا يتعرضان لأمر القتال ولا الجراح، وإنما يثبتان كونه عليلًا إلى درجة أنه قد أشفى على الموت، وأنه كان بحسب النص مريضًا بالذرب (وهو الذي لا يبرأ من الأمراض كما عن بعض أهل اللغة وكما في الحاشية مرض يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ولا تمسكه) وهو ما يسبب الإعياء وعدم القدرة

(1) المبطون هو الذي يشتكي من بطنه.

على ممارسة النشاطات الاعتيادية للمصاب به. وهو شبيه لما يسمى اليوم بالإسهال الشديد، الذي قد ينتهي في بعض الحالات إلى التجفاف والوفاة سواء في الصغار أو الكبار.

وأمر مشاركة الإمام السجّاد في القتال، لا شاهد عليه في روايات أهل البيت أو نقل أهل التاريخ، إلا أن يكون بمعنى محاولة النهوض والخروج للقتال على أثر استغاثة والده الحسين واستنصاره». [1]

بل يستفاد من بعض الروايات[2] عنه عليه السلام أنه كان ليلة العاشر من المحرم، مريضا بقرينة أن عمته زينب عليها السلام كانت تمرضه تلك الليلة وأنه وهو في داخل الخيمة سمع أباه الحسين عليه السلام يردد الشعر المعروف: يا دهر أف لك من خليل.. مع أنه لم يعهد قتال بين المعسكرين قبل يوم العاشر، حتى ما نقل من هجوم الهاشميين وأنصار الحسين على مشرعة الفرات لجلب الماء، فلم ينقل أنه حصل قتال بحيث يجرح فيه أحد إلى حد أنه يرتث!

بل ربما كان ما جرى على الإمام السجّاد عليه السلام، مما ذكره

(1) آل سيف؛ فوزي: قضايا النهضة الحسينية ص 336 سؤال 59.

(2) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري 5/ 420، قال عليّ بن الحسين عليه السلام أنّي جالس في تلك العشيّة الّتي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني..

المؤرخون حين الهجوم على المخيم بعد شهادة الإمام الحسين، وأنه كان منبسطا على فراش له وهو مريض يشير إلى أنه حتى في تلك الحال لم يكن قادرًا على النهوض والدفاع عن نفسه، مما يبعّد أمر مشاركته في القتال».

ولذلك نعتقد أن ما ذكر في مقتل الفضيل الرسان، مع أنه ليس رواية عن معصوم، وما قواه عليه السيد الجلالي لا توجد قرينة واضحة عليه. وقد ذكرنا في بعض الحواشي السابقة احتمال أن يكون هذا متأثرًا بالنظرية الزيدية التي كان عليها الفضيل بن الرسان وهي التي تشترط أن يحمل الإمام السيف، وعرفت منهم هذه الفكرة في كل أدوارهم، وكانت محل خلاف بينهم وبين الشيعة الاثني عشرية.

ولا يضر الإمامَ عليه السلام ألّا يشارك في القتال، فإن المهمة التي كانت تنتظره لهي أعظم من قتاله لنصف يوم، فإن ما سيقوم به من تعريف النهضة الحسينية في بلاد الإسلام التي سيمر بها من الكوفة وهي مصر العراق الأعظم، إلى الشام وهي عاصمة الدولة، وما سيلقيه من الخطب والبيانات، إضافة إلى مواقفه المختلفة في مجالس الحكم أمام ابن زياد ويزيد وفي المسجد الأموي، ستشكل الجزء المهم الثاني من النهضة الحسينية التي لولاها

ربما كانت السلطة الأموية تنجح في تقديم الحسين للمسلمين كخارجي خرج على إمام زمانه قاصدًا الفوضى.

وأراني متعجلًا لنفي بعض الروايات الباطلة التي ذكرت في شأن الإمام عليه السلام، والتي ترتبط بفترة الأسر بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ومنها ما اختلقه[1] مصعب الزبيري في كتابه نسب قريش ونقلها عنه من بعده.. «قال علي بن الحسين: فغيّبني رجل

(1) ونقلها عنه ابن الجوزي، في المنتظم:5/ 344: أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قالَ: حدثني عمي مصعب بْن عَبْد اللَّهِ قالَ: كان علي بن الحسين الأصغر مع أمه، وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضًا، فلما قتل الحسين قالَ عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قالَ علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم فأكرم منزلي واختصني وجعل يبكي كلما دخل وخرج، حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد: ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم. قالَ: فدخل عليّ والله وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي ويقول أخاف. وأخرجني إليهم مربوطًا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر..

فإن أول ما في هذا الخبر انه من غير إسناد إذ بين شهادة الإمام السجّاد سنة 95 هـ وبين موت مصعب بن عبد الله الزبيري 236 هـ نحو 140 سنة، فكيف يتحدث عن الواقعة بعنوان قال علي بن الحسين؟ وكيف لم يلتفت قائل الخبر إلى أن علي بن الحسين السجّاد هو المسؤول عن النساء والأطفال بعد أبيه الحسين عليه السلام وأنه لا يمكن أن يغيب عنهن ولا أن يغبن عنه هذه المدة؟ والإمام جالس!! معه مرتاح في الاكرام! وأنه إن كان عند أحد وفاء فعند هذا!! الخبر غير صادق والكذب فيه فج غير متقن!

والطريف أن هذا الخبر عندما نقله البلاذري (ت 279هـ) في «أنساب الأشراف» (3/ 206):صار بعنوان حدثني بعض الطالبيين!! هكذا.

«أن ابْن زياد جعل فِي عَلِيّ بْن الْحُسَيْن جعلا فأتي به مربوطًا، فقال له: (ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين».. الخ.

منهم وأكرم نزلي واحتضنني وجعل يبكي كلّما خرج ودخل حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد من الناس وفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله عليّ وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي! وهو يقول: أخاف! فأخرجني والله إليهم مربوطًا حتى دفعني إليهم واخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها».

وهذه الفرية من الزبير بن بكار أو من عمه مصعب[1]، الذي (أحيا أم علي السجّاد وجعلها معه في كربلاء!!) بالرغم من اتفاق المؤرخين على أنها ماتت في نفاسها به.. وكيف لم يلتفت

(1) قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص 122في شأنهما ما يلي: "الزبير بن بكار ممن عرف بالعداوة لعلي وأهل البيت وهو الذي استحلفه رجل من الطالبيين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذبًا فرماه الله بالبرص وكان ينال من العلويين ومن جدهم علي. فأجمعوا على قتله فهرب منهم إلى عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب فسأله ان يكلم المعتصم في تأمينه فلم يجد عنده ما أراد إذ لم يكن عمه على رأيه في مكاشفة العلويين ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل. اما أبوه بكار فقد كان من المكاشفين للرضا في النصب والعداوة فدعا عليه الرضا فسقط من قصره فاندق عنقه، وأما جده عبد الله ابن مصعب فهو الذي أفتى هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن، فقال: اقتله يا أمير المؤمنين وفي عنقي دمه، فقال الرشيد: إن عنده صكًا مني أعطيته فيه الأمان، فقال عبد الله بن مصعب: لا أمان له يا أمير المؤمنين وعمد إلى يحيى فانتزع الصك منه قهرًا ومزقه بيده عداوة ورثوها عن جدهم، ورثها عدو عن عدو عن عدو من عبد الله بن الزبير حتى انتهت إلى الزبير بن بكار، وبها نال الحظوة عند المتوكل فاختاره لتأديب ولده الموفق..»

لهذه القضية أبو مخنف الأزدي مع رواته الكثيرين[1] الحاضرين في الحادثة؟ ثم من العجيب أن يصدقها صانعها وألّا يلتفت إلى الخلل الموجود فيها فإن السجّاد وهو مسؤول عن ركب الأسارى ـ باعتباره أكبر الذكور الموجودين ـ لا يمكن أن يغيب عن النساء من كربلاء إلى الكوفة فلا مسؤولو الجيش الأموي يسمحون بذلك، ولا النساء والأسارى سيتركون القضية هكذا وكأنه ضائع! أو أن الإمام السجّاد نسي أن وراءه من النساء والأطفال من يحتاجون إليه فكان مع هذا الذي غيبه مرتاحًا ومكرم الوفادة.. حتى قال الإمام إن يكن عند أحد من الناس وفاء فعنده! إلى أن نادى منادي ابن زياد.. وبذل فيه (ثلاثمائة درهم) ولا يخفى جانب التحقير والتوهين! فهذا المبلغ لا يشترى به حتى العبد المعوق! لكن نقول: لعنة الله على الكاذبين!

وأغرب منها وأسوأ ما ذكره ابن أعثم في الفتوح من أن الإمام عليه السلام حين أدخل على ابن زياد في الكوفة أسيرًا مع النسوة، وبعد شيء من المجادلة «قال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك! خذه إليك فأظنه قد أدرك الحلم! قال: فأخذه مري بن معاذ

(1) ذكر الشيخ الغروي اليوسفي في مقدمة كتابه واقعة الطف (مقتل أبي مخنف) أن أبا مخنف الذي روى عنه الطبري في تاريخه 65 حديثًا مسندًا، قد رواها بالمباشرة وبالواسطة عن 39 راويًا، وقد وضع الغروي قوائم تفصيليّة ستًّا بأسماء الرواة الوسائط بين أبي مخنف والأحداث.

الأحمري، فنحاه ناحية ثم كشف عنه فإذا هو أنبت، فرده إلى عبيد الله بن زياد وقال: نعم، أصلح الله الأمير! قد أدرك، فقال: خذه إليك الآن فاضرب عنقه!»[1]

نقول أغرب.. لأن من يشك في أنه أنبت وصار بالغًا أو لا ينبغي أن يكون مثلًا في حدود الثالثة عشر أو ما بعدها حيث يتطرق إليه الشك! ومعنى هذا أن يكون مولودًا في ما بعد سنة 48هـ! وشتان بين مثل هذا وبين القول بأن الحسين قد تزوج أم السجّاد في أيام خلافة الخليفة الثاني يعني بحدود سنة 23 هـ وما بعدها! كما قالوا. أو التصريح بأنه قد ولد سنة 38 هـ، ومعنى ذلك أنه حينها ابن 22 سنة على الأقل!

هذا من جهة ومن أخرى فإن الإمام السجّاد عليه السلام كان في ذلك الوقت متزوجًا وقد أنجب ابنه محمدًا الباقر وكان الباقر معه في كربلاء وعمره نحو أربع سنوات أو دونها.. فكيف يتطرق الشك إليه في أنه بلغ أو لا، وأنه يحتاج أن يكشف عنه حتى يعرف هل أنبت الشعر على العانة أو لا؟ ولهذا فقد ذكر ابن سعد في الطبقات «فهذا يدلّك على أنّ عليّ بن حسين كان مع أبيه وهو ابن ثلاثٍ أو أربعٍ وعشرين سنة، وليس قولُ من قال إنّه كان صغيرًا ولم يكن

(1) الكوفي؛ أحمد بن أعثم: كتاب الفتوح 5/ 123.

أنبت بشيءٍ، ولكنه كان يومئذٍ مريضًا فلم يقاتل. وكيف يكون يومئذٍ لم يُنْبِت وقد وُلد له أبو جعفر محمد بن عليّ»؟[1]

**5/ الإمام السجّاد وموكب السبي في الكوفة:**

قد أشرنا في كتابنا (أنا الحسين بن علي) إلى عرض مفصل عن مسيرة ركب السبايا والأسارى، وفي مقدمتهم الإمام زين العابدين عليه السلام، ونقلنا هناك خطبه التي ألقاها في المواضع المختلفة مع شيء من التحليل لما جاء في تلك الخطب واستهدافاتها وظروفها، ولا نحب أن نعيد ما تمَّ ذكره هناك، لكن نشير إلى أهم المحطات الرئيسة، ومن أراد التفصيل فبإمكانه الرجوع لذلك الكتاب.

فإنه بعد وصول الأسارى والسبايا إلى الكوفة، تمَّ العرض على الناس في الطرقات وبعدها استقدم الركب الأسارى إلى قصر ابن زياد، حيث جمع قادته العسكريين والمستشارين السياسيين، ضمن احساس بنشوة النصر ولكي يظهر ما في نفسه أخذ يتهكم عليهن، ووجه كلامه أولًا إلى السيدة زينب بنت علي عليها السلام، وبعد حوار أظهر فيه من الشماتة والحقد ما يليق به، التفت للإمام زين العابدين عليه السلام، وسأله عن اسمه فأخبره أنه علي بن الحسين، فقال ابن زياد: أليس

(1) الزهري؛ محمد بن سعد: الطبقات الكبير 7/ 219.

الله قد قتل عليًا؟ فقال الإمام: كان لي أخ اسمه علي قتله الناس! فقال الطاغية: بل الله قتله! فقال الإمام عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها! وعلى طريقة الطغاة حين يعجزون عن المنطق! يتوسلون بالقوة.. قال وبك جرأة على رد جوابي؟ يا سياف اضرب عنقه!

وكان للعقيلة زينب عليها السلام موقف (وكم لها من مواقف) في أنها رمت بنفسها على ابن أخيها حماية له، وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل قبله!

وبعد أن أخرجوا من قصر الإمارة، كان للإمام عليه السلام خطبة في وسط الكوفيين، عرف فيها نفسه باعتبار أنه ابن الحسين الشهيد الذي قتل بشط الفرات من غير ذنب، ثم قرر الحاضرين وقرعهم بالسؤال: هل أنهم كتبوا إلى الحسين وعاهدوه على أن ينصروه؟ وأنهم بعد ذلك خدعوه؟ وأنهم ماذا يجيبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو سألهم في ذلك؟ وأنهم لماذا خذلوا ذريته؟ وأن النبي سينفيهم عن أمته!

ولما أجابوه بأنه سامعون مطيعون حافظون رفض الإمام عليه السلام هم هذه الفيضة النفسية غير المتهيئة من الناحية العملية و قال عليه السلام ـ فاضحًا إياهم ـ هيهات هيهات، أيها الغدرة المكرة. مشيرًا إلى أن الأمر راجع إلى أنه «حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم» فإن

حب الحياة والرغبة في العيش والخوف من التضحية كلها مانعة لهم عن اتخاذ موقف كالذي أشاروا إليه.

**6/ الإمام السجّاد في الشام:**

كان الإمام عليه السلام مسؤولا عن نساء أهل البيت عليهم السلام ومن بقي معهن من نساء الأصحاب، وعن الأطفال والصبية، بعد أن مكثوا في الكوفة أياما قلائل، ليطووا هذا الطريق الطويل ويشهدوا فيه الأذى الاجتماعي حيث «ينظر إليهن القريب والغريب والدني والشريف وتحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد» إلى أن وصلوا إلى الشام في مطلع شهر صفر من نفس السنة 61 هـ[1].

ويظهر أنه ونكاية بالأسرى وتقربًا إلى يزيد فقد قُيّدوا بالحبال قبل إدخالهم عليه، فلما أدخلوا بهذه الحالة سأل الإمام السجّاد عليه السلام يزيد بن معاوية: ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يرانا ونحن بهذه الحالة؟ وبطبيعة الحال كان السؤال مفاجئًا بل صاعقًا، أدى بيزيد إلى أن يأمر بالحبال فقطعت؟

(1) الحديد: 22. مسألة وصول ركب الأسارى إلى الشام في شهر صفر سنة 61 هـ وعودتهم من الشام ووصولهم إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر لنفس السنة، هي محل نقاش واسع بين المؤرخين وقد تعرضنا لذلك مفصلًا في كتاب (أنا الحسين بن علي) وناقشنا حجج النافين لها، واخترنا إمكان ذلك بل وقوعه وحصوله، من خلال الروايات التاريخية والحسابات الجغرافية، فليراجع من يريد التفصيل.

وهكذا «أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: يا علي! إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه يا بني، فلم يدر خالد ماذا يقول فقال يزيد: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وكان هذا هو المجلس الأول الذي جمع بين يزيد بن معاوية وبين الإمام علي بن الحسين، ليتم بعده عقد مجلس آخر ولعله في اليوم التالي وهذا كان على الأكثر في المسجد المعروف بالأموي، نفترض أنه بدأ مع الضحى لينتهي بأذان الظهر، وفيه كانت خطبة[2] الإمام علي بن الحسين عليه السلام المشهورة، التي تمَّ قطعها بالأذان لكن بعد أن بلغ منها الإمام ما كان يريد، ونعتقد

(1) الشورى: 30. الكوفي؛ أحمد بن أعثم: الفتوح 5/ 130.. انظر إلى المغالطة وتزوير الحقائق من قبل يزيد! لم يبق إلا أن يقول للسجاد: إن أباك قطع رحمي.. وقتلني وقطع رأسي وأمر برض صدري بالخيل وسبى نسائي!!

(2) تجد نصها وتحليلا عن معانيها في كتاب (أنا الحسين بن علي).

أنها هي التي عجلت بقرار يزيد في إرجاع ركب الأسارى من الشام إلى المدينة.

### 7/ هل السلام في زيارة عاشوراء عليه أو على الشهيد؟

ثم إنه قد ورد في زيارة عاشوراء المعروفة هذه العبارة: (السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين)،[1] وهنا يُتساءل عن المقصود بهذا السلام على وجه الخصوص فهل هو الشهيد الأكبر أو هو السجّاد الإمام عليهما السلام؟

ومن الناحية العملية يمكن للزائر أن يقصد كليهما بل كل من ينطبق عليه عنوان (علي) ابن الحسين،[2] ولكن لتحديد المقصود هناك قولان:

**الأول**: يذهب إلى أن المقصود هو علي الأكبر الشهيد في كربلاء. ويستشهد لذلك:

**أولًا**: بأن زيارة عاشوراء إنما أنشئت لزيارة الشهداء مع الحسين عليه السلام في كربلاء، فكان من الطبيعي أن يكون المقصود هو علي الأكبر.

(1) المشهدي؛ محمد بن جعفر: المزار ص 484.

(2) بناء على ما قيل من أن عبد الله الرضيع ربما سمي بعلي أيضًا، أو أنه كان هناك ولد آخر للحسين غير العليين الشهيد والسجّاد، يسمى بعلي.

**وثانيًا**: بأن الغرض من التسليم على علي الأكبر عليه السلام بيان عظيم منزلته، ويشهد لذلك أن أعظم المصائب التي وقعت على الحسين كانت مصيبة الأكبر والناظر إلى ما ينقل في المقاتل ومدى تأثر الحسين وكلماته في مصرع ولده الأكبر يصل إلى هذه الحقيقة.

وقد ذهب إلى ذلك صراحةً الفاضلُ المازندرانيُّ في كتابه شرح زيارة عاشوراء نافيًا عنه الريب وقال: «وعلى علي بن الحسين»؛ لا ريب أنّ المراد به عليّ بن الحسين الشهيد لا الإمام زين العابدين، لأنّ هذه الزيارة لخصوص الشهداء.[1]

وكذلك ذهب إليه الميرزا أبو الفضل الطهراني، وقال في كتابه شفاء الصدور (ما ترجمته بالعربية): علي بن الحسين اسم ثلاثة من أولاد سيد الشهداء عليه السلام؛ أحدهم سيد الساجدين عليه السلام، والآخر علي الأكبر، والثالث علي الرضيع الذي كان اسمه حسب روايةٍ عبد الله والمعروف باسم علي الأصغر.. والمراد من هذه الفقرة هو علي الأكبر الشهيد في كربلاء لأن هذه الزيارة مختصة بشهداء كربلاء، ويبعد جدًا أن يكون المقصود زين العابدين![2]

ونفس الجواب اختاره الشيخ مسلم الداوري حيث ذكر في

(1) المازندراني؛ الشيخ عبد الرسول الفيروزكوهي: شرح زيارة عاشوراء/ 148.

(2) الطهراني؛ الحاج ميرزا أبو الفضل: شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور (فارسي)2/ 345.

كتابه (زيارة عاشوراء تحفة من السماء) أنّ الظاهر من سياق العبارة أنّه عليّ الشهيد بالطف وأمّه ليلى، لأنّ ظاهر السياق هو السلام على الشهداء في يوم عاشوراء.

وقد تمت الإجابة على هذا السؤال في موقع عقائد مركز الأبحاث العقائدية بنفس الجواب مع التركيز على أن سبب كون الأكبر هو المقصود: عظيم منزلته وشدة مصيبته على أبيه.[1]

**القول الثاني**: يذهب إلى أن المقصود في الزيارة قد يكون الإمام علي بن الحسين السجّاد، وقد يستشهد لهذا القول:

أ/ بأن اشتهار هذا الاسم لعلي بن الحسين ﷺ مما لا يكاد يخفى على أحد،[2] ولا يحتاج عند إطلاقه إلى تعيينه بقرينة بخلاف

(1) موقع عقائد على الانترنت https://www.aqaed.com/faq/338/# قرئت بتاريخ 10/ 11/ 2022

(2) من ذلك الكثير ما روي عن أحدهم: بينا أنا مع أبي جعفر ﷺ والبيت غاصّ بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكّأ على عنزة (رمح قصير) له حتّى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا بن رسول اللّه ورحمة اللّه وبركاته، ثمّ سكت. فقال أبو جعفر ﷺ: وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته. ثمّ أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت، وقال: السلام عليكم، ثمّ سكت، حتّى أجابه القوم جميعًا وردّوا السلام. ثمّ أقبل بوجهه على أبي جعفر ﷺ، ثمّ قال: يا بن رسول اللّه ادنني منك جعلني اللّه فداك، فو اللّه إنّي لأحبّكم وأحبّ من يحبّكم، واللّه ما أحبّكم وأحبّ من يحبّكم بطمع في دنيا، وإنّي لأبغض عدوّكم وأبرأ منه، واللّه ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، واللّه لأحلّ حلالكم، وأحرّم حرامكم وأنتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني اللّه فداك؟ فقال أبو جعفر ﷺ: إليّ إليّ حتّى أقعده إلى جنبه، ثمّ قال: أيّها الشيخ إنّ أبي ﷺ أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي: إن تمت ترد على رسول اللّه وعلى علي والحسن والحسين وعلى علي بن الحسين ﷺ، ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع =

علي الأكبر الشهيد، فإنه لو لم يعين بقرينةٍ كتوصيفه بالشهيد أو الأكبر أو ما شابه لما تبادر إلى الذهن. وهنا عندما أطلق ولم تلحق به قرينة فيحمل على ما هو المشهور والمتبادر إليه من اللفظ وهو الإمام عليه السلام.

ب/ إن تخصيص أحد أولاد الحسين بالذكر من بين سائر الأولاد، بل من بين سائر الأقارب والأصحاب يحتاج إلى وجود ميزة في المخصَّص بالذّكْر، وإلا فإن كلًّا من الأكبر والسجّاد داخلان تحت عنوان (أولاد الحسين) ويشملهما التسليم، والتخصيص بالذَّكر يحتاج إلى ميزة، وقد جعل الأعلام الذين ذكرنا أسماءهم (شهادة علي الأكبر وكون الزيارة للشهداء) ميزة تدعو إلى صرف هذا اللفظ إليه.

إلا أنه يمكن القول أن ميزة الإمامة هي فوق كل اعتبار ودونها كل ميزة، فإن عليًّا الإمام هو إمام علي الأكبر لو كان على قيد الحياة، بل هو إمامه فعلًا (ولكنه صامت في حياة أبيه) وأين مقام المأموم من مقام الإمام؟

---

= الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك هاهنا، وأهوى بيده إلى حلقه، وإن تعشْ ترَ ما يقرّ اللّه به عينك وتكون معنا في السنام الأعلى.

والناظر إلى سائر كتب الإمامية بل ومصادر مدرسة الخلفاء يجد ذكر علي بن الحسين بن علي.. مجردًا يقصد منه السجّاد زين العابدين.

ونحن لم نفهم بشكل واضح قولهم بأن الزيارة هي للشهداء! فإنه لم يكن للشهداء ذكر إلا في هذا الموضع والموضع الآخر (وثبت لي قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم..). وإلا فإن الزيارة عامة كسائر الزيارات.

ويضاف إلى ذلك أنه لو كانت خاصة بالشهداء، سواء الأصحاب أو أولاد الحسين، لما انطبق السلام على الإمام السجّاد عليه السلام، فإنه وإن كان من أولاد الحسين إلا أنه لم يكن من أولاده الشهداء في كربلاء، ومن الطبيعي أنه ليس من الأصحاب الشهداء، وبحسب هذا الفرض فإن السلام ليس متوجها إليه، فيكون عليه السلام خارجًا تمامًا عن التسليم في زيارة عاشوراء! ولا أظن أحدًا من القائلين بالقول الأول يلتزم بهذا.

وكان يمكن للقائلين بالقول الأول؛ أن يلتزموا طريقًا نَصْفًا وهو أن الزيارة للشهداء فيدخل فيها الأكبر في أولاد الحسين الشهداء، ويدخل فيها علي السجّاد بالتنصيص عليه بالذات.

ولذلك نعتقد أن المقصود بالتسليم في هذه الفقرة من الزيارة هو الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام. حتى على القول بأن الزيارة أنشئت بغرض زيارة الشهداء في كربلاء.

### 8/ ظروف إمامة السجّاد عليه السلام وحكام عصره:

ها هو علي بن الحسين عليه السلام، قد رجع إلى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مضطلِعًا بأعباء الإمامة قائما بها بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام وهو في هذا في الثالثة والعشرين من العمر، وكيف لا وقد أخبر عن إمامته والده، وكان لا يزال صغير السن.[1]

هذا بالإضافة إلى ما جاء في أحاديث متعددة عن النص على إمامته؛ وقد كشف عنها أئمة الهدى فيما بعد فمنها؛ ما عن الإمام محمد الباقر عليه السلام من: «انّ الحسين لما حضره الّذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتابًا ملفوفًا ووصيّة ظاهرة ووصيّة باطنة وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام مبطونًا لا يرون إلّا أنّه لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسين ثم صار ذلك إلينا فقلت: فما في ذلك؟ فقال: فيه واللّه جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا».[2]

---

(1) الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر ص 258.. عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنتُ عند الحسين بن علي عليه السلام إذ دخل عليُّ بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين عليه السلام وضمَّه إليه ضمًّا وقبَّل ما بين عينيه ثم قال: بأبي أنت ما أطيب ريحك وأحسن خلقك، فتداخلني من ذلك، فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أنْ نراه فيك فإلى منْ؟ قال عليه السلام: «إلى عليٍّ ابني هذا هو الإمام وأبو الأئمة»

(2) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام السجّاد 1/ 15.

كما استودع الإمام الحسين عليه السلام قسمًا آخر من الكتب والودائع عند أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكانت علامة الإمامة أن يطلبها منها الإمام التالي وقد روى ذلك الإمام الصادق عليه السلام فقال: «انّ الحسين صلوات اللّه عليه لما صار إلى العراق استودع أمّ سلمة رضي الله عنها الكتب والوصيّة فلمّا رجع عليّ بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه».[1]

بل أيده خالقه بكرامة تدل على اصطفائه لهذا المنصب، وهي ما جرى بينه وبين عمه محمد بن الحنفية عندما شهد له الحجر الأسود بالإمامة،[2] وسواء قلنا بأن محمدًا بن الحنفية كان

(1) المصدر نفسه/ 16.

(2) الكليني: الكافي 1/ 396 بسند صحيح عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: لما قتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به فقال له: يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن عليه السلام، ثم إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى على روحه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سني وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة ولا تحاجني! فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك! قال أبو جعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، =

يعرف الحق وإنما فعل هذا من أجل إظهار فضل زين العابدين السجّاد[1]، وشاهد ذلك تسليمه من دون مناقشة! وله نظائر كما قال لأبي خالد الكابلي[2] أو قلنا كما رأى بعضهم أن محمدًا بن الحنفية كان يعتقد أنه هو الإمام باعتبار أنه من صلب أمير المؤمنين عليه السلام! وأنه لم يدرك مواصفات الامامة الإلهية بتمامها.. فإن النتيجة فيما نحن فيه واحدة وهي أن الله سبحانه أيّد سيد عابديه بكرامة يستحقها، ولمن أراد الاهتداء إليه يكون له حجة واضحة على ذلك، بالإضافة إلى نصوص الإمامة الأخرى

= فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا عم لو كنت وصيًّا وإمامًا لأجابك، قال له محمد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين عليه السلام بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والامام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد ان يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللَّهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي عليه السلام إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام.

(1) المازندراني؛ المولى محمد صالح: شرح أصول الكافي6/ 290 قال: ويحتمل أن يكون هذه المناظرة لأجل إثبات الحق لعلي بن الحسين عليه السلام لتعلم الشيعة أنه الإمام لا هو ولا ينخدعوا بأنه أكبر وأقرب من علي عليه السلام. ويؤيده ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل وعد منهم ابنه محمّد بن الحنفية.

(2) شيخ الطائفة الطوسي: محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال 1/ 376 عن أبي جعفر الباقر قال: كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهرًا وما كان يشك في أنه إمام. حتى أتاه ذات يوم فقال له: جعلت فداك إن لي حرمة ومودة وانقطاعًا، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين الا أخبرتني أنت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه، قال فقال: يا أبا خالد حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام علي وعليك وعلى كل مسلم!

وكفاءته العلمية التي لا يدانيها أحد سواء من بني هاشم أو من غيرهم!

سوف يبرز للناس وخلال أربع وثلاثين سنة هي فترة إمامته المباركة، بحقٍّ لماذا لقب بسيد العابدين وبزينهم، وسوف يعرفون من خلال ذلك أيضًا الوجه الآخر الذي لم يشهدوه ولم يُنقل لهم عن عبادة جده أمير المؤمنين عليه السلام، فمع ما كان عليه الإمام من كثرة العبادة وخلوصها إلا أنه يصرح دائما «مَن يقدر على عبادة علي بن أبي طالب؟

**بيت الشَّعر خارج المدينة عنوان المرحلة الأولى**

سيتخذ زين العابدين عليه السلام في طرف المدينة المنورة بيت شعر (خيمة) كمسكن ثان[1] بالإضافة إلى مسكنه الأساس في داخل المدينة وقرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسينتفع من هذا في عدة اتجاهات: الابتعاد عن المراقبة من قبل الأعداء، والانفصال عن الفتن التي عصفت في مركز المدينة بدءً من اضطراب الوضع العام ما بعد سنة 61 هـ. وحصول واقعة الحرة، وإباحة المدينة من

(1) ابن طاووس؛ السيد عبد الكريم: فرحة الغري/ 73 عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قد أتخذ منزله من بعد قتل أبيه الحسين بن علي عليه السلام بيتا من الشعر، وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين كراهية الناس وملابستهم وكان يصير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائرًا لأبيه وجده عليهما السلام ولا يُشعَر بذلك من فِعله..

قبل الجيش الأموي، ثم ما حصل من فتنة ابن الزبير والمعارك بينه وبين الأمويين. وسينتفع أيضًا من هذا في أن يذهب لزيارة قبر أبيه الحسين وجده أمير المؤمنين عليهما السلام، وهذا ما صنعه مرارًا وفي بعضها كان يذهب بمفرده وفي بعضها الآخر يسترفق آخرين.

**حركة أهل المدينة وواقعة الحرة ودور الامام عليه السلام**

ستشهد المدينة المنورة أيضًا في سنة 63 هـ ثورة عارمة من قبل أهلها قادها عبد الله بن حنظلة (المعروف بغسيل الملائكة) والذي بالرغم من محاولة يزيد بن معاوية رشوته وشراء سكوته بعدة مئات من آلاف الدراهم! إلا أنه لما جاء المدينة قال: لو لم أجد إلا ولدي معي لجاهدته! وإنه لا يمنعني ما صنع أن أُخبركم خبره، وأصدقكم عنه، والله إنه ليشربُ الخمر، وإنه ليسكر حتى يدعَ الصلاة... وسيرسل لهم يزيد مسلمًا (مسرف) بن عقبة المري، ويوصيه بالقول: «إن حدث بك حدث فاستخلف عَلَى الجيش حصين بن نمير السكوني، وَقَالَ لَهُ: ادع القوم ثلاثا، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا، فما فِيهَا من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند».[1]

(1) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري 5/ 484.

وكانت النتيجة الأولية لتلك المعركة في أقل التقديرات، أن «أصيب من الأنصار مائة رجل وثلاثة وسبعون، ومن قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال».[1] وقيل إن الذين قتلوا من الموالي نحو خمسة آلاف.

كما ذكرنا قبل قليل فإن الإمام عليه السلام قد اختار مبكرًا ألّا يكون في وسط المعمعة وفي قلب المعارك والأحداث بل اختار سكناً خارج المدينة كما تقدم ذكره، وقد نفعه هذا في ألّا يكون للغزاة الأمويين وقادتهم القساة أي مبرر لإلحاق الأذى بالإمام، بل اعتصم بقبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان في ذلك مناسبة لإلفات نظر الناس إلى القوة الروحية المجهولة عند الناس، والتي يمثلها الاعتصام بالله والتوجه إليه والتوسل بالنبي ولذلك فقد «لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتى به إلى مُسْرِف وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سَلْنِي حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم إلى السيف إلا شفَّعه فيه، ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم ربَّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربَّ العرش العظيم، ربَّ

(1) البصري؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط / 250.

محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرأ بك في نَحْره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره، وقيل لمسلم: رأيناك تسبُّ هذا الغلام وسَلَفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئَ قلبي منه رعبًا».[1]

لقد أنقذ الإمام عليه السلام أرواح كثيرين من أهل المدينة ممن كانوا قد قُدموا للقتل، فشفع فيهم وقبلت فيهم شفاعته.

وأما بعد هذه الفترة وبعد هلاك يزيد بن معاوية فيمكن أن نعنون الظروف التي مرت بالإمام عليه السلام على النحو التالي:

**الأول: وضع الاضطراب العام (من سنة 64 إلى 73 هـ)**

الذي رافق هلاك يزيد بن معاوية وانفراط حبل الدولة الأموية في الشام، وقيام عبد الله بن الزبير في الحجاز، ونهوض المختار الثقفي في الكوفة. وقد استمر هذا الوضع إلى سنة 73 هـ حيث قتل عبد الله بن الزبير واستقر الأمر للفرع المرواني من بني أمية وأصبح عبد الملك بن مروان هو الحاكم على الناس.

ففي هذه الفترة تقسم العالم الإسلامي إلى أربعة أقسام من حيث الولاء السياسي بل حتى الجغرافيا؛ فهناك الأمويون الذين

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر3/ 71.

كانوا يسيطرون تقليديًا على الشام ومصر، وينافسهم في الطموح السياسي عبد الله بن الزبير بن العوام الذي سيطر على الحجاز بل وأرسل عماله إلى العراق وسائر البلاد التي انفرط فيها عقد الحكم، وكان هناك التحرك المناصر لأهل البيت عليهم السلام في الكوفة في مرحلتيه: التوابين والمختار الثقفي والذي سيطر على الكوفة بشكل تام لعدة سنوات، وواجه الأمويين وبواسطة جيشه قُتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير كما قتل في تلك المعركة وفي الكوفة عدد كبير من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت هناك أيضًا حركات الخوارج وهي أقرب للحالات الفردية والفوضوية.. ويشير بعض الباحثين نقلاً عن اليعقوبي في تاريخه إلى أنه في سنة 68 هـ كان في الحج أربعة ألوية ورايات، تمثل هذه الاتجاهات.[1]

ولا شك أن كل فئة من هذه الفئات كانت تحاول استقطاب من تستطيع من العلماء والشخصيات لتتقوى بها، ولم يشترك الإمام السجّاد عليه السلام في أي من هذه الحركات السياسية ولا عرف عنه المناصرة بمعنى تجنيد أتباعه وتحشيد أشياعه لأي فئة، بمن فيهم

(1) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي2/ 268.. وفي سنة 68 وقفت أربعة ألوية بعرفات: لواء مع محمد بن الحنفية وأصحابه، ولواء مع ابن الزبير، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري، ولواء مع بني أمية.

المختار الثقفي وهو أقرب الاتجاهات للخط الشيعي والعلوي بالقياس إلى سائر الفئات.

فمع أنه أيّد تأييدًا عامًّا كل من ينهض بثأر الحسين عليه السلام، ولو أن عبدًا زنجيًّا نهض بذلك لوجب على الناس مؤازرته إلا أنه لم يكن جزءا منها، أو قائدًا لها.

وأما حركة ابن الزبير فإن قائدها أعلن وبشكل غبي عن أنه لا يملك مقومات إدارة الدولة لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الدنيوية، وكان من المؤمل بشكل واضح أن أمره سينتهي إلى الفشل، أما فقدانه لذلك من الناحية الدينية فواضح إذ ليس (إمامًا) ولا (وصيًّا) وأما من الناحية الدنيوية فقد كان معروفًا بالبخل بين القاصي والداني،[1] ومثل هذا هل يتوقع أن يسفك أنصاره دماءهم لأجل انتصاره وليس عنده طريق للجنة ولا

(1) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد 7/ 197.. ذكره في البخلاء المشهورين فقال: وابن الزبير هو الذي قال: أكلتم تمري وعصيتم أمري! فقال فيه الشاعر:

**رأيت أبا بكر، وربّك غالب على أمره، يبغي الخلافة بالتّمر!**

وأقبل إليه أعرابيّ فقال: أعطني وأقاتل عنك أهل الشام. فقال له: اذهب فقاتل، فإن أغنيت أعطيناك! قال: أراك تجعل روحي نقدًا ودراهمك نسيئة! وأتاه أعرابي يسأله جملا، ويذكر أن ناقته نقبت؛ فقال؛ انعلها من النعال السبتية، واخصفها بهلب! قال له الأعرابي: إنما أتيتك مستوصلًا (يعني طالبًا صلة مالية) ولم آتك مستوصِفًا (طالبًا وصفة طبية)؛ فلا حملت ناقة حملتني إليك! قال: إنّ وصاحبها!

للدنيا؟ إن الكثير من القادة العسكريين والزعماء السياسيين بل عامة الجند والمناصرين إنما يغيرون ولاءهم بين هذا وذاك بمقدار ما يحصلون من مكاسب لدنياهم! ولذلك لا مانع لديهم أن يباتوا على ولاء شخص فيصبحوا على ولاء آخر!

ويضاف إلى ذلك ما اشتهر عنه من افتتاحه حكمه باستعداء العلويين وأهل بيت النبي بل عامة المسلمين بالامتناع عن الصلاة على رسول الله في خطبته لمدة من الزمان، فإن ذلك يشير إلى عدم أهليته لإدارة المجتمع والدولة.

ويبقى بنو أمية وكانوا خارج المدينة إلا ما كان من واليهم عليها (مروان بن الحكم) والذي ثار عليه أهل المدينة وأخرجوه منها ومعه بعض بني أمية. وينقل المؤرخون هنا عن الإمام السجّاد موقفًا أخلاقيًّا (وكم له من مواقف) حيث رفض الباقون ممن كان ينتفع بموائد مروان أن يكفلوا نساءه وبناته[1] حتى يرسل خلفهن، بينما استضافهن الإمام عليه السلام في منزله وما لقين من الكرامة كما لقين عند علي بن الحسين، هذا مع أن مروان بن الحكم هو

(1) الطبري: تاريخ الطبري 5/ 485 «لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة، كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده، فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلم علي بن الحسين، وقال: يا أبا الحسن، إن لي رحمًا، وحرمي تكون مع حرمك، فقال: افعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع».

صاحب الأفاعيل السوداء من أيام عثمان بن عفان إلى حرب الجمل وصفين إلى ما عمل مع جنازة الإمام الحسن المجتبى وتحريضه الوليد بن عتبة على قتل الحسين، بل هو القائل للإمام نفسه عندما سأله الإمام لماذا يبالغون في شتم جده أمير المؤمنين وما كان أذب منه عن عثمان صاحبهم، قال له مروان: إن أمرنا لا يستقيم إلا بهذا! مع كل ذلك استضاف الإمام عياله وأهله وحماهم من هجوم المخالفين لبني أمية، وألحقهم بعياله إلى أن ارسل لهم مروان في ما بعد من أتى بهم إليه.

كان من الطبيعي أن ينصرف الإمام علي بن الحسين عن الصراعات السياسية هذه، والتي كانت معارك شخصية وعائلية، وأن يتفرغ لما انشغل الآخرون عنه. فـ«كان برنامجه اليومي في المدينة زيارة قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة في مسجده، وتحديث الناس بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وكان يلقي على الناس موعظة يوم الجمعة».[1]

بانصرافه عن تلك الصراعات صان نفسه أولًا ثم أتباعه من أن ينهيهم أعداؤهم بحجة أو بأخرى! وكان بالإمكان أن يذهب دمه في احدى هذه المعارك كعشرات الصحابة وأبنائهم الذين قتلوا

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: جواهر التاريخ؛ سيرة الإمام زين العابدين 4/ 39

في واقعة الحرة، أو في المواجهة بين ابن الزبير والأمويين أو في غيرها.

**الثاني: فترة حكم عبد الملك بن مروان: (من 65 85 هـ)**

استقر الأمر لعبد الملك بن مروان بعد أن قضى على منافسيه من الاتجاه الأموي في الشام، كما قضى على ابن الزبير الذي بدوره كان قد قتل المختار الثقفي، وهكذا صار خليفة المسلمين!! وكان طبيعيًا لتلك الخلافة التي دُفِع عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام، أن تنزل إلى هذا المستوى وأن يصبح الحصول عليها هو بهذه الطريقة لا سواها! وفترة حكمه وإن كانت قد بدأت في سنة 65 هـ إلا أن استقرار الأمر له بالكامل يمكن أن يحسب مع مقتل عبد الله بن الزبير سنة 73 هـ.

والناظر إلى علاقة هذا الحاكم مع الإمام زين العابدين عليه السلام يجد إشارات متخالفة تمامًا، فبينما يشير بعضها إلى احترامه للإمام وتفهمه لدوره وأنه ليس في صدد محاربة الدولة الأموية أو إشهار السلاح ضدها، تجد في المقابل إشارات أخر تفيد بتحديه إياه بل وإشخاصه للشام مقيَّدًا!!

ونعرض في البداية للروايات الدالة على تفهمه للإمام ودوره:

أ/ فمنها ما روي في بصائر الدرجات عن أبي عبد اللّه لمّا ولى عبد الملك بن مروان واستقامت له الأشياء كتب إلى الحجاج كتابًا وخطّه بيده بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف امّا بعد فجنّبني دماء بني عبد المطلّب، فانّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولعوا فيها لم يلبثوا بعدها الّا قليلًا والسّلام، وكتب الكتاب سرّا لم يعلم به أحد وبعث به مع البريد إلى الحجّاج وورد خبر ذلك عليه من ساعته، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام وأخبر انّ عبد الملك قد زيد في ملكه برهة من دهره لكفّه عن بني هاشم وأمر ان يكتب ذلك إلى عبد الملك ويخبره بأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أتاه في منامه وأخبره بذلك فكتب عليّ بن الحسين بذلك إلى عبد الملك بن مروان.[1]

ونقل الحادثة في الخرائج وكشف الغمة بزيادة أن الإمام قد كتب كتابه لعبد الملك، بتاريخ تلك الساعة الّتي أنفذ الكتاب عبد الملك إلى الحجاج بذلك فلما قدم الغلام وسلّمه إليه الكتاب نظر عبد الملك في تاريخ الكتاب فوجده موافقًا لتاريخ كتابه فلم يشكّ في صدق زين العابدين عليه السلام ففرح بذلك وبعث

(1) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام السجّاد 1/ 128 عن بصائر الدرجات/ 417

إليه بوقر دنانير وسأله أن يبسط إليه بجميع حوائجه وحوائج أهل بيته ومواليه وكان في كتابه عليه السلام إنّ رسول اللّه اتاني في النوم فعرفني ما كتبت به إلى الحجاج وما شكر لك على ذلك.[1]

ب/ والحادثة الثانية التي تشير إلى «إنصاف» عبد الملك للإمام السجّاد في قضية الولاية على صدقات رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام والتي نازعه فيها (عمه) عمر بن علي[2] مع أن ولايتها كانت في ولد فاطمة بينما كان الحكام الأمويون يستعملون هذه الولاية لتقوية جانب من الهاشميين على جانب آخر بحسب قربهم وبعدهم من السلطة!

وهي ما رواه الشيخ المفيد فقال:

قال المفيد: روى هارون بن موسى قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز، قال لمّا ولى عبد الملك بن مروان الخلافة ردّ إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام صدقات رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وصدقات عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكانتا مضمومتين، فخرج عمر بن علي إلى عبد الملك يتظلّم إليه من نفسه فقال عبد الملك أقول كما قال ابن أبي الحقيق..

(1) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح1/ 260.

(2) تناولنا شخصية عمر بن علي المعروف بالأطرف، في كتاب آخر وكيف أن سيرته العامة لم تكن منسجمة مع كونه ابن أمير المؤمنين عليه السلام!

وقد نقلها المجلسي بتفصيل هكذا: يروى أنّ عمر بن عليّ عليه السلام خاصم عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى عبد الملك في صدقات النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابنُ ابنٍ فأنا أولى بها منه فتمثّل عبد الملك بقول ابن أبي الحقيق:

**لا تجعل الباطل حقا ولا تلطّ دون الحقّ بالباطل**

قم يا عليّ بن الحسين فقد وليتكها! فقاما فلمّا خرجا تناوله عمر وآذاه فسكت عليه السلام عنه ولم يردّ شيئًا فلمّا كان بعد ذلك دخل محمّد بن عمر على عليّ بن الحسين عليهما السلام فسلّم عليه وأكبّ عليه يقبّله فقال علي: يا بن عمّ لا تمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك فقد زوّجتك ابنتي خديجة ابنة علي.[1]

ج/ والحادثة الثالثة: ما ذكر من استشارة عبد الملك بن مروان الإمامَ السجّادَ عليه السلام في أمر سك النقد، وتخليص الخليفة وحكومته بل والبلاد الإسلامية من تهديد ملك الروم والذي سيأتي الحديث عنه بنحو أكثر تفصيلًا. وقد ذكره على سبيل الإجمال ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية حيث قال

(1) مناقب آل أبي طالب، ج 3، ابن شهر آشوب، ص 308.

في ترجمته: «وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس».[1]

فإن المتأمل في هذه الحوادث لا سيما الأولى يجد أن عبد الملك قد منع الحجاج الثقفي من الإساءة إلى الإمام عليه السلام ووقف أمام تحريضه عليه، وأشار إلى أنه ينبغي أن يتجنب دماء بني هاشم، وأن الولوغ فيها يمكن أن يزيل دولتهم، وفي الخبرين أن الإمام قد ارسل لعبد الملك رسالة أخبره فيها بأنه علم بكتابته إلى الحجاج، وأن النبي أخبره بذلك، وأن نتيجة ذلك أن يزاد في ملكه.

وفي الثانية يلاحظ المتأمل أن عبد الملك كان بإمكانه من الناحية السياسية أن يتخذ من الولاية على صدقات النبي والإمام علي وهي مصدر مالي مهم، طريقة لتقوية عمر الأطرف، وإضعاف الإمام زين العابدين لكنه لم يفعل ذلك ووضع الأمر في موضعه الصحيح حيث كانت الولاية لأبناء علي بن أبي طالب من فاطمة عليها السلام.

وفي الثالثة فإنه استشاره وأخذ برأيه. وهذه الحوادث تعبر عن موقف معقول ومناسب للخليفة الأموي من الإمام عليه السلام.

(1) الدمشقي؛ ابن كثير: البداية والنهاية 9/ 122.

**ومواقف غير مناسبة في روايات أُخر:**

غير أنه في مقابل ذلك نجد روايات تحكي عن حوادث لا تتفق مع هذا المسار بل تشير إلى تشنج في العلاقة وتحد من قبل السلطة الأموية زمان عبد الملك للإمام عليه السلام...

**منها** ما رواه ابن شهاب الزهري في أحوال الإمام عليه السلام قال: شهدت عليّ بن الحسين عليهما السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فاثقله حديدًا ووكل به حفاظًا في عدة وجمع فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه وهو في قبة والأقياد في رجليه والغلّ في يديه فبكيت. وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم، فقال: يا زهري أتظن أن هذا مما ترى عليّ وفي عنقي يكربني، أما لو شئت ما كان. فإنه وان بلغ عنك وبأمثالك ليذكرني عذاب اللّه ثم أخرج يديه من الغلّ ورجليه من القيد. ثم قال: يا زهري لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة قال: قال فما لبثنا إلّا أربع ليال حتى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه..[1]

**ومنها:** ما نقله الكليني في الكافي من أنه: كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها وإن علي بن

(1) المازندراني؛ ابن شهرآشوب: المناقب4/ 132 و أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 3/ 135.

الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العين إلى عبد الملك فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليهما السلام: أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرتَ ولا على ولدك أبقيتَ والسلام! فكتب إليه علي بن الحسين عليهما السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد وأنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتقى في مجد ولا مستزادًا في كرم وإنما كانت ملك يميني خرجت مني أراد الله عز وجل بأمرٍ ألتمس به ثوابه ثم ارتجعتها على سنته ومن كان زكيًا في دين الله فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين!

فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر إن علي بن الحسين عليهما السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس».[1]

(1) الكليني: الكافي 5/ 345.

**ومنها** ما نقل عن لقائه به في الطواف وأن الإمام عليه السلام لم يعبأ بعبد الملك مثلما كان يتوقع! وكأنه كان ينتظر أن يترك الإمام ما هو فيه من الانقطاع إلى الله حين الطواف بالبيت وأن يقبل على الحاكم ويتوجه إليه! فعاتبه عبد الملك على ذلك! فقد نقل الراوندي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت وعليّ بن الحسين عليهما السلام يطوف بين يديه فلا يلتفت إليه ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه! فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: هذا عليّ بن الحسين، فجلس مكانه وقال: ردّوه اليّ فردّوه فقال له: يا عليّ بن الحسين إنّي لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير اليّ.

فقال: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه آخرته! فإن أحببت أن تكون كهو فكن! فقال: كلّا ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا فجلس زين العابدين وبسط رداه وقال: اللّهم أره حرمة أوليائك عندك فإذا رداه مملوّ دررًا يكاد شعاعها يخطف الأبصار!

فقال له من تكون هذه حرمته عند ربّه يحتاج إلى دنياك؟[1]

ج/ والثالثة: ما نقله المازندراني في المناقب من أنه «كتب ملك

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 70.

الروم إلى عبد الملك: أكلت لحم الجمل الّذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزونك مائة ألف ومائة ألف! فكتب عبد الملك إلى الحجّاج ان يبعث إلى زين العابدين عليه السلام ويتوعّده ويكتب إليه ما يقول ففعل فقال عليّ بن الحسين انّ للّه لوحًا محفوظًا يلحظه في كلّ يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة الّا يحيي فيها ويميت ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة! فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم فلمّا قرأه قال ما خرج هذا الا من كلام النّبوة.[1]

وقد نقلت الرواية الأولى حادثة اعتقال الإمام وتقييده بالحديد وتسفيره من المدينة إلى الشام، والحادثة بحسب الرواية وإن تمت بسلام، إلا أن ذلك لا ينفي أن مقدماته من الاعتقال والتقييد والتسفير هي مواقف عدائية سيئة.

بينما نقلت الرواية الثانية تصيد عبد الملك ما تصوره مثلبة وعيبًا في الإمام عليه السلام وحاول تقريعه به ولومه، منطلقًا في ذلك من أفكار عنصرية جاهلية، فأجابه الإمام عليه السلام بجواب حاسم فضح فيه توجهاته.

(1) المازندراني؛ ابن شهر آشوب: المناقب 4/ 161 ونقل نفس الحادثة ابن عبد ربه في العقد الفريد 2/ 73 ولكنه نسبها إلى عبد الله بن الحسن!!

والرواية الثالثة غريبة بعض الشيء فهي من جهة تحمل اعترافًا مبطّنًا بأن الجواب المناسب على تهديد ملك الروم إنما يستطيعه الإمام السجّاد دون غيره ممن يحيط بالخليفة من الفقهاء والعلماء، وهذا يعني تميزه عليهم. ومن جهة أخرى فإنه قد توسل بهذه الطريقة السيئة المعوجة وهي تهديد الإمام عليه السلام للحصول على هذا الجواب؟ وكان بإمكانه أن يسلك الطريق الأقصر والأفضل للحصول على الجواب وهو أن يسأل الإمام!

لكننا نستطيع بشكل عام أن نقول أن الوضع العام للإمام السجّاد عليه السلام، في فترة عبد الملك باستثناء ما تمَّ ذكره أعلاه كان وضعًا مناسبًا، ففي فترة اثنتي عشرة سنة وهي فترة استقرار الأمور لعبد الملك كان الإمام عليه السلام يمارس حياته وبرنامجه وتعليمه للناس بشكل هادئ.

### 9/ الإمام السجّاد وقصة سك النقود

اشتهر بين الكتاب المعاصرين[1] الذين كتبوا عن حياة الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه هو الذي حرر النقد الإسلامي من

(1) انظر حياة الإمام الباقر عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي؛ والإمام الباقر قدوة وأسوة، السيد محمد تقي المدرسي، وأعلام الهداية: سيرة الإمام الباقر لجنة التأليف، وسيرة الامام الباقر (ع) حسين الشاكري..

سيطرة الروم، وقلّ أن تجد كاتبًا لم يتعرض إلى هذه الفكرة عند تأريخه لحياة الإمام عليه السلام.

وهم في ذلك ينطلقون مما جاء في كتاب المحاسن والمساوئ لإبراهيم بن محمد البيهقي الذي ذكر ناقلًا عن الكسائي القصة المفصلة التالية: قال الكسائيّ:[1] دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير قد شقّ عنه البدر شقّا وأمر بتفريقه في خدم الخاصّة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمّله، وكان كثيرًا ما يحدّثني، فقال: هل علمت من أوّل من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي غير أنّه أوّل من أحدث هذه الكتابة.

فقال: سأخبرك، كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيًا على دين الملك ملك الروم، وكانت تطرّز بالرومية وكان طرازها أبًا وابنًا وروحًا قدّيسا. فلم يزل كذلك صدر الإسلام كلّه يمضي على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك فتنبّه عليه وكان فطنًا، فبينا هو ذات يوم إذ مرّ به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن

(1) الكسائي علي بن حمزة الأسدي بالولاء إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة توفي سنة (189 هـ).

يترجم بالعربيّة ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما تعملان بمصر وغير ذلك ممّا يطرّز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرّزت بشرك مثبت عليها!

فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وأن يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد: وشهد اللّه أنّه لا إله إلّا هو. وهذا طراز القراطيس خاصّة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغيّر. وكتب إلى عمّال الآفاق جميعًا بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرّزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل.

فلمّا أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضبًا وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرّز هناك للروم ولم يزل يطرّز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدّمك من الخلفاء

قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الخلّتين أيّتهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهديّة تشبه محلّك وأحببت أن تجعل ردّ ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرّز من أصناف الأعرق حاجة أشكرك عليها وتأمر بقبض الهديّة. وكانت عظيمة القدر.

فلمّا قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهديّة. فانصرف بها إلى صاحبه، فلمّا وافاه أضعف الهديّة وردّ الرسول إلى عبد الملك وقال: إني ظننتك استقللت الهديّة فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي فأضعفت لك الهديّة وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه من ردّ هذا الطراز إلى ما كان عليه أوّلا. فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه وردّ الهديّة. فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنّك قد استخففت بجوابي وهديّتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهديّة فأضعفتها فجريت على سبيلك الأوّل وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرنّ بردّ الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم، فإنّك تعلم أنّه لا ينقش شيء منها إلّا ما ينقش في بلادي. ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام. فينقش عليها من شتم نبيّك ما إذا قرأته ارفضّ جبينك له عرَقًا، فأحبّ أن

تقبل هديّتي وتردّ الطراز إلى كان عليه وتجعل ذلك هديّة بررتني بها ونبقى على الحال بيني وبينك.

فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الأرض وقال: أحسَبُني أشأم مولود ولد في الإسلام لأني جنيت على رسول اللّه، صلى الله عليه وآله وسلم، من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب. إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. وجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأيًا يعمل به. فقال له روح بن زنباع: إنّك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنّك تتعمّد تركه. فقال: ويحك من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم! قال: صدقت ولكنّه أرتج عليّ الرأي فيه.

فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين مكرَّمًا ومتّعه بمائتي ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته وأزح علّته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليّ. فلمّا وافى أخبره الخبر فقال له عليّ: لا يعظمنّ هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أنّ اللّه جلّ وعزّ لم يكن ليطلق ما يهددك به صاحب الروم في رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، والأخرى وجود الحيلة فيه.

قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصنّاع يضربون بين يديك سككًا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، أحدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسّنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهمًا عددًا من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعًا واحدًا وعشرين مثقالًا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدّة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصبّ سنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل.

وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنّما هي الكسرويّة التي يقال لها اليوم البغليّة لأن رأس البغل[1] ضربها لعمر بن الخطّاب، رحمه اللّه، بسكّة كسرويّة في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسيّ مكتوب بالفارسيّة: نوش خر، أي كل هنيئًا. وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالًا. والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستّة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السّميريّة الخفاف والثّقال، ونقشها نقش فارس.

(1) صرّاف يهودي.

ففعل عبد الملك ذلك. وأمره محمّد بن عليّ بن الحسين أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام وأن يتقدّم إلى الناس في التعامل بها وأن يتهدّدوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها وأن تبطل وتردّ إلى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الإسلاميّة.[1]

وقد اعترض الدكتور جواد كاظم النصر الله،[2] على الرواية المذكورة واصِفًا إياها بأنها يغلب عليها طابع السمَر والقصص بعدة ملاحظات؛ منها ما يرتبط بكيفية وصول هذه القصة المفصلة من الكسائي (وهو المتوفى سنة 189 هـ إلى البيهقي وهو المتوفى سنة 320هـ)، ومتعجبًا من عدم وجود هذه القصة في أي من المصادر الإمامية الأصلية! لكنه رجح أن يكون البيهقي قد نقلها عن احد كتب الكسائي وربما يكون كتاب النوادر المشهور، وأن الكسائي وهو الخبير الموثوق في القراءات لا يمكن أن يختلق قصة لا أصل لها.

ثم شرع في النقد الداخلي للرواية القصة وحاول أن يجيب على تلك الانتقادات. منها إظهارها عبد الملك بن مروان على

(1) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، ص 342، وذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى 1/ 97

(2) في دراسته القيمة المنشورة في مجلة تراث النجف عدد 2 سنة 1434 هـ / الكترونية لوحظت بتاريخ 1/ 4/ 1444 هـ.

أنه فطِن وأنه لا يخاف تهديد ملك الروم ولم يقبل هديته، وأنه لحرصه على الأمر جمع «أهل الإسلام» لمعالجته، وانه استجاب لرأي روح بن زنباع في استشارة الإمام محمد بن علي بن الحسين، وأنه يعلم أن الحل بيده! (مع ملاحظة أن الإمام الباقر حينها (سنة 76هـ) كان في حدود العشرين من العمر وأن الإمامة العامة كانت لأبيه السجّاد عليه السلام فكيف لم يرسل له؟

كما أنه بملاحظة أن النقد كان له قوة شرائية كبيرة فإن الأرقام التي ذكرت لتجهيز مجيء الإمام (الباقر في الرواية تلك) تعتبر كبيرة جدًا! (لجهازه ونفقته 500 ألف درهم!!). فما هو المقصود من هذه الأرقام؟ مع العلم أن عبد الملك كان معروفًا بالبخل للغاية.[1] هل لتغيير هذه الصورة؟ أو لبيان إحسان بني أمية للأئمة؟

وانتهى إلى سيناريو آخر في هذه المسألة، خلاصته: أن الذي أشار بسك النقود على عبد الملك بن مروان هو الإمام علي بن الحسين السجّاد، فقد أشار إليه ابن كثير (ت 774هـ) في البداية والنهاية[2] والشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت 786هـ) والصعدي في كتابه جواهر الأخبار والآثار. كما أن قضية سك النقود كانت ما بين سنة (74 و 76 هـ).

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 7/ 194.. وكان عبد الملك يلقب «رشح الحجر» لبخله.

(2) الدمشقي؛ ابن كثير: البداية والنهاية 9/ 122.

وبعد أن ذكَّر بأن عبد الله بن الزبير وأخاه مصعبًا قد سكّا النقد وأوصلاه إلى الناس، أشار إلى أن السبب إقدام عبد الملك بن مروان على ضرب الدراهم وسكها، أنّه واجهته «مشكلة اقتصادية متعلقة بالسياسة وعليه يجب حلها فالنقد المتداول يحمل إشارات لخصومه السياسيين من آل الزبير فما كان عليه إلا أن يعقد اجتماعا لتداول الرأي.. وهنا اشار مستشاره روح بن زنباع عليه بأن معرفة ذلك هو عند الباقي من أهل البيت وهو زين العابدين عليه السلام، إشارة منه إلى الاستفادة من تجربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي تناولها بالتفصيل في أول الدراسة».

وأما علاقة الروم بهذا الأمر، فقال «إن عبد الملك أثناء صراعه الداخلي لتثبيت خلافته عقد اتفاقًا مع ملك الروم يدفع بموجبه مبلغا من المال ليكف ملك الروم عن حربه وبعد أن استتب الأمر لعبد الملك وضرب النقد الجديد دفع الجزية المترتبة عليه بهذا النقد مما دعا ملك الروم لرفضه وكانت حجة لعبد الملك لقطع الجزية عن الروم».[1]

ويمكن تأييد ما ذكره الدكتور بما ورد في التاريخ من وجود المردة المسيحيين الذين كانوا يغيرون على أطراف بلاد الشام

(1) مجلة تراث النجف ص 284.

مدعومين من جهة الروم وأن عبد الملك لأجل السيطرة على تلك الأطراف عقد اتفاقا مع الروم يعطيهم بموجبه مبلغًا ماليًّا لكي لا يهاجموه.

إلا أن للناظر أن يتساءل عن الدافع المهم الذي يجعل الإمام السجّاد عليه السلام يقوم بالدور الأكبر في هذه القضية لصالح عبد الملك بن مروان وضد ما تبقى من آثار الزبيريين الموجودة على السكة والنقد! وبعبارة أخرى يمكن لنا أن نتفهم مسارعة الإمام لحماية اقتصاد المسلمين في وجه الروم، كما تفترضه رواية البيهقي في المحاسن، وذلك لأن حفظ استقلال المسلمين اقتصاديًّا وسياسيًّا وحماية اسم النبي المصطفى وشخصيته من السب والشتم كما هدد بذلك ملك الروم بحسب الرواية المذكورة، كل ذلك مفهوم وواضح. لكننا قد لا نجد نفس التفهم في النظرية التي ساقها الدكتور النصر الله، من أن الإمام دخل على هذا الخط لمناصرة عبد الملك في تصفية آثار الزبيريين، هذا مع معرفتنا بمقدار العداء الزبيري للطالبيين.

ويبدو لي والله العالم أن هذه القصة تعرضت لها روايات متعددة، ولكنها مجتزأة فكل رواية تعرض لجانب من القصة، فبعضها أخذ الجانب التاريخي الرسمي ونسب سك النقود

لعبد الملك من جهة أنه الخليفة والحاكم الرسمي للبلاد الإسلامية واكتفى بذلك، وبعضها الآخر أشار إلى أن ملك الروم قد هدد عبد الملك بأنه سيكتب على النقد شتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واكتفى بذلك. وبعضها أشار إلى أن الاستدعاء كان للإمام الباقر عليه السلام بعنوان محمد بن علي بن الحسين، وهكذا. وهي بذلك أشبه بلوحة مقسمة إلى أقسام كان لدى كل مؤرخ أو كاتب قسم منها وكان الباقي موزعًا عند الآخرين.

ولكننا نستطيع أن نخلص منها إلى الأمور التالية:

1/ أن الفاعل الأكبر فيها كان هو الإمام السجّاد عليه السلام،[1] وما ورد في بعض الروايات ومنها رواية المحاسن من أن الباقر هو الذي دُعي أو سافر للشام، إما أن يحمل على الاشتباه والتصحيف، أو على أن الباقر عليه السلام كان المباشر فيها بينما صاحب الخطة والتدبير كان والده الإمام السجّاد، وهذا الأخير هو ما ذهب إليه بعض المؤرخين.[2]

2/ إننا نعتقد أن أساس دخول الإمام السجّاد عليه السلام فيها بهذا النحو المؤثر كان لأجل أن القضية أصبحت أبعد من تهديد حاكمٍ

(1) انظر البداية والنهاية وغيره.

(2) ينظر: السيد جعفر مرتضى العاملي في دراسات وبحوث 1/ 127.

لحاكمٍ، وإنما أصبح فيها الوجود الإسلامي مهدَّدًا، وحينها فالإمام ينسى كل إساءات أهل الخلافة له ولأهله ويبقى ذاكرًا لحفظ الإسلام، وليس بعيدًا عنه موقف جده أمير المؤمنين عليه السلام «فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله؛ أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل».[1]

**الثالث: وضع الإمام في حكومة الوليد بن عبد الملك (86 هـ إلى شهادة الإمام)**

كأنّ عبد الملك بن مروان لم يكفه الآثام التي ارتكبها بشكل مباشر[2] أيام حكومته التي استمرت حوالي عشرين سنة، فأراد أن يتممها (ولا تمام فيها) بوصيته السيئة لابنه الأسوأ منه، الوليد بن عبد الملك، فقد أوصاه في آخر حياته بم سيكون برنامج عمل في ولايته وسيزيد عليه أضعافًا (فقال: لا ألفينك إذا مت تجلس تعصر عينيك، وتخن خنين الأمة ـ الخنين: البكاء ـ ولكن شَمّرْ وأتزر، البس جلد نمر، ودلني في حفرتي، وخلني وشأني، وعليك وشأنك، ثم ادع الناس إلى البيعة، فمن قال هكذا فقل

(1) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام/ 451.

(2) سئل أحدهم عن عبد الملك بن مروان فقال: ما أقول في رجلٍ، الحَجّاجُ سيئة من سيئاته؟

بالسيف هكذا.[1]

ثم أرسل إلى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد، فقال: هل تدريان لم بعثت إليكما؟ قالا: نعم، لترينا أثر عافية الله إياك، قال: لا، ولكن قد حضر من الأمر ما تريان، فهل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء؟ فقالا: لا، والله ما نرى أحدًا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين.

قال: أولى لكما، أما والله لو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه أعينكما».[2] وطبق الولد وصية ذلك الوالد وسيرته، فكان شديد القسوة.

وجاء الوليد هذا بصفاته التي تجاوزت سيئات أبيه، حتى لقد عد العلامة الكوراني (16) ست عشرة صفة سيئة مما ذكرته كتب التاريخ بشكل متفرق، ينتهي فيها الناظر إلى الأسى والأسف على ما آل إليه حال أمة صنعها النبي كخير أمة أخرجت للناس، وحال خلافة كانت مفصلة على مقاس أمير المؤمنين عليه السلام لولا أنه أبعد عنها، فإذا بها تنحدر سنة بعد أخرى ومرحلة بعد مرحلة حتى

(1) يعني من خالفك فاضرب عنقه! وقد أكد هو على تطبيقه وصية والده فقد قال في خطبته في أيامه الأولى كما روى الطبري في تاريخه 5 / 213: «أيها الناس: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه»!

(2) ابن عساكر؛ علي بن الحسن: تاريخ دمشق 16/ 128.

وصلت إلى هذا الدرك الأسفل.

وحيث أن حديثنا يرتبط بالإمام زين العابدين عليه السلام وحياته في عهد هذا الحاكم، فسنقتصر الحديث على ما يرتبط به.

أ/ فمن ذلك ما قام به الإمام عليه السلام من الوساطة والشفاعة لرفع العذاب والأحكام الجائرة التي أصدرها هذا الحاكم بحق بعض من يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، وقد كان الإمام عليه السلام في تلك الفترة شخصية اجتماعية مهمة لنسبه من جهة وعلمه من أخرى ولحضوره الاجتماعي بين الناس من جهة ثالثة.

فإنه قد «كتب الوليد بن عبد الملك إلى صالح بن عبد اللّه المري عامله على المدينة: أبرزْ الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وكان محبوسًا في حبسه واضربه في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة سوط، فأخرجه صالح إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر يقرأ عليهم الكتاب ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن.

فبينما هو يقرأ الكتاب إذ دخل عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فافرج الناس عنه حتّى انتهى إلى الحسن بن الحسن، فقال له: يا بن عمّ ادع اللّه بدعاء الكرب، يفرّج عنك، فقال: ما هو يا بن العمّ؟ فقال: قل «لا اله الا الله العلي العظيم، سبحان

اللّه ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، والحمد للّه رب العالمين» قال: وانصرف عليّ بن الحسين عليهما السلام وأقبل الحسن يكررها، فلمّا فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل، قال: أرى سجية رجل مظلوم، أخّروا أمره وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه وكتب صالح إلى الوليد في ذلك، فكتب إليه أطلقه».[1]

ونفس الأمر جرى على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، فإنه بعدما وُشي به أنه يدعو إلى نفسه ويعارض السلطان فقد «كتب الوليد إلى عامله بالمدينة في إشخاص أبي هاشم إليه، فلما وصل إلى باب الوليد (في دمشق) أمر بحبسه في السجن، فمكث فيه مدة»

يقول البلاذري: فوفد في أمره علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقدم على الوليد فكان أول ما افتتح به كلامه حين دخل عليه أنه قال: يا أمير المؤمنين ما بال آل أبي بكر، وآل عمر، وآل عثمان يتقربون بآبائهم فيكرمون ويحيون وآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتقرّبون به فلا ينفعهم ذلك؟! فيم حبست ابن عمي عبد الله بن محمد طول هذه المدة؟! قال: بقول ابن عمكما زيد بن

(1) ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: مهج الدعوات ومنهج العبادات/ 344.

الحسن،[1] فإنه أخبرني أن عبد الله بن محمد ينتحل اسمي[2] ويدعو إلى نفسه وأن له شيعة بالعراق قد اتخذوه إمامًا!.

فقال له علي بن الحسين: أوَما يمكن أن يكون بين ابني العم منازعة ووحشة كما يكون بين الأقارب فيكذب أحدهما على الآخر؟! وهذان كان بينهما كذا وكذا!

«فأخبره خبر صدقة على بن أبي طالب وما جرى فيها، حتى زال عن قلب الوليد ما كان قد خامره، ثم قال له: فأنا أسألك بقرابتنا من نبيك ﷺ لما خليت سبيله.

فقال: قد فعلت، فخلى سبيله».[3]

ب/ وإذا كانت صفات الوليد السيئة كثيرة، فإن ما يهمنا منها هنا هو ما ارتبط بتعامله وعلاقته بالإمام ﷺ، فقد عرف بخصلتين سيئتين: البلادة في العلم والمعرفة، ولذلك فإن أقرب شيء وأسهله عند العرب عندئذ هو إتقان اللغة وآدابها وكان هذا

(1) كان زيد بن الحسن (المجتبى) على خلاف سيرة آبائه وبني عمومته قد التحق بالأمويين وكانت له علاقات معهم واستنصر بهم وزوج بعضهم بناته، وهذا الموقف تجاه أبي هاشم ربما يكون ضمن تلك السيرة المذمومة.

(2) يعني يتهمه بأنه يدعو الناس لبيعته كأمير للمؤمنين!

(3) البلاذري: أنساب الأشراف 3/ 272.. ولكنه بعد ذلك وعلى عادة الملوك من الغدر، فإنه بعد أن رخص له الخروج خرج عن دمشق متوجها إلى المدينة، فدس إليه الوليد إنسانًا يبيع اللبن وفيه السم وكان عبد الله يحب اللبن ويشتهيه – فلما سمعه ينادي على اللبن تاقت إليه نفسه فاشترى منه فشربه فأوجعه بطنه واشتد به الأمر.. وكانت في ذلك نهايته.

الرجل يلحن فيها بشكل فاحش حتى لا يعرف الفعل من الفاعل،[1] فضلًا عن الالتزام بقواعد النحو! وعزاه بعضهم إلى أن أباه وأمه كانا يترفانه فشب بلا أدب!

هذا الجهل الفاضح وقلة الأدب كان من الطبيعي أن ينتج شخصًا حاقدًا على باب مدينة العلم وصاحب مقولة: سلوني قبل أن تفقدوني! فهل تتوقع من الظلام أن يحب النور؟ ولهذا فقد عُدّ الوليد من الحكام الناصبة والحاقدين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام! حتى كان يفيض بعفنه بما لا يقوله غيره، فقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ / 278 أنه صعد المنبر فقال: علي بن أبي طالب لُصٌّ ابنُ لُص، صُب عليه شؤبوب عذاب! فقال أعرابي كان تحت المنبر: ما يقول أميركم هذا! وفي شرح النهج: 4 / 58 أنه قال: لعنَه اللَّهِ (بالجرّ)، كان لص ابن لص![2]

ولا ريب أن مثل هذه المواقف تجد طريقها إلى سياسات

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق 63/ 167.. قيل دخل عليه أعرابي، فَمَتَّ بصهر بينه وبين بعض قرابته، فقال: من خَتَنَكَ؟ قال فوجم الأعرابي فقال: بعض هذه الأطباء! فقال سليمان: إنما يريد أمير المؤمنين من خَتَنُكَ؟ فقال الأعرابي: نعم، فلان!. (فإن سؤال الخليفة الجاهل للأعرابي سؤال عن من قام بختانه!! وبفتحه النون جعل الاسم فعلا! وهذا ما حيّر الأعرابي وأدهشه إذ كيف يسأله الخليفة عمن قام بختانه! وأنّى له أن يتذكر ذلك؟ وقد أنقذ الموقفَ أخوه سليمانُ الذي صحح خطأ الخليفة وقال للأعرابي إن الخليفة (الجاهل) إنما يسأل عن ختنِه، والختَن: في اللغة أَبُو امْرَأَةِ الرَّجُلِ وَأَخُو امْرَأَتِهِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ امْرَأَتِهِ.

(2) نقله عن مصادره الشيخ علي الكوراني في كتابه جواهر التاريخ سيرة الإمام زين العابدين 4/ 419.

الدولة وبرامج الولاة، وسيكون إظهار البغض والعداوة لأمير المؤمنين ثاني رجل في الإسلام هو وسيلة التقرب من الناس[1] لهم ومنهم للخلفاء. فلا غرابة بعد ذلك أن تكون سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي العامة الذي عبر عنه الوليد بن عبد الملك إنه جلدة وجهه كله![2] سياسته العامة تتبع أصحاب علي أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، وفرض صنوف العذاب والقتل عليهم.

**سياسة الوليد وولاته بغض علي وقتل شيعته:**

جاء الحجاج بن يوسف الثقفي الذي وصفه الوليد بن عبد الملك بأنه وجهه كله، وليس جلدة وجهه فقط، وتولى على المدينة

(1) قدم عليه جماعة فقال أحدهم: أيها الأمير إنَّ أهلي عقّوني فسموني عليًّا، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فسُرّ الحجاج بذلك، وقال له: للطف ما توسلت به، فقد وليتك موضع كذا.
وافتخار عبد الله بن هانئ الأودي وتعداده مناقب أود قومه في رده على الحجاج الذي استهان بأود فقال كما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة4/ 61.. قال هذا: فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب، قال: وما هي؟ قال: ما سب أمير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط، قال: منقبة والله، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلًا، ما شهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأ سوء، قال: منقبة والله، قال: ومنا نسوة نذرن: إن قتل الحسين بن علي أن تنحر كل واحدة عشر قلائص، ففعلن، قال: منقبة والله، قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنيه حسنًا وحسينًا وأمهما فاطمة! قال: منقبة والله! إلى آخر مخزياته..

(2) ففي البيان والتبيين للجاحظ / 137: (خطب الوليد بن عبد الملك فقال: إن أمير المؤمنين كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عينيَّ. ألا وإنه جلدة وجهي كله).

سنتين (من 73 إلى 75 هـ)، وعلى العراق كان عشرين سنة (من 75 إلى 95 هـ)، وقد نقل عن الإمام الباقر صورة معبرة عن شخصية هذا الرجل وفعله كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرحه على النهج، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «... جاء الحجاج فقتلهم [الشيعة] كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال: شيعة علي فكان الحجاج يقرّب من يبغض عليّا عليه السلام ويوالي أعداءه، فكثُر الطعن فيه والشنآن له عليه السلام.[1]

وكان خلفه هشام بن إسماعيل المخزومي[2] (تولى المدينة من 82 إلى 86هـ) مع عداوة أحدهما للآخر ـ مثله أو أسوأ منه في العداء لأهل البيت والبغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد لقي منه الإمام السجّاد شخصيًّا أذى كثيرًا، حتى أن هشامًا هذا عندما عُزل وأقيم أمام أهل المدينة لكي يأخذ المظلومون حقوقهم منه لم يخشَ أحدًا كخشيته من علي بن الحسين ولكن الإمام كخلق أبيه أمير المؤمنين وجده رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتعرض له بكلمة وأمر بني هاشم أن لا يقتصوا منه ما آذاهم![3] ولا غرابة (فكل إناء بالذي فيه ينضح).

(1) ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة11/ 44.

(2) ميزته التي جعلته يصبح واليًا على المدينة أنه زوج ابنته إلى عبد الملك بن مروان، فجعله واليًا!!

(3) الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام 2/ 1014.. كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي بن الحسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي، فلما ولي الوليد عزله، =

وكان الأمويون وولاتهم يرمون من وراء تلك الأعمال إلى إبعاد الخط الصحيح في الإسلام، تمامًا عن الأمة.

فمن جهة أصبح شتم علي أمير المؤمنين عليه السلام سياسة عامة، وسنة قائمة ولا تخلو خطب الجمع والمناسبات منها!

ومن أخرى منع الحديث عنه وفيه صلوات الله عليه.

ومن جهة ثالثة تمَّ التنكيل بشيعته والموالين له بل وتم تعمد أقاربه وأحفاده بالأذى والاضطهاد.

ولولا سياسة الإمام السجّاد عليه السلام وتدبيره لكان خط آل محمد منفيًّا ولا وجود له في حاضر الأمة. إلا أنه صلوات الله عليه أبطل ما كانوا يصنعون، فإذا بعلم أهل البيت عليهم السلام يعود لساحة الأمة، وإذا بالإمام السجّاد وهو حفيد أمير المؤمنين يصبح مجمع الناس والشخصية التي تلتقي كل أطياف الأمة على محبتها!

وإذا صح ما نقله الزهري[1] عن دخوله مع الإمام السجّاد على

= وأمر بأن يوقف للناس، فقال سعيد بن المسيب لولده محمد: لا تؤذه فإني أدعه لله وللرحم، ومر عليه علي بن الحسين، فسلم عليه، فقال هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

(1) ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: فتح الأبواب/ 170 قال الزهري: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبدالملك بن مروان، فاستعظم عبدالملك ما رأى من أثر السجود بين عينيّ علي بن الحسين فقال: يا أبا محمد!.. لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله قريب النسب، وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل =

عبد الملك بن مروان وما قاله له، واعجاب عبد الملك بعبادة الإمام وانقطاعه لخالقه فإنما يعكس هذه الحقيقة؛ أنه بينما أراد الأمويون (نفي) أهل البيت اجتماعيًا وإسلاميًا فإذا بهم يتوسطون الأمة ويحتلون معاقد قلوبها، بل حتى رأس السلطة المعادي لهم.

ونحن نلحظ تأثر الزهري الشديد بالإمام عليه السلام وانجذابه لشخصيته بالرغم من أن خياره الدنيوي ووظيفته كانت بني أمية حيث كان قاضيهم! ولكنه مع ذلك يقول في الإمام كلامًا عجيبًا لمن سأله عن الإمام قال: قلت للزهري: لقيتَ علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: نعم لقيتُه، وما لقيت أحدًا أفضل منه، والله!. ما علمت له صديقا في السر، ولا عدوًا في العلانية.. فقيل له: وكيف ذلك؟.. قال: لأني لم أر أحدًا ـ وإن كان يحبه ـ إلّا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحدًا ـ وإن كان يبغضه ـ إلا وهو لشدة مداراته له يداريه.[1]

= بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يُؤته أحد مثلك ولا قبلك، إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه..
فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرتَه ووصفتَه من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم.. إلى آخر كلامه. وبحسب النقل المذكور فإن عبد الملك تأثر كثيرًا بكلام الإمام وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ما له في الآخرة من خلاق!.

(1) الصدوق: محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع 1/ 268.

ولو تتبعنا ما كان في أول الأمر بعد شهادة الإمام الحسين ﷺ، والذي عبر عنه الإمام السجّاد ﷺ بقوله «ما بمكة والمدينة عشرون رجلًا يحبنا»[1] أو القول الآخر «ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا كذا وكذا»[2] وخطة الأمويين في محاصرة خط الإمامة، وبين ما صار إليه الأمر بعد جهود زين العابدين العلمية والتي ستأتي الإشارة إلى جانب منها والاجتماعية في رعايته للفقراء وغير ذلك بحيث ما بقي من علماء تلك الفترة من يشار إليه إلّا وأشار للإمام ﷺ بالتفوق والتميز في خطي العلم والورع، فبالإضافة إلى ما نقلناه عن الزهري آنفا، ينقل عن غيره من الكلمات في فضل ومنزلة الإمام مثله وأكثر، فهذا زيد بن أسلم وهو من أفاضل فقهاء المدينة ومفسري القرآن الكريم، يقول عنه ﷺ «ما جالست في أهل القبة مثله ـ أي مثل علي بن الحسين ـ»،[3] ويحدث عنه وعن علمه يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري قائلًا: سمعت علي بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركته.[4] ومثل ذلك قال عنه حماد بن زيد.

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 104.

(2) قد أوضحنا في موضع آخر أن المقصود بالارتداد ليس الارتداد الاصطلاحي المُخرِج عن الإسلام.

(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق41/ 373 وهذا القول ينفي بشكل غير مباشر ما ذكرته بعض مصادر مدرسة الخلفاء من أن عليًا بن الحسين ﷺ كان يذهب ليجلس إلى زيد ليستفيد منه في دينه تارة كما قالوا وفي علمه أخرى، والذي نعتقده هو العكس تمامًا.

(4) نفس المصدر السابق والصفحة.

بل حتى في طبقة الحاكمين فمع أنهم كانوا يجدون أنفسهم على خط المخالفة للإمام ولإرشاداته وتخطيطه إلا أنهم مع ذلك كانوا لا يملكون أنفسهم من الاعجاب بالإمام عليه السلام فقد ذكر ابن سعد في الطبقات أنه «كان علي بن الحسين أحب الناس إلى مروان وابنه عبد الملك».[1]

وهكذا «انقلب كل ذلك ـ في نهاية المطاف ـ بفضل سياسة الإمام زين العابدين عليه السلام، إلى أن يكون علي بن الحسين أحب الناس إلى حكام بني أمية».[2]

ونقل عن عمر بن عبد العزيز أيام ولايته على المدينة أنه بن عبد العزيز: أنه قال يوما وقد قام من عنده علي بن الحسين عليهما السلام: من أشرف الناس؟ فقالوا أنتم، فقال كلا فإن أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفًا من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد.[3]

وهكذا عدوه والي المدينة هشام بن إسماعيل الذي كان يؤذيه ويؤذي شيعته قد أقر بأن «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 12/ 487.

(2) الجلالي؛ السيد محمد رضا: جهاد الإمام السجّاد / 63.

(3) الآبي؛ منصور بن الحسين: نثر الدر في المحاضرات 2/ 85، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء 1/ 419.

بل كان حضوره في عامة الناس واحترامهم له يفوق الوصف، وما حادثة الطواف حول الكعبة وانفراجة الناس عن طريقه وكأن عصا موسى قد شقت موج الطائفين ليطوف الإمام ويستلم الحجر كما شاء، بينما ولي العهد حينها هشام بن عبد الملك قد جهد أن يصل إلى الحجر الأسود من دون جدوى، وحينها انبرى الفرزدق الشاعر ليسجل هذا الموقف العظيم بذلك الشعر العظيم معددًا فيه صفات سيد العابدين علي بن الحسين. هذا في حياته.

وأما بعد مماته فإن المؤرخين ينقلون أن المدينة كلها خرجت لتشييع الإمام السجّاد عليه السلام، حتى أن أحدهم لم يجد مسجد الرسول خاليًا إلا في ذلك اليوم!

إن هذه الإشارات والملاحظات تبين بوضوح كيف أن الإمام السجّاد أعاد الاعتبار لمذهب أهل البيت وخط الإمامة في المدينة ومكة بحضوره وتعليمه وإرشاده وسائر خططه، ولولا ذلك الأمر لعاد المذهب غريبًا منفيًا ولما أمكن لابنه الإمام الباقر عليه السلام أن يبقر العلم ويخرجه للأمة، معتمدًا على هذا الحضور والوجود المتميز الذي صنعه أبوه الإمام السجّاد عليهما السلام.

**10/ خاتمة جرائم الوليد تسميم الإمام السجّاد عليه السلام:**

لئن كانت جرائم الوليد كثيرة فلا ريب أن أعظمها وأشنعها

أقدامه على سم الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ولم يكن القتل والاغتيال غريبًا عند الوليد بل كان يقدم عليه بشكل مسرف ويستخدم القتل بالسم كوسيلة قريبة ويسيرة لتحقيق غرضه في التخلص من الآخرين!

فقد ذكرنا آنفًا أنه أمر بتسميم ابن عم الإمام السجّاد، الحسن بن الحسن المجتبى (المعروف بالمثنى) وبالفعل فقد قضى مسمومًا بسبب ذلك وفعل نفس ذلك مع ابن عمه الآخر أبي هاشم بن محمد بن الحنفية حيث دسّ له في طريق عودته للمدينة شخصًا يبيع اللبن وكان يحبه، وجعل فيه السم فقتله به كما ذكر ذلك البلاذري في الأنساب.

مشوار طويل من القتل والاغتيال بشكل مباشر أو عن طريق الولاة الظلمة وعلى رأسهم الحجاج الثقفي سار فيه الوليد بن عبد الملك، ولم يكن هؤلاء يعملون من تلقاء أنفسهم وإنما يطبقون أوامر و(إرادات) خليفتهم، وهنا تأتي قائمة من قتلهم الحجاج الثقفي مسجلة في آثامها بالإضافة إليه، في سواد صحيفة الوليد بن عبد الملك.

كان أسوأ ما عمله الوليد هو أنه أمر بتسميم الإمام علي بن الحسين عليه السلام في المدينة.

وقد ذكر تسميمه إياه علماء الطائفتين، فقد ذكر الشيخ الصدوق (ت 381هـ) في كتابه الاعتقادات: «وعلي بن الحسين سيد العابدين» عليه السلام «سمَّهُ الوليد بن عبد الملك فقتله»[1]، ونسبه ابن حجر العسقلاني (ت 974 هـ) إلى أنه قيل على عادة بعض مؤرخي مدرسة الخلفاء من نقل الحدث من دون إدانة الخليفة الحاكم، فقال في الصواعق: 2/ 585: «توفي وعمره سبع وخمسون، منها سنتان مع جده علي، ثم عشر مع عمه الحسن، ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين. وقيل سمه الوليد بن عبد الملك».[2]

وقد بحث المرحوم السيد عبد الرزاق المقرم[3] المسألة في صفحات من كتابه، فإنه في البداية ثبت أن الشهادة في سبيل الله والخروج من هذه الدنيا هي مرتبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام لا يُدفعون عنها، وردّ كل ترديد في ذلك مستشهدًا بما روي عن الإمام الحسن المجتبى بأنه «يملك هذا الأمر اثنا عشر إمامًا ما منهم إلا مقتول أو مسموم» وقريب منه ما روي عن الإمام الصادق «ما منا إلا مقتول

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الإعتقادات / 541 وأشار المحقق في الهامش إلى بعض المصادر التي ذكر فيها مسموميته عليه السلام فقال: انظر الفصول المهمّة لابن الصباغ: 208، عنه نور الأبصار: 286. وقيل: سمّه هشام بن عبد الملك، في ملك وليد بن عبد الملك. المصباح للكفعمي: 522، عنه البحار: 46 / 152 باب 10.

(2) العسقلاني؛ ابن حجر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة 2/ 585.

(3) المقرم؛ السيد عبد الرزاق: الإمام زين العابدين / 331.

شهيد» وكذلك عن الإمام الرضا وهو على قيد الحياة قائلًا: ما منا إلا مقتول شهيد! وعندما سئل وأنت أيضًا قال: نعم يقتلني شر عباد الله!

وقد استفاد السيد المقرم من تركيب الجملة التي احتوت على النفي التام المتعقب بالاستثناء (ما منا.. إلا) وهو أقوى أصناف الإثبات، وهي في هذا كالذكر: لا إله إلا الله!

ثم شرع في تعداد من ذكر شهادة الإمام عليه السلام بالسم، فأشار إلى ابن جرير الطبري (الإمامي) في دلائل الإمامة، وإلى الشيخ الكفعمي في جدول المصباح وفي جدول شرح ميمية أبي فراس الحمداني، وأرجوزة الحر العاملي، وجدول أحسن التقويم للسيد عبد الله شبر والأنوار النعمانية للجزائري، ورسالة المواليد للسيد محمد جد السيد بحر العلوم وأرجوزة الشيخ الفتوني وكذلك اتحاف الشبراوي والفصول المهمة لابن الصباغ والصواعق المحرقة لابن حجر.. وذكر أرقام صفحاتها. وانتهى إلى أنه قبض عليه السلام مظلومًا مضطهدًا شهيدًا بسُمٍّ أوعز به الوليد بن عبد الملك إلى أخيه هشام.

واعتبر المرحوم الشيخ أسد حيدر أن الأمر لكثرة من ذكره من المؤلفين والمصنفين مما لا يترك مجالا للشك في تحققه[1].

(1) حيدر؛ الشيخ أسد: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 1/ 120.

**هل هو هشام أو الوليد؟**

ثم إنه في بعض المصادر قد ذكر صراحة أن الوليد بن عبد الملك، بينما ذكر في أخرى أنه هشام بن عبد الملك، وبين تولي الشخصين للخلافة فترة طويلة، فبينما مات الوليد سنة 95 هـ، تولى هشام الخلافة بعده بعشر سنوات أي بدءا من سنة 105 هـ.

وبالرغم من أن هشامًا بن عبد الملك لم يكن والي المدينة في عهد أخيه الوليد إلا أنه كان له دور مهم جدًا أيام ولاية أخيه بالرغم من كونه صغير السن حينها، فإن الوليد قد عينه قائدًا عسكريًا لقتال الروم في سنة 87 هـ وكان حينها في السادسة عشر من العمر، وفي هذه الفترة أيضًا جاء إلى مكة المكرمة وحصلت له القصة المشهورة مع الإمام زين العابدين عليه السلام في الطواف حول الكعبة وما قاله الفرزدق الشاعر في قصيدته المعروفة.

هذا بالرغم من أن والي المدينة في سنة شهادة الإمام عليه السلام كان عثمان بن حيان المري.[1] وهو مع كل هذا من الناحية الرسمية تحت هشام بن عبد الملك.

(1) حيث تولاها من سنة 93 إلى سنة 96هـ. وهو الذي أشار به الحجاج الثقفي على الوليد بن عبد الملك بحيث عزل عمر بن عبد العزيز عن ولاية المدينة وولّاه عليها! ووُصف كما قال ابن عساكر أنه: كان في سيرته عنف، وعن ابن شوذب أنه قال: الحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالمدينة، وقرة بن شريك العبسي بمصر، امتلأت والله الأرض جورًا!.

# من أدوار الإمام السجّاد عليه السلام

هناك طريقتان من الحديث عن هذا الجانب والتحليل لدور الإمام عليه السلام وأعماله.

فقد يبدأ الكاتب أو المتحدث باستقراء للوضع الذي عاشه الإمام عليه السلام، ويفترض لها افتراضات وبناء على وجودها يسجل أدوار الإمام وأعماله في مقابلها، كأن يلاحظ ولو من خلال قراءة النصوص التاريخية بأن الأمويين أرادوا تمييع الدين في الأمة وافراغه من عمقه وتأثيره فشغلوها باللهو والغناء وصار التسابق فيهما حتى على مستوى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والقارئ لمثل كتاب العقد الفريد والأغاني وأمثالها (مع بعض الملاحظات فيها) يتوصل إلى النتيجة المذكورة آنفا.. وبناء عليه سيقال إن الإمام السجّاد أراد تعميق الارتباط بالله عزوجل وإبقاء الدين على تأثيره في المسلمين فركز على الدعاء بما هو الوسيلة القوية في الارتباط بالخالق، وبما يصنع من أثر في سلوك الإنسان.

هذه طريقة. والأخرى؛

أن يعكس الأمر فيتتبع الظواهر والأعمال الأساسية التي قام بها الإمام عليه السلام، ومن خلالها يكتشف الوضع الذي عاشه الإمام عليه السلام. فإذا رأى أن الإمام عليه السلام قد ركز على إحضار مأساة كربلاء والمصائب التي جرت على أبيه وأهل بيته، ومفردات هذا المعنى كثيرة تحصل بأدنى مراجعة، عندها سيتبين له أن الإمام لم يقم بهذا الأمر عبثا وإنما كان يريد إبقاء جذوة عاشوراء وحرارتها وبالتالي معانيها بما تحمل من مقاومة الظالمين ولزوم نصرة الدين وهكذا وهو الأمر الذي كان الأمويون يسعون لطمسه.

وسنشير إلى بعض هذه الأدوار هنا باختصار ليبقى التفصيل لما سيأتي من الصفحات.

**فأول ما نلاحظه:**

**إبقاء دروس وحرارة النهضة الحسينية**

أن الإمام عليه السلام سعى لإبقاء معالم ودروس النهضة الحسينية حية حاضرة بين الناس، وبالتالي تحميل الدولة الأموية (بما فيها الفرع المرواني) مسؤولية قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأن هذه الجريمة لا تسقط بالتقادم ولا تنسى بمر السنين.

إن التذكير بمصاب الحسين عليه السلام وهو المستمر إلى يومنا هذا

في كل العالم الإسلامي، أمرٌ ليس له نظير، وذلك أنه عبر المأتم الحسيني وذكر مصيبته سلام الله عليه بقيت أهدافه واستطاعت أن تخترق كيان الظالمين في كل العصور بالرغم من محاربتهم لهذه الذكرى.. هذا التذكير كان من أعمال الإمام السجّاد وتأسيسه عليه السلام.

وقد سلك هذا التذكير طرقا متعددة فكانت الإثارة العاطفية والوجدانية حاضرة من خلال بكائه عليه السلام، وتذكره مصيبة أبيه وإبكائه غيره، كما نرى في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «.. وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1] إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة».[2]

(1) يوسف: 86.

(2) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص 213، و الخصال، الشيخ الصدوق، ص 287، وفي غيرهما ويلاحظ أن في الحديث ترديدًا من جهة عدد السنوات «عشرين أو أربعين سنة» والفترة التي بقيها الإمام زين العابدين عليه السلام من بعد أبيه (61هـ إلى 95) هي أربع وثلاثون سنة! وقد يكون هذا الترديد من جهة أحد الرواة، إذ لا يحتمل أن يكون من الإمام عليه السلام ولا سيما في هذه المسافة التي تصل إلى الضعف بين العشرين والأربعين.
نعم في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام التحديد بالعشرين؛ كما عن الشيخ الصدوق في الخصال/ 532، قال أبو جعفر: «ولقد كان بكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وُضع بين يديه طعام إلا بكى».

ويشرح حديث آخر عنه عليه السلام السبب في كثرة البكاء واستمراره في قوله جوابًا لمن سأله: «يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فقال له: ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابنًا فغيب الله عنه واحدًا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيًّا في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟»[1]

وهكذا كان يستفيد من كل فرصة تنفع في التذكير بقضية كربلاء لتكون حاضرة قائمة بين الناس حتى لو مرَّ عليها سنوات طويلة. هذا على مستوى العاطفة والبكاء الشخصي

وعلى مستوى الإعلام فإننا نعتبر أن أول خطيب تحدث عن تفاصيل في الواقعة ربما لم تنقل عن غيره كان الإمام السجّاد.. فأول مجلس حسيني في العالم وكان الحضور فيه عامًّا وكثيفًا إنما خطب فيه الإمام السجّاد، وكان ذلك في الشام بحضور شخصيات الدولة وأعيان المجتمع وعامة الناس، حين استأذن لصعود المنبر وخطب تلك الخطبة العصماء التي جاء فيها: أيها الناس: فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي، أنا ابن مكّة

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال/ 519.

ومِنىٰ، أنا ابن مروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفىٰ... أنا ابن من علا فاستعلىٰ، فجاز سدرة المنتهىٰ، وكان من ربّه قاب قوسين أو أدنىٰ، أنا ابن من صلّىٰ بملائكة السماء مثنىٰ مثنىٰ، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أنا ابن علي المرتضىٰ، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرىٰ، أنا ابن المقتول ظلمًا، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتىٰ قضىٰ، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه علىٰ السنان يُهدىٰ، أنا ابن من حرمه من العراق إلىٰ الشام تُسبىٰ.. إلى آخر خطبته عليه السلام والآثار التي نتجت عنها.

ونقل فيما بعد حوادث كربلاء لابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام كما نعتقد والباقر نقلها للرواة فحفظت بذلك وقائع كربلاء، وسنأتي على ذكرها تفصيلًا.

واتخذ عليه السلام له بيت شَعر (خيمة) في أطراف المدينة وكان الغرض منه أولًا، الابتعاد عن المراقبة من قبل الأعداء، والانفصال عن الفتن التي عصفت في مركز المدينة بدءًا من اضطراب الوضع العام ما بعد سنة 61 هـ. وحصول واقعة الحرة،

وإباحة المدينة من قبل الجيش الأموي، ثم ما حصل من فتنة ابن الزبير والمعارك بينه وبين الأمويين. ومن أهم أغراضه تلك أن يذهب لزيارة قبر أبيه الحسين وجده أمير المؤمنين عليهما السلام، وهذا ما صنعه مرارًا وفي بعضها كان يذهب بمفرده وفي بعضها الآخر يسترفق آخرين.

نعم سيأتي في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام[1] أنه قام بتأسيس القضية الحسينية اجتماعيًا بحيث تداخلت مع الحياة العامة لشيعة أهل البيت. إلا أن الذي بدأ هذا المشوار هو جده الإمام زين العابدين.

- ومن الأدوار المهمة التي قام بها الإمام السجّاد عليه السلام، وهي المهمة الأساس لجميع الأئمة المعصومين عليهم السلام:

**توضيح معالم الدين وتبيين أحكامه وأصوله العقائدية**

وبالرغم من أننا سوف نفرد موضوعًا خاصًا لهذا الجانب وهو يرتبط بالجانب العلمي للإمام عليه السلام، إلا أننا أحببنا الإشارة السريعة إليه في هذه الصفحات.

(1) راجع كتابنا إمام الإسلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فإننا نعلم أنه بعدما استبدلت الأمة الذنابى بالقوادم[1] وبأهل الذكر الجَهَلة، كان من الطبيعي أن تخفى معالم الدين الحقيقية، ومع ابتعاد الأمة من الناحية التاريخية عن زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان الشق يتسع والخرق لا يلتام.

وكان أئمة الهدى عليهم السلام كما وصفهم أمير المؤمنين (لا يخرجونكم من هدى ولا يدخلونكم في ضلال) ومع أنهم تمَّ إقصاؤهم عن مواقع التوجيه والإرشاد إلا أنهم لم يتوقفوا عن مسؤوليتهم تلك.

فكان أحد الطرق التي سلكها الإمام علي بن الحسين في توضيح المفاهيم الدينية هو الدعاء، وربما لا نجد أحدًا من المعصومين عليهم السلام، فضلًا عن غيرهم، قد استفاد من وسيلة الدعاء[2] لتبيين المفاهيم الدينية كما صنع الإمام السجّاد عليه السلام.

وساعد طول فترة إمامته عليه السلام التي استمرت حوالي 34 سنة على أن يبلغ من نشر العلم ما أراد، ولذلك كان بمثابة المعلم لفقهاء ومحدثي تلك الفترة الذين عاصروه. حتى أولئك الذين لم يكونوا يؤمنون بإمامته بالمعنى الشيعي. ولكنهم كانوا يخضعون لعلمه ومعرفته.

(1) قالت الصديقة الزهراء عليها السلام كما في أمالي الشيخ الطوسي/ 405: استبدلوا الذنابى بالقوادم، والحَرون بالقاحم، والعجز بالكاهل، فتعسا لقوم (يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)!

(2) سيأتي في صفحات لاحقة نماذج من ذلك.

ويذكر في مصادر مدرسة الخلفاء جملة من الرواة الذين أخذوا منه عليه السلام وتعلموا على يده منهم «الزهري، وعمرو بن دينار، والحكم بن عتيبة، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن عبيد الله، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، وأبوه؛ عمر، والقعقاع بن حكيم، وأبو الأسود يتيم عروة، وهشام بن عروة، وأبو الزبير المكي، وأبو حازم الأعرج، وعبد الله بن مسلم بن هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم. وقد حدث عنه: أبو سلمة، وطاووس، وهما من طبقته»[1].. وذكر غيره أسماء أخر.

وأما علماء مدرسة أهل البيت فقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي في كتابه: الأبواب، والمشتهر بالفهرست، أسماء 160 (مائة وستين راويًا) من أصحاب الإمام عليه السلام (والصحبة هنا بمعنى مطلق المعاصرة ولا يشترط فيها الإتباع والايمان بالإمام ومنهاجه).

ولكن فيهم من أمثال جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي حمزة الثمالي ثابت بن دينار، وأبان بن تغلب، وأبي خالد الكابلي،

(1) الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء 4/ 387.

وسعيد بن المسيب،[1] وسعيد بن جبير الكوفي، وزيد بن علي الشهيد، وأبي الأسود الدؤلي، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ومعروف بن خربوذ المكي، والمنهال بن عمرو الأسدي، ويحيى بن أم الطويل المطعمي.. وغيرهم.. وأفضلهم جميعًا وأعلمهم ابنه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

وقد ذكر العلامة السيد محمد جواد الجلالي في موسوعته (أصحاب الإمام السجّاد ومعاصروه والراوون عنه) تراجم هؤلاء وغيرهم في 12 مجلدًا، وسيأتي في بحث الدور العلمي للإمام ما هو أكثر تفصيلًا مما ذكر هاهنا.

**الإمام يواجه خط اللهو والانحراف الأخلاقي:**

من عادة الحكومات أنها لكي تحكم سيطرتها على الناس فإنها بمقدار ما تقيد عقولها عن التفكير الحر وإبداء الرأي باللسان فتستخدم القمع والعنف فيمن يخالف ذلك. فإنه بنفس المقدار تفتح أبواب الشهوات على مصراعيها لتشغل الناس بشهوات أنفسهم عن التفكير في ظلم حكامهم.

ويبدو أن هذه السياسة كانت ولا تزال السلاح الماضي والمؤثر

(1) هناك كلام ونقاش في أن سعيدًا هل هو من السائرين على منهاج أهل البيت أو لا؟

في بقاء الحكومات. وكانت الحكومة الأموية في هذا الباب لها الباع الواسع. وكان الحاكمون سباقين في أمور الشهوات لكنهم بين معلن ومستسر، بحسب ظروف زمانه وحتى بحسب شخصيته أيضًا. فمنذ أن ترك عبد الملك بن مروان قراءة القرآن في المسجد الحرام قبل خلافته ولسان حاله: هذا فراق بيني وبينك، فقد كان الانقطاع عمليًا وقد تعجبت أم الدرداء على بساطتها بأنها سمعت أنه صار يشرب الخمر بعد العبادة والنسك فأخبرها بأنه يشرب الدماء أيضًا![1]

وقد يكون التوجه إلى اللهو والانبعاث نحو الشهوات ومقدمات ذلك، حالة في كل المجتمعات فإنه كما نجد الصالحين في كل مجتمعٍ، فإن اللاهين والعابثين أيضًا موجودون.

إلا أن ما يميز ما نتحدث عنه هنا هو أمران:

1/ أن البيئة التي سيفشي فيها الأمويون هذا اللهو والعبث هي المدينتان الأكثر قداسة عند المسلمين: مكة المكرمة، والمدينة المنورة. ففي هاتين المدينتين الكثير الكثير مما يفترض أنه يذكر بالله سبحانه وبقيم الإسلام والإيمان وتاريخ

(1) الدمشقي؛ ابن كثير: البداية والنهاية 9/ 80: قالت له: بلغني أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك، فقال: أي والله، والدما أيضًا قد شربتها».

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكأن كل حبة تراب منهما تختزن صورة من صور جهاد رسول الله والمؤمنين به، وتسجل حديثًا من أحاديثه، أو تحمل دعاء أو مناجاة من تهجده.

للأسف! هاتان المدينتان ولا سيما المدينة النبوية الطيبة التي تضم الجثمان المقدس لرسول الله، «فطاب من طيبهن القاع والأكم»، بل كل مناطق الحجاز سوف «تغرق في الغناء إلى أذنيها وكانت المدينة أسبق مدن الحجاز إلى الغناء»[1]، «ومع ذلك فإن مكة لم تلبث أن عنيت بالغناء وأصبحت تنافس المدينة فيه، فظهر عندها ابن مسجح وتلاميذه، ولكن ينبغي أن نعرف أن المدينة ظلت هي المركز الأول في الحجاز للغناء والمغنين وتخريجهم، ولعل مما يدل على ذلك دلالة واضحة أن نجد خلفاء دمشق يطلبون مغنيهم غالبًا من المدينة، بل إننا نجد مكة نفسها تطلب مغنيها من المدينة».[2]

ولم يكن الأمر خاصًا بفئة من العابثين اللاهين بل كان «لا ينكره عالمهم ولا يدفعه جاهلهم»!

المدينة النبوية التي كان ينبغي أن تكون عاصمة السياسة والإدارة

(1) ضيف؛ د. شوقي: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية / 46.
(2) المصدر السابق / 47.

للبلاد الإسلامية، ومركز العلم والمعرفة المشع لباقي أقطار الدنيا، ومصدر الإيمان والالتزام لشباب الأمة، أصبحت بهذا النحو الذي ذكرنا شيئًا بسيطًا منه، وإلا فقد ذكروا أكثر من ذلك إذ أنه «فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق، فلم يبق بالمدينة مخبّأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يبصره، وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني»![1] وعن اختلاط الشباب بالشابات والمعاشقات والجواري والتهتك والشراب فحدث ولا حرج، ولمن أحب التفصيل فما عليه إلا الرجوع إلى كتابي الأغاني لأبي الفرج والعقد الفريد لابن عبد ربه. ونحن لا نريد هنا أن نوثق كل ما قالوه أو نصححه ولا سيما لجهة بعض الأسماء التي وردت فيهما، لكن لا ريب أن الكتابين يعكسان نسبة مهمة مما كان يجري.

2/ وميزة أخرى تلفت النظر: هي أن ما كان يحدث كان في أدنى درجاته يترافق مع غض نظر من السلطة الأموية، وفي أعلى درجاته كان برعايتها ودعمها. وكلا الحدين هو خيانة للأمة والدين، أما الحد الأعلى فهو ينتهي إلى إفساد شباب الأمة وتخريب دينهم، وأما الحد الأدنى فهو تعطيل لواجب النهي عن المنكر، وهو من أوضح مسؤوليات حكام بلاد المسلمين.

(1) الاندلسي؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد 7/ 38.

لقد رأينا كيف أن والي مكة في زمان عبد الملك بن مروان وهو الحارث بن خالد المخزومي يقول للمغني غَريض: لا لوم في حبك ولا عذر في هجرك، يا غَريض، لو لم يكن في ولايتي حظ إلا أنت لكان حظًّا كافيًا وافيًا. وهو الذي كان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وشبب بها؛ فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ، وكان يهواها، فأرسلت إليه: أخّر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها.. ولما اعترض عليه أهل الموسم والحجاج، قال: والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل.![1]

وأما عطاياهم للمغنين من بيت مال المسلمين فحدّثْ ولن تبلغ ما صنعوا!

وقد عدّ بعضهم عدد المغنين والمغنيات في موكب واحد متجه لمكة أيام الحج، فبلغ ستة وعشرين! هذا في موكب واحد!

إذن.. كان هناك سعي وجهد لسلب القداسة من مدينتي الحجاز المقدستين وبشكل خاص من طيبة الطيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك يتم بدعم من السلطة الأموية. وغايته أن ينشغل الناس بشهواتهم عن التفكير في دينهم وإيمانهم.

(1) المكي؛ محمد بن أحمد الحسني: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين 3/ 299.

وهذا يعرّفنا لماذا كان تركيز الإمام السجّاد عليه السلام على إحياء الدين في النفوس، وبعث الإيمان في الناس.. وتم ذلك عبر أمور:

**منها**: المواعظ المستمرة في التحذير من شهوات الدنيا وفي لزوم التوجه للآخرة «وتحديث الناس بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وكان يلقي على الناس موعظة يوم الجمعة».[1]

**ومنها**: ممارساته عليه السلام في التهجد والدعاء، والذي حفظ عنه كثيرٌ مع أنه قليل بالقياس إلى نفس تلك الممارسات، ومن ذلك ما نقل عنه وهو في مكة قال الراوي: «كنت أطوف حول الكعبة ليلة فإذا شابّ ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغلبت النجوم وأنت الملك الحيّ القيّوم، غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرّاسها وبابك مفتوح للسائلين جئتك تنظر الىّ برحمتك يا أرحم الراحمين ثم أنشأ يقول.

**يا من يجيب دعا المضطرّ في الظلم**
**يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم**
**قد نام وفدك حول البيت قاطبة**
**وأنت وحدك يا قيّوم لم تنم**

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: جواهر التاريخ؛ سيرة زين العابدين 4/ 39.

**أدعــوك ربّ دعــاء قــد أمــرت بــه**
**فارحــم بكائــي بحق البيــت والحرم**
**ان كان عفــوك لا يرجــوه ذو ســرف**
**فمن يجــود علــى العاصيــن بالنّعم**

قال فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام[1].

وقريب من ذلك نقله ابن شهرآشوب عن طاووس الفقيه[2]: رأيت في الحجر زين العابدين عليه السلام يصلّي ويدعو عبيدك ببابك أسيرك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك.

**ومنها**: التأكيد على حرمة الغناء، وحرمة أجر المغنية، واستعمال أدوات اللهو، حتى عد هذا مما عرف[3] به مذهب أهل

(1) المناقب، وقد نقله المؤلف عن الأصمعي، ونقله عنه الكثير ممن تأخر عنه، مع أنه لا ينسجم مع طبقة الأصمعي كما ذكر في روضات الجنات 5 / 161 وعلق عليه وهو صحيح بقوله: هذا تمام الحديث وهو غريب لمنافاته طبقة الأصمعي المشهور الذي كانت ولادته سنة 123 هـ وهي بعد وفاة السجّاد إلا أن يكون الأصمعي رجلًا آخر من قدماء قبيلته المنسوبين إلى جده الأعلى أصمع».

(2) طاووس بن كيسان اليماني (توفي سنة 106هـ) فقيه وراوي حديث وتابعي من كبار فقهاء التابعين.

(3) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة 17/ 189 عن الريان بن الصلت قال سألت الرضا عليه السلام يومًا «بخراسان فقلت: يا سيدي إن إبراهيم بن هاشم العباسي حكى عنك إنك رخصت له في استماع الغناء! فقال: كذب الزنديق إنما سألني عن ذلك فقلت له: إن رجلًا سأل أبا جعفر (الباقر) عليه السلام عن ذلك فقال له أبو جعفر عليه السلام: إذا ميّز الله بين الحق والباطل فأنّى يكون الغناء فقال: مع الباطل! فقال: قد حكمتَ!
وفي نفس المصدر/ 195 عن نصر بن قابوس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المغنية ملعونة ملعون من أكل كسبها.

البيت عليهم السلام. فعن علي ابن الحسين عليهما السلام فقد روي عنه أنه قال: «لا يقدس الله أمة فيها بربط[1] يقعقع وتايه (نايـة) تفجع».[2]

**ومنها**: تعليم الأمة طريق الارتباط الوثيق بالله عز وجل من خلال الدعاء، وقد ترك لنا الإمام السجّاد عليه السلام ثروة روحية عظيمة، بما ترك من الأدعية التي حفظت عنه ورويت بعده، ما عرف بين أتباع أهل البيت بالصحيفة السجّادية. وسيأتي حديث مستقل عن هذا الجانب في صفحات قادمة.

(1) ابن الأثير الجزري؛ مبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر1/ 112 قال: في حديث علي بن الحسين «لا قدست أمة فيها البربط» البربط ملهاة تشبه العود، وهو فارسي معرب. وأصله بربت؛ لأن الضارب به يضعه على صدره، واسم الصدر: بر.

(2) الكليني: الكافي 6/ 434.

# شخصية الإمام السجَّاد
# في مصادر مدرسة الخلفاء

عندما يطالع الباحث بعض ما جاء في مصادر مدرسة الخلفاء حول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، يرى كلمات تنم عن الإعجاب والمدح والثناء! ولربما يحصل عنده انطباع بأن هناك إنصافًا للإمام! فخذ مثلًا ما قاله شمس الدين الذهبي في حقه: «وكان له جلالة عجيبة، وحق له ـ والله ـ ذلك، فقد كان أهلا للإمامة العظمى؛ لشرفه، وسؤدده، وعلمه، وتألهه، وكمال عقله».[1]

لكننا عندما نتأمل في جملة ما نقلته تلك المصادر عنه عليه السلام، نتعجب من أن هذا العنوان الطويل العريض لا ينطبق على ما نقل عنه، فلنأخذ بعض ما نقلوا عنه لنرى عن أي شخصية يتحدثون؟

1/ ينقلون عنه أن جده عليًّا بن أبي طالب هو الذي آذى فاطمة عليها السلام! وأنه هو الذي خطب في شأنه رسول الله وهدده بأن من آذى ابنته فاطمة فقد آذى النبي ومن آذى النبي فقد

(1) الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء 4/ 398.

آذى الله! وأنه كان سيء العشرة (!) معها بخلاف آل أبي العاص الأموي!

هكذا قالوا: عن «ابن شهاب (الزهري) أنّ عليّ بن حسين حدّثه أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن عليّ رحمة اللّه عليه لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إليَّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا. فقال له: فهل أنت معطيَّ سيف رسول اللّه ﷺ؟ فإنّي أخاف أن يغلبك القوم عليه؟ وأيم اللّه لئن أعطيتنيه لا يخلص إليهم أبدًا حتى تبلغ نفسي.

إنّ عليّ بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول اللّه ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا ـ وأنا يومئذ محتلم ـ فقال: إنّ فاطمة منّي، وأنا أتخوّف أن تفتن في دينها. ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إيّاه، قال: حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإنّي لست أُحرّم حلالًا ولا أُحلّ حرامًا، ولكن ـ واللّه ـ لا تجتمع بنت رسول اللّه ﷺ وبنت عدوّ اللّه أبدًا »[1].

(1) «مسند أحمد» (31/ 229 ط الرسالة): وأخرجه مسلم (2449) (95)، وأبو داود (2069)، والنسائي في «الكبرى» (8372) مختصرًا، والطبراني في «الكبير» 20/ (20)، وابن الأثير في «أسد الغابة» 5/ 176. وأخرجه البخاري (3110)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (554) (618)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (4988)، وابن حبان (6956) والترمذي وابن ماجة والحاكم وغيرهم.

وفي كتاب الطلاق من البخاري[1] أضاف أن النبي هدد عليًّا بأن يطلق الزهراء! «إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب. فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن، إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بضعة منّي، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»

وقد بحث آية الله الميلاني هذا الحديث سندًا ومتنًا فأوفى الكيل في إشكالاته السندية والمتنية في رسالة بعنوان حديث خطبة علي بنت أبي جهل في (سلسلة اعرف الحق تعرف أهله). فليرجع إليه من أراد التفصيل.

ومما يستفاد منها: أن مدار الحديث على ابن شهاب الزهري وهو من المنحرفين عن علي بن أبي طالب، وقاضي بني أمية الراتع في دنياهم وأموالهم، فماذا تظنه قائلًا عن أمير المؤمنين؟ وأما المِسْور الذي زعم أنه سمع النبي، فهو إنما ولد بعد الهجرة بسنتين فمتى تسنى له أن يسمع النبي يخطب في هذه المسألة التي يفترض أنها وقعت في حوالي سنة 6 أو 7 هـ؟ وهم يشترطون البلوغ في تحمل الرواية! وموقفه العام أنه على خلاف خط أهل البيت! فما ذكر معاوية إلا صلى عليه! وآل أمره إلى عبد الله بن

(1) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري 7/ 37.

الزبير حيث صار مستشارًا له إلى أن قتله الأمويون معه في حصار مكة. فماذا تتوقع أن يقول هذا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

وأما في متن الحديث فالدواهي أعظم! فما هي مناسبة القسم الأول حيث طلب منه سيف النبي مع القسم الثاني منه حيث جاء فيه بنقد الإمام علي والغض من شأنه؟ وقد وقع علماء مدرسة الخلفاء في معضلة[1] في حل هذا؟

ثم تأمل السيد الميلاني في مدلول الحديث فقال: فماذا صنع عليّ؟ وما فعلت فاطمة؟ وأيّ شيء صدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ لقد خطب عليٌّ ابنة أبي جهل، فتأذّت الزهراء، فصعد النبي المنبر وقال... فهل كان يحرم على عليٍّ التزوّج على فاطمة أو لا؟ وعلى الأول، فهل كان على علم بذلك أو لا؟ لا ريب في أنّ عليًّا لا يقدم على الأمر المحرَّم عليه مع علمه.[2]

(1) قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري 9/ 327: ولا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في تعصبه لعلي بن الحسين حتى قال إنه لو أودع عنده السيف لا يمكن أحدًا منه حتى تزهق روحه رعاية لكونه ابن ابن فاطمة محتجًا بحديث الباب ولم يراع خاطره في أن ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على علي بن الحسين لما فيه من إيهام غض من جده علي بن أبي طالب حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة حتى اقتضى أن يقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من الإنكار ما وقع بل أتعجب من المسور تعجبًا آخر أبلغ من ذلك وهو أن يبذل نفسه دون السيف رعاية لخاطر ولد بن فاطمة وما بذل نفسه دون بن فاطمة نفسه أعني الحسين والد علي الذي وقعت له معه القصة حتى قتل بأيدي ظلمة الولاة.
أقول: نحن نتعجب من تعجب العسقلاني! وهل هذا الحديث هو أول قارورة كسرت؟ إن الكثير من أحاديثهم هي هكذا لو تأمل فيها!

(2) حديث خطبة علي بنت أبي جهل (سلسلة إعرف الحق تعرف أهله)، السيد علي الحسيني الميلاني، ص 52.

**وأقول**: إننا نعتقد أن هذا الحديث يرشق بثلاثة سهامٍ النبيَّ المصطفى والوصيَّ المرتضى والصديقة الزهراء، ليقولَ إنهم جميعًا لا مصداقية لهم في تطبيق الإسلام. فإذا كان التعدد في الزواج جائزًا فالنبي رفض تطبيقه على ابنته! وهي رفضت القبول بهذا الحكم لنفس الجهة والإمام عليٌّ لم يلتزم (مع علمه) بعدم إيذاء فاطمة زوجته وسار وراء هواه! فهذا الحديث المصطنع يرشق ثلاث أعظم شخصيات في الإسلام بسهم واحد ذي ثلاث شعب!

ونسأل ما هي الفائدة التي يتوخاها الإمام السجّاد من نقل حديث مكذوب فيه كل هذه المشكلات مما لا يصح نسبة بعضها لصاحب الرسالة ووصيه وسيدة نساء العالمين؟

2/ ينقلون عنه وهو عن الحسين أبيه عن جده علي بن أبي طالب؛ أنه نسب شرب الخمر لسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وأتلف أموال ابن أخيه علي وتجرأ وهو سكران (نعوذ بالله) بالقول السيء على رسول الله!

وقد تعرضنا لهذه القصة المكذوبة على حمزة سيد الشهداء بن عبد المطلب، والذي كان كبني عبد المطلب قد حرموا على أنفسهم الفواحش وكانوا من الحنفاء، في كتابنا (أعلام من الأسرة النبوية)[1] وبيّنّا أوجه الخلل فيها.

(1) آل سيف؛ فوزي: من أعلام الأسرة النبوية 222.

3/ وكذلك ينقلون كذبًا عن الإمام السجّاد أن جده أمير المؤمنين عليّا وهو نفس رسول الله، يؤخر صلاته حتى إذا وعظه رسول الله ونصحه ردّ عليه الكلام، وجادله ولم يقبل كلام النبي! فمرة أخرى أيضًا عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه (الحسين) «سمعت عليًا يقول: أتاني رسول الله ﷺ وأنا نائم وفاطمة وذلك من السحر حتى قام على الباب، فقال: «ألا تصلون؟» فقلت مجيبًا له: يا رسول الله، إنما نفوسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فرجع رسول الله ﷺ ولم يرجع إلى الكلام، فسمعته حين ولى يقول: وضرب بيده على فخذه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[1]». [2]

ونعود إلى نفس السؤال ما هي فائدة الإمام علي ﷺ، والحسين وعلي بن الحسين بل والمسلمين من نقل قصة مكذوبة حاصلها أن عليًّا رد على رسول الله كلامه، لأنه (مجادل معاند)؟ إلى الحد الذي يجعل النبي يضرب على فخذه متألمًا من موقفه؟

4/ وفي المقابل انظر ماذا ينقلون في شأن رموز مدرسة الخلافة، بعدما عرفت منهم أن السجّاد ينقل أن عليًّا هو

(1) الكهف: 54.

(2) ابن حنبل؛ أحمد: مسند أحمد 2/ 14 وابن عساكر: تاريخ دمشق 41/ 361 وغيرهما.

أكثر جدلًا للنبي وأنه يؤذي فاطمة، وأن حمزة يسكر حتى يفعل ما يفعل! إنهم ينقلون عنه كما في فضائل الصحابة: «حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: بينما أنا قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال: «يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة ما خلا النبيين والمرسلين».[1] وفي بعض النصوص: سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين.

ويكفينا في رد هذا الحديث وتكذيب انتسابه للإمام السجّاد عليه السلام ما ذكره الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام تاسع أئمة أهل البيت، في نقاشه مع يحيى بن أكثم القاضي الذي أورد له هذا الحديث بمحضر المأمون وبني العباس فقال يحيى: «وقد روي أيضًا: «أنّهما سيدا كهول أهل الجنة» فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضًا، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبانًا ولا يكون فيهم كهلٌ وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام: بأنهما «سيدا شباب أهل الجنة».[2]

(1) «فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل» (1/ 216).

(2) الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج 2/ 249.

وقد غفل واضع الحديث الذي نسبه للإمام الصادق ثم الباقر ثم السجّاد، عن أن السجّاد لا يمكن أن يروي عن جده علي أمير المؤمنين لأنه أدركه وهو ابن سنتين!

5/ وبالإضافة إلى ما سبق فإنهم نقلوا عن الإمام السجّاد عليه السلام من السنن والأحكام الشرعية ما ثبت خلافه عنه وعن آبائه.

فمن ذلك ما وضع على لسانه من أنه نهى أحدهم أن يأتي إلى قبر النبي ويزوره أو أن يدخل الحجرة التي فيها القبر الشريف. ولذلك طبّل وزمر المخالفون[1] لزيارة قبر النبي لهذا الحديث المنحول، واعتمده أصحاب التوجه السلفي أصلاً من الأصول!

رووا «عن علي بن حسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، فقال: ألا

(1) ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى 27/ 120: «وأما «الزيارة البدعية» فهي من جنس الشرك والذريعة إليه كما فعل اليهود والنصارى عند قبور الأنبياء والصالحين قال صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث المستفيضة عنه في الصحاح والسنن والمسانيد: «[لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا] وقال: «[إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك] وقال: «[إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد] وقال: «[لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج] فإذا كان قد لعن من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد امتنع أن يكون تحريها للدعاء مستحبا».

أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم».[1]

إلا أن هذا الحديث قد وصفه العلماء بالضعف، بالإضافة إلى أنه مخالف لعشرات الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام ومخالف لسيرتهم، فإن زين العابدين عليه السلام نفسه كان يشد الرحال إلى زيارة قبر جده أمير المؤمنين وأبيه الإمام الحسين عليهما السلام، والمسافة لها بعيدة فما ظنك بقبر النبي وهو الأفضل والقبر هو الأقرب؟ بل إن الزيارة المشهورة للإمام علي بل والمستحبة لسائر الأئمة (زيارة أمين الله) هي من إنشاء الإمام السجّاد عليه السلام.

إننا نعتقد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يحرّضون الناس على المجيء للمدينة بقصد زيارة قبر رسول الله واعتبروا عدم إتيان قبره بالنسبة للحاج جفاءً وهجرانا للنبي،[2] وعلى خلافهم كان الخط الأموي الذي يزهد الناس في زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم، ويرى القبر

(1) أبو يعلى التميمي؛ أحمد بن علي: مسند أبي يعلى 1/ 361.

(2) الكليني: الكافي4/ 548 عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أتى مكة حاجًّا ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ومن أتاني زائرًا وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة.

الشريف كما قال الحجاج بن يوسف الثقفي[1] (فض الله فاه) أعوادًا ورَمّة (عظام بالية)!

6/ ونقلوا عنه أنه انتقد المبالغة في محبة أهل البيت ولا سيما من أهل العراق وأنه طلب منهم أن يحبوهم حب الإسلام! فذكروا «عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه كان يقول: يا أهل العراق أحبونا بحب الإسلام، فوالله ما زال حبكم بنا حتى صار سبًّا: فيه تعريض بالإنكار على مزج حبهم بما ينسب إليهم من بغض أبي بكر وعمر وسبهما».[2]

وبعضهم فسر ذلك بأنه بسبب المغالاة في حبهم!

ونحن نتعجب فإن أهل البيت كانوا يتشكون من الظلم الواقع عليهم، ومن الجفوة الحاصلة تجاههم، وما إبعادهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها من الإمامة وقيادة الناس ببعيد. بل وشاهده

(1) الأندلسي؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد 5/ 310 «ومما كفّرت به العلماء الحجاج، قوله ورأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره؛ إنما يطوفون بأعواد ورمّة» وذكر مثل ذلك المبرد، أبو العباس في كتابه الكامل في اللغة والأدب 1/ 179 والدميري في حياة الحيوان الكبرى 1/ 247 وأبو سعد الآبي في نثر الدر في المحاضرات 5/ 23 والمقريزي في إمتاع الأسماع 12/ 259.
ونقل ابن أبي الحديد، في شرح نهج البلاغة 15/ 242 أصل الفكرة (واستدلال) الحجاج عليها الذي يوصله لأقصى درجات الكفر، فقال: «وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: تبًّا لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله»!

(2) الطبري؛ محب الدين: الرياض النضرة في مناقب العشرة 1/ 66.

الأكبر كربلاء وما وقع فيها حتى قتلوا وسبيت نساؤهم سبي ترك أو كابل! ومن ينظر لخطب الإمام السجّاد نفسه بعد الحادثة يلاحظ حجم الألم والمعاناة التي سببتها تلك الأمة لهم.[1] فأين هذه المبالغة المزعومة في الحب؟

وهب أن فئة قليلة من الناس لها موقف تجاه الخليفتين فهل يحدو ذلك الإمام السجّاد إلى أن يعتبر حب أولئك الناس لهم سبًّا وعارًا؟

7/ ونقلوا عنه أنه قال راويًا عن عمر بن عثمان بن عفان عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «لا يرث المسلمُ الكافرَ»،[2] ونحن نعتقد أن الإمام السجّاد عليه السلام ليس بحاجة أن يروي عن عمر بن عثمان ولا عن غيره، فإنه ورث علم أبيه وجدّيه أمير المؤمنين ورسول الله عليهم صلوات الله. بالإضافة إلى أن هذا خلاف المعروف في فقه أهل البيت وشيعتهم.

(1) راجع خطبة الإمام زين العابدين قبيل دخوله المدينة حيث جاء فيها: «أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين وشاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: 24]، ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[ص: 7] والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فإنه عزيز ذو انتقام».

(2) ابن أنس؛ مالك: موطأ مالك 2/ 519.

فقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي أنه يرث المسلمُ الكافرَ وعليه إجماع الإمامية كما أن الروايات الواردة عن أهل البيت تفيد بوراثة المسلم من الكافر دون العكس، ففي صحيحة أبي ولاّد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «المسلم يرث امرأته الذمّيّة، وهي لا ترثه»، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في النصراني يموت وله ابن مسلم، أيرثه؟ قال: «نعم، إنّ الله عزّوجلّ لم يزدنا بالإسلام إلا عزًّا، فنحن نرثهم وهم لا يرثوننا» والكثير من الروايات في مصادر الإمامية تصرح بهذا الأمر، فكيف ينقل عن الإمام السجّاد خلاف ذلك؟ وإن هو إلا خبر موضوع عليه؟

8/ كما لم ينس هؤلاء المؤلفون أن يُسقطوا اعتقاداتهم الدينية على حياة الإمام السجّاد ويختلقون لها القصص، فإذا كانوا يعتقدون أن علاقة أهل البيت عليهم السلام بالخليفة الأول هي علاقة التسليم له بأنه أول المصدقين برسول الله وأنه الأفضل بعد النبي فلا مانع لديهم من أن يخلقوا شخصًا يسأل الإمامَ عن أبي بكر، فيجيبه الإمام عن الصدّيق تسأل؟ ولمّا اعترضه السائل: هل تسميه صدّيقًا قال له الإمام: إن الله سمّاه صدِّيقًا! ورسول الله! والمهاجرون والأنصار![1] هذا مع العلم أن

(1) الدارقطني؛ علي بن عمر: فضائل الصحابة ص85: يحيى بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، =

المشهور عند أهل البيت عليهم السلام هو قول جدهم أمير المؤمنين علي: أنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم لا يقولها أحد بعدي إلّا كان كاذبًا.[1]

ولأنهم يعتقدون بصحة خلافة الأمويين بل وربما بعدالتهم، فلا بد أن يُظهروا الإمامَ مثلهم، ولذلك رووا أنه كان وابنه الباقر أيضًا يصلون وراءهم، بل وعلموا وكأنهم دخلوا قلوبهم أن ذلك من غير تقية! فرووا عن أبي جعفر الباقر، أنه قال: إنّا لنصلّي خلفهم في غير تقيّة، وأشهد على عليّ بن حسين أنّه كان يصلّي خلفهم

= قال: جاء رجل إلى أبي (يعني السجّاد) فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصدِّيق تسأل؟ قال: وتسميه الصدِّيق؟! قال: ثكلتك أمك، قد سمّاه صدِّيقًا من هو خير مني؛ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون، والأنصار، فمن لم يسمه صدِّيقًا، فلا صدق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما، فما كان من أمر ففي عنقي.

(1) الأميني؛ الشيخ عبد الحسين: الغدير2/ 314 وذكره مع مصادره كالتالي: عن علي عليه السلام أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتري، لقد صليت قبل الناس سبع سنين. أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح. والنسائي في «الخصائص» ص 3 بسند رجاله ثقات. وابن أبي عاصم في «السنة». والحاكم في «المستدرك» 3 ص 112 وصححه. وأبو نعيم في «المعرفة». وابن ماجة في سننه 1 ص 57 بسند صحيح. والطبري في تاريخه 2 ص 213 بإسناد صحيح. والعقيلي. والخلعي. وابن الأثير في «الكامل» 2 ص 22. وابن أبي الحديد في شرح النهج 3 ص 257. ومحب الدين الطبري في «الذخاير» ص 60، و«الرياض» 2 ص 155 و158 و167. والحموي في «الفرايد» في الباب التاسع والأربعين. والسيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه 6 ص 394. وفي طبقات الشعراني 2 ص 55: قال علي رضي الله عنه: أنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب.

في غير تقيّة»[1] هذا في طبقات ابن سعد، ولما جاء الذهبي أضاف إليها يعني الأموية لتكون مرآة لعقائد مدرسة الخلفاء في الصلاة خلف كل بر وفاجر، ولتعطي الصلاة المدعاة، الشرعية للأمويين!.

ويَهُم هؤلاء المؤلفين أن يظهروا أن علاقة أهل البيت عليهم السلام مع الأمويين منسجمة تمامًا، مع جهة تفضل وعطاء واستعلاء من جهة الأمويين إذ يظهرونهم بمظهر المعطي المتفضل على أهل البيت، وأئمة أهل البيت في موقف الآخذ الشاكر لفضلهم! وفي هذا ما لا يخفى على المتأمل.

فقد نقلوا أن مروان بن الحكم قد اقترح على الإمام أن يتخذ الجواري ليكثر ولده، فاشتكى له الإمام أنه ليس عنده المال فاقرضه مروان مائة ألف، واشترى الجواري فكثر ولده! ولما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ منه ذلك القرض![2]

«وقال الأصمعي: لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين، ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن، فقال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السراري يكثر

(1) الزهري؛ محمد بن سعد: الطبقات الكبير 7/ 211.

(2) الدمشقي؛ ابن كثير: البداية والنهاية 9/ 122.

أولادك، فقال: ليس لي ما أتسرى به، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه» وعقب على ذلك بالقول: فجميع الحسينيين من نسله. وكأنّ راوي الحديث وواضعه يريد القول أن لمروان الفضل الأكبر في استمرار نسل الحسين، وفوق ذلك فإنه أوصى أن لا يؤخذ منه!

ولأنه ليس لكذوب حافظة فقد نسي واضع الحديث ولعله الأصمعي نفسه، بأن مروان لم يمت بمرض وإنما مات خنقًا بوسادة وضعتها زوجته أم خالد بن يزيد على وجهه وهو نائم فما قام بعدها.. فمتى مرض؟ ومتى تيسر له الوصية؟ ولأن الكذبة مجلحة فقد أشار إليها الذهبي[1] وغيره. ولكنها بقيت تسير وتسري في الكتب!.

ويظهر أن مروان بن الحكم كان عند بعضهم قد فتح مؤسسة للقرض الحسن خاصة بأهل البيت!! فلم يكتف وضاع الحديث بقصة إقراضه للإمام السجّاد لحرصه على نسل الحسين! وإنما أقرض الحسين نفسه! فقد ذكروا «أن مروان بعث إلى الإمام

(1) قال في سير أعلام النبلاء 4/ 390 تعليقا عليها: «إسنادها منقطع، ومروان ما احتضر، فإن امرأته غمته (خنقته) تحت وسادة هي وجواريها».

زين العابدين ﷺ رسولا فقال له: إن أباك الحسين قد سأل مروان أن يقرضه أربعة آلاف دينار وفي ذلك الوقت لم تكن حاضرة عنده و قد تيسر له هذا المبلغ فإن أرادها بعثها إليه فطلبها الإمام منه و بقيت عنده فلم يكلمه فيها أحد من بني مروان حتى قام هشام بن عبد الملك فطلبها منه فاحضرها الإمام فوهبها هشام له»! وحيث أن المطلوب هو إلقاء هذه الكلمات من أجل التوصل إلى «تفضل» بني أمية و«حاجة» أهل البيت لهم، وقبولهم بعطايا أولئك ليثبت هؤلاء المؤلفون شرعية خلافة الخلفاء الأمويين.

وجهل هذا الكاتب أن الإمام ﷺ لم يدرك أيام خلافة هشام بن عبد الملك. فإنه استشهد بأمره مسمومًا كما مرّ عند الحديث عن شهادته، ولم يكن قد تولى الخلافة بعد. فكيف يقول: حتى قام هشام بن عبد الملك؟

وهكذا ما نقله ابن كثير.. فهم متحيرون فتارة مروان هو الذي وهبه مائة ألف وأخرى هشام بن عبد الملك وهبها وثالثة عبد الملك وهكذا، فهم يتناقلون هذه المائة ألف من يد إلى أخرى، ومن قصة إلى قصة ثانية!

ومرة رابعة يزعمون بأن المختار الثقفي قد أرسل للإمام مائة

ألف (وكأنهم قد نذروا ألّا يتغير العدد عن مائة ألف)، «فكره أن يقبلها وخاف أن يردها، فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان: إن المختار بعث إلي بمائة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردها، فابعث من يقبضها. فكتب إليه عبد الملك: يا ابن عم! خذها فقد طيبتها لك، فقبلها»[1] ولا نعلم لماذا كره أن يقبلها كما لا أحد يعلم لماذا خاف أن يردها مع أن المختار كان من شيعة أهل البيت. وهل كان عبد الملك بن مروان وليَّ هذه الأموال حتى يستأذنه الإمام فيها؟ أنه التوظيف للحوادث المكذوبة.. وهنا يقول عبد الملك: خذها فقد طيبتها لك! هكذا!! يعني بدون إذن عبد الملك تكون حرامًا وغير طيبة! ما بقي إلا أن يقولوا أن عبد الملك هو إمام الإمام زين العابدين ومرجعه في الفتوى!

9/ ثم إنه قد استوقف نظري ما نقلوه عن عبيد الله (عبد الله) بن الحسن العنبري، عن أبيه، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنه قال: «إن للحمق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على

(1) الزهري؛ محمد بن سعد: الطبقات الكبير 7/ 211.

الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوتات الخبيثة دولة على البيوتات الشريفة وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، وما من شيء إلا وله دولة حتى تنقضي مدته فنعوذ بالله من تلك الدول ومن الحيرة في النقمات»[1].. ولنا أن نتوقف في صحة نسبة هذا النص للإمام عليه السلام وإن كان قد نقل أيضًا في بعض الكتب الشيعية.[2]

وبغض النظر عن أن أول مصدر وجد فيه هذا النص هو أمالي أبي عبد الله بن منده (ت 395 هـ) ومنه أخذ كما يظهر ابن عساكر (ت 571 هـ) في تاريخ دمشق، ولم نجد له أي أثر في غيرهما من المصادر، فضلًا عن المصادر الشيعية فلا وجود له.

وأن الراوي في الخبر هو عبد الله بن الحسن العنبري (ت 168هـ) وهو القاضي على البصرة من المنصور العباسي وابنه المهدي، وصاحب مقولة إن كل مجتهد مصيب حتى في الأصول، عن أبيه وهو لا يعرف منه إلا أنه رأى علي بن الحسين كما قيل!

(1) ابن مَنْدَه العبدي؛ محمد بن إسحاق: مجالس من أمالي أبي عبد الله بن منده / ص49 بترقيم الشاملة آليًا): و«تاريخ دمشق لابن عساكر» 41/ 410.

(2) أعلام الهدية، وبلاغة الإمام علي بن الحسين، وجهاد الإمام السجّاد، وموسوعة أهل البيت.. وغيرها.

لا نجد في أحاديث وكلمات أهل البيت عليهم السلام ما يشابه هذا المحتوى، فإنه بظاهر معناه يجعل الدولة والنصر للجانب السلبي في الحياة، فالحمق له دولة وغلبة على الحق، وللمنكر دولة وغلبة على المعروف وهكذا..

بينما ما يؤكد عليه القرآن هو أنه ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾،[1] ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾،[2] و﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾،[3] ومن أن ﴿ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] و﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾.[5]

ويشير إلى خلاف ما جاء في النص، وكون العاقبة والغلبة والنصر لدولة الحق ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام من أنه كان يقول:

**لكل أناس دولة يرقبونها**

**ودولتنا في آخر الدهر تظهر**[6]

(1) الإسراء: 81.
(2) آل عمران: 139.
(3) الأنبياء: 18.
(4) هود: 49.
(5) المائدة: 8.
(6) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي/ 578.

وقد يقول قائل بأن الإمام كان في صدد توصيف الواقع الخارجي من سيطرة أهل الضلال على الهداة والظلمة على البيوت الشريفة، فنقول إن هذا لو ثبت النص من طريق معتبر، لكان يُلجأ إلى تأويله، فإن ظاهره شنيع وغير معقول، أما ولم يثبت ذلك النص بطريق معتبر فلا معنى لتأويله.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن شأن الإمام عليه السلام ليس توصيف الوقائع الخارجية إلا بمقدار ما يرتبط بها من الأحكام الشرعية أو المسؤوليات الدينية أو المفاهيم.. وأما التوصيف المجرد لا سيما إذا كان يؤدي إلى شيء من اليأس باعتبار أن الضلال ينتصر على الهدى، وأن الحماقة تتغلب على العقل، فمثل هذا لا منفعة فيه ولا فائدة.

إلى هنا ينتهي حديثنا عن بعض ما رسمته كتب مدرسة الخلفاء من صورة لا تنطبق على الإمام عليه السلام، فهي تصوره كما رأينا: راويًا يروي أحاديث في ذم جده أمير المؤمنين وأنه (نعوذ بالله) آذى فاطمة الزهراء حتى قال الرسول ما قال من تحريم إيذاء فاطمة. وأنه يجادل النبي بلا مبرر حين يوقظه لصلاة الفجر! وأنه ينقل مثالب حمزة السكران! لكنه في المقابل يعتبر الخليفتين سيدي كهول أهل الجنة! ويذم أهل العراق ولا يقبل محبتهم لأهل البيت

لأن بعضهم مثلًا ينتقد الخليفتين! وهكذا تكر سبحة الأحاديث التي ترسم شخصية لا تشبه بحال من الأحوال سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

# الإمام والدعاء والصحيفة السجّادية

حيث أننا قد كتبنا شيئًا حول موضوع الدعاء ولزوم الاهتمام به ودور الدعاء في حياة المؤمن في كتابنا: تأملات في آيات الظهور (شرح دعاء الندبة)، فسننقل قسمًا منه هنا، ولمن أحب الاستزادة يمكنه مراجعة ذلك الكتاب، فتحت عنوان:

**1/ الدعاء بين نظرتين**؛ كُتب ما يلي:

«هناك نظرتان يمكن لنا أن نلحظهما في قراءة الناس للدعاء، وتعاملهم معه:

1. **النظرة التعبدية للدعاء**: وترى الدعاء أذكارًا وأقوالًا تقرأ وتقال لكي يحصل الإنسان بذلك على ثواب وأجر عظيم في الآخرة، وهذه النظرة وإن كانت تحقق درجة من عطاء الدعاء، وفوائده إلا أن فيها من الآثار غير الإيجابية ما يلي:

- حرمان الإنسان من التأمل في المضامين الرفيعة والعالية الموجودة في الأدعية والأذكار.. إن من (يتلو) القرآن لا شك

يحصل على ثواب كبير، ومن (يحفظ) آياته يحصل على مراتب أخروية عالية، ولكن من (يتدبر) القرآن يستطيع أن يكسر الأقفال التي أوصدت على فكره وفكره آفاق التأمل العقلي، ورحاب الحياة الفكرية الفسيحة. ومن (يتعقل) الآيات يستطيع بواسطتها أن يكشف الظلمات التي لا تُكشف إلا به.

وكذا الحال في الدعاء فإن فيه كنوزًا من المعرفة الدينية والحياتية، بل يمكن القول بثقة وجزم أن الدعاء يشكل مدرسة تربوية شاملة في كل فنون المعرفة المذكورة، ففيه من معارف التوحيد، ما لا يحتويه بشموله وتنوعه نص آخر، وفيه من معارف النبوة والإمامة الشيء الكثير، وفيه من تفاصيل التربية الأخلاقية والتهذيب النفسي ما تقصر عنه باقي المناهج التربوية، وفيه من الوعي بالثقافة الدينية ما يحتاجه الإنسان المؤمن.

- ولهذا فإن اقتصار الداعي على مجرد (تلاوة) الألفاظ، و(قراءة) الحروف، و(إكمال) الدعاء إلى نهايته حتى لو كان بالصوت الحسن، بالرغم من أنه سيكسبه ثوابًا وأجرًا ذلك أنه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]، وقانون الله أنه: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[2].

(1) سورة الزلزلة الآية 7.

(2) سورة آل عمران الآية 195.

- تستثير هذه النظرة عددًا من الأسئلة منها ما يرتبط بالمناسبة بين قراءة الدعاء وتلاوته أو الذكر وقوله وبين الثواب الكبير الذي وُعد به قارئه، فكيف يمكن التوفيق بينهما؟ وربما يحل البعض المسألة بالتعبد مرة أخرى قائلًا إن الله كريم ولا تنقص خزائنه، وما دام قد وعد بإعطاء هذا الثواب فما المانع منه؟ لكن يبقى السؤال عالقًا.
- هذه النظرة غير قادرة على استقطاب مجاميع كثيرة من الناس لا يسلكون مسلك التعبد في كل الأمور وإنما يريدون أن يُقرب الأمر الديني إليهم بما يتناغم مع المرتكزات العقلائية والعرفية.

2. **القراءة التأملية الواعية**: وتنطلق من فكرة أن العبادات ومنها الدعاء بالإضافة إلى كونها تحقق للإنسان الجزاء الموعود به في يوم القيامة، فإنها تقوم بدور مهم في تربية الفرد والمجتمع للوصول إلى الكمال البشري الممكن. في هذه الدنيا، ومن المعلوم أن ديننا يريد إعمار آخرة الإنسان وإسعاد دنياه..

تلك العبادات (الصلاة والصيام والحج والزكاة) قد شرعت من أجل تحقيق أهداف في دنيا المسلم، وليست أمرًا أخرويًا

محضا، فإن منها ما ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وما هو ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[2]، ومنها ما ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، ومنها ما يحقق بمعنى له قابلية ذلك تحقيق التقوى، والهداية، والرشد، والفلاح، والتعقل، ولقد تحدث القرآن الكريم في ما يقارب مئة موضع عن حكمة وغاية تشريع تلك العبادات[4].. وأما الأحاديث فقد تعرضت لذلك بنحو أكثر تفصيلاً[5].. ولهذا تمَّ التأكيد عليها.. فهذا الكم الهائل من الأدعية التي تتوزع على مختلف

(1) سورة العنكبوت الآية 45.

(2) سورة التوبة الآية 103.

(3) سورة التوبة الآية 103.

(4) ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 179].
ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:183].
ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:130].
ـ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران:132].
ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:90].
ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج:77].
ـ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة:186].

(5) يمكن مراجعة كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق فإن قسمًا منه يتعرض إلى حكمة تشريع العبادات. وعلى سبيل المثال ما ورد في خطبة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: كما نقله ابن منظور في بلاغات النساء ص 16: ففرض الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والصيام تثبيتًا للإخلاص والزكاة تزييدًا في الرزق والحج تسلية للدين والعدل تنسيقًا للقلوب وطاعتنا نظامًا وإمامتنا أمنًا من الفرقة وحبنا عزًّا للإسلام والصبر منجاة والقصاص حقنًا للدماء والوفاء بالنذر تعرضًا للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تعبيرًا للبخسة والنهى شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس وقذف المحصنات اجتنابًا للعنة وترك السرقة إيجابًا للعفّة وحرم الله عز وجل الشرك إخلاصًا له بالربوبية.

الأزمنة والحالات، والمناسبات. بل الكثير منها من غير مناسبة. فهناك من الأدعية ما هو خاص بأيام الأسبوع، ومنها ما يقرأ في كل يوم، ومنها ما هو في أيام وليال خاصة في السنة: كأيام الجمع ولياليها، وليالي النصف من رجب وشعبان، والقدر، ومنها ما خاص بأيام شهر رمضان، ومنها ما وقته بعد الصلاة كتعقيبات يومية، ومنها ما هو بلا مناسبة أو زمان.

ومنها ما يرتبط بحال الداعي، وتغير أوضاعه، فهذه مناجاة الشاكرين، وتلك مناجاة الشاكين، وإلى جانبها مناجاة المفتقرين، وهكذا..

هذا كله لا يمكن أن يكون المقصود منه قراءة تعبدية، المهم فيها هو تلاوة الحروف، و (آخر الدعاء) وإنما المقصود هو تلك القراءة الواعية المتأملة في المضامين، فإذا وقف الإنسان يقرأ دعاء عرفة تجلى بين يديه تلك الصور العظيمة، وإذا قرأ المناجاة وضع نفسه على منصة الاعتراف. وإذا قرأ دعاء كميل كان كمن قد أمر به إلى النار وهو ينادي (أين كنت يا ولي المؤمنين..).

إن تعدد المضامين الموجودة في الأدعية بحيث يحق بجزم أن نقول أنها مدرسة تربوية وعقدية وأخلاقية متكاملة كما سيأتي الكلام عنه.. يجعل هذه القراءة هي القراءة المطلوبة.

وضمن هذه الرؤية نفهم ما قام به زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية، ونفهم التوجيهات الكثيرة التي تنبه على أهمية موقع تلك الأدعية، وكذا الزيارات.»[1]

**2/ عرض سريع لأدعية الصحيفة**: بالرغم من أنه توجد أدعية كثيرة مروية عن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام إلا أنه اختص الإمام علي بن الحسين زين العابدين من بينهم بكثرة ما روي عنه من الدعاء، مع أن ما وصل إلينا ليس كل أدعيته وإنما بعضها! وقد جمع بعض هذا في سمي بالصحيفة السجّادية.

والواصل عندنا من تلك الصحيفة هو أثنان وخمسون (52) دعاء[2]، وتشكل الصحيفة السجّادية المشهورة. غير أن العلماء استدركوا عليها أدعية ثابتة عن الإمام عليه السلام، وأضافوها إليها فجاءت أكبر من الأولى، ولعل النسخة الكبرى هي ما نشرته وحققته مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد محمد باقر الأبطحي بعنوان الصحيفة السجّادية الجامعة لأدعية الإمام زين العابدين، واحتوت على (270) دعاء، بين طويل وقصير. مع بحثين عن أسانيد الصحيفة وإجازاتها..

(1) آل سيف؛ فوزي: تأملات في آيات الظهور.

(2) هذا خاضع للترتيب الذي وصلنا، وإلا فقد يمكن القول أن الادعية المرقمة بـ 1، 2، 3، 4 هي كلها دعاء واحد، ويشير إلى ذلك موضوعها وبيئة الدعاء وألفاظه.

وبالنسبة للصحيفة السجّادية (المشهورة) فإنها بالإضافة إلى وجود أسانيد كثيرة لها، هي لاشتهارها بين الشيعة عمومًا (بمن فيهم الزيدية) لا تحتاج إلى البحوث السندية مع أن العلماء قاموا جزاهم الله خيرًا بذلك.

وبنظرة سريعة إلى عناوين أدعية هذه الصحيفة المباركة نجد تنوعًا كبير فيها. والدعاء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو أحد منابع المعرفة الدينية سواء في العقائد أو الأحكام أو الأخلاق والمعارف، ومتى صحّ الدعاء عن المعصوم فإنه يصبح جزء من المنظومة التشريعية التي يستند إليها المتكلم في العقائد والفقيه في الأحكام والمربي في الأخلاق والكاتب والخطيب في المعارف. وكأننا حين نقرأ فقرات أدعية الصحيفة ننصت في مجلس الدرس إلى ما يلقيه الإمام عليه السلام في شتى فنون المعرفة، فهو «تارة يعلم المؤمن كيف يمجد الله ويقدسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلمه أسلوب البر بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثم يبين فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي، كل ذلك بأسلوب تعليمي رائع وبليغ».[1]

(1) الأبطحي: الصحيفة السجّادية الجامعة/ 13.

فمن خلال عناوين بعض الأدعية الموجودة في الصحيفة المشهورة نجد:

أنه في الدعاء (1) يبدأ بالحمد للباري سبحانه مشيرًا إلى خلقه الكائنات واختراعه إياها من غير مثال، وأنه سلك بها طريق إرادته وجعل لها رزقًا مقسومًا لا يزيده أحدٌ كما لا ينقصه. وحدد لها أجلًا موقوتًا.

ثم يعود للحمد مرة أخرى لأن الله سبحانه لم يحبس عن الخلق معرفته، وإلا لخرجوا بذلك من الإنسانية إلى البهيمية، وهذه النعمة تستحق حمدًا يضيء ظلمات البرزخ إلى المبعث، وتقر به العيون.

بعد أن ذكر نعمة الخلق وهي الأساس، ثم نعمة المعرفة بالله، يذكر باقي النعم ومنها حسن الخُلُق وطيبات الرزق، ومن أحسن النعم أنه أغلق باب الحاجة إلا إليه، في كل الأمور.. وحينها كيف يُطاق حمده ويؤدَّى شكره؟ لقد جعل الله في خلق الإنسان أدوات القبض والبسط، فتعددت مواهبه وتكثرت قدراته!

وإذا كانت هذه النِعَم ظاهرة في البشر، فإن هناك بعض النِعَم قد اختص الله بها (إما في سعتها أو عمقها وأدواتها) المسلمين وأمة النبي المصطفى، وهي التوبة التي لم تكن بتلك السعة

والعمق والأدوات في الأمم السابقة وإن كان أصلها موجوداً. فإذا كانت بعض الأمم تتوب ولكن بالصعوبة مثل ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1] فإن أمة المصطفى يكفيها أن يقوم أحدهم ليلته فيبكي لربه لكي يتوب عليه! فللَّه الحمد حمداً يفضل سائر الحمد كفضل الرب على سائر خلقه!.

وبحسب ترقيم الصحيفة فإنه بعد ذلك يبدأ دعاء آخر هو رقم (2) لكن كما يظهر فإن الدعاء هو نفسه، يستكمل موجبات الحمد والشكر، ولكنه في النقل أو في الطباعة جعل دعاءً مستقلًّا، وإلا فإن نفس السياق ونفس بيئة الدعاء هي مستمرة.

فيأتي في هذه الفقرة بالحمد لله والشكر على أنه سبحانه منّ على الناس برسوله الأمين النجيب الصفي إمام الرحمة قائد الخير ومفتاح البركة، فيعرف به وبجهاده الكافرين وبذله كل شيء في سبيل ربه.

ونفس الكلام في الفقرة التالية؛ فهي وإن كانت بحسب المطبوع معنونة بأنها الدعاء (3) إلا أننا نعتقد أنها جزء من الدعاء الأول، فإنه بعد ذكر أنعم الله وبركاته، وذكر رسوله المصطفى وبعثته شرع في الصلاة على حملة العرش والملائكة ويذكر صفاتهم وأسماءهم

(1) البقرة: 54.

كإسرافيل وميكائيل وجبرئيل، والروح بل والروحانيين وخُزّان المطر وزواجر السحاب، والموكلين بالجبال والعارفين بمثاقيل المياه، والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير ومالك، والخزنة ورضوان، وسدنة الجنان.. فإن هؤلاء جميعًا وغيرهم من الملائكة في طاعة الله دائبون.

وفي الفقرة الرابعة من الدعاء والتي عنونت بأنها الدعاء رقم (4) يمر على أهل الإيمان في أدوار التاريخ الذين اتبعوا الأنبياء وصدقوا الرسل من آدم إلى النبي الخاتم، فيطلب من الله لهم الرحمة والغفران.

ويخص من هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين أحسنوا الصحبة،[1] وأبلوا البلاء الحسن في النصرة، وفارقوا الأزواج والأولاد، وقاتلوا الأرحام نصرة لرسول الله ووفاء بعهد الله فيطلب لهم من الله الرضوان. بل والتابعين لهم من حينها إلى يوم الدين.

(1) يلاحظ أن المتعصبين من مدرسة الخلفاء يتمسكون بهذا النص وأمثاله لتزكية جميع الصحابة وتعديلهم، مع أنه واضح في من يحمل صفات «حسن الصحبة» وقتال الأقربين في نصرة الدين، وسائر الصفات التي كلما ذكرت صفة جديدة تضيقت الدائرة! وأنه يتكلم عن هؤلاء على نحو القضية الحقيقية لا القضية الخارجية. بمعنى أنه ناظر إلى من توفرت فيه تلك الصفات، وينبغي حينئذ أن يُبحث عمن توفرت فيه تلك الصفات، مثلما لو قال قائل: أبناء المجتمع الجامعيون لهم جائزة، فلا يشمل ذلك كل أبناء المجتمع وإنما يحتاج كل شخص إلى إثبات كونه جامعيًا ليحصل على الجائزة.

ونلحظ في هذه الأدعية التنوع الكبير، ففيها الدعاء المرتبط بالفئات الاجتماعية المختلفة من أرحام وغيرهم؛ كالدعاء لأبويه، والدعاء لولده وفيهما من بيان منزلة هذين الصنفين وحقوقهما الشيء الكثير، وهكذا الدعاء لجيرانه وحريٌّ بالمؤمنين قراءته خصوصًا في هذه الأوضاع التي لا تساعد على العناية بالجار إن لم تكن سببًا في تنكيد العلاقة معه، والدعاء لأوليائه ومحبيه، والدعاء لأهل الثغور المرابطين على حدود حماية الدولة المسلمة، وقد لاحظ بعضهم بأن جزءً من هؤلاء المرابطين هم من جيش بني أمية الظالمين! ومع ذلك يدعو الإمام لهم بالنصر وعلى عدوهم بالخذلان.

وفيها المواضيع الأخلاقية، فكما أن هناك استعاذة من الأمراض الأخلاقية، ومساوئ الأفعال والصفات الذميمة، لكي يحذرها المؤمن فهناك تحريض وتشجيع على التحلي بمكارم الأخلاق والقيم العالية في دعائين منفصلين.

ومن ذلك التشجيع ما جاء في دعاء مكارم الأخلاق «اللَّهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان واجعل يقيني أفضل اليقين وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال، اللَّهم وفر بلطفك نيتي وصحح بما عندك يقيني واستصلح بقدرتك ما فسد مني، اللَّهم صل على محمد وآله

واكفني ما يشغلني الاهتمام به واستعملني بما تسألني غدًا عنه واستفرغ أيامي في ما خلقتني له واغنني وأوسع علي في رزقك ولا تفتني بالبطر وأعزني ولا تبتلني بالكبر وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر، اللَّهم صل على محمد وآله ولا ترفعني في الناس درجة إلّا حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزًّا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها، اللَّهم صل على محمد وآله ومتعني بهدى صالح لا استبدل به وطريقة حق لا أزيغ عنها ونية رشد لا أشك فيها وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإذا كان عمري مرتعًا للشيطان فاقبضني قبل أن يسبق مقتك إليّ ويستحكم غضبك علي، اللّهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها ولا عائبة اؤنب بها إلا أحسنتها ولا اكرومة فيّ ناقصة إلا أتممتها».

وهناك التعريف بالأعداء وأولهم الشيطان الرجيم ومكائده وخططه التي يورط فيها الناس حتى يوقعهم في مستنقع المعاصي، وتراه عليه السلام في بعض الأدعية يقوم بتحليل داخلي للعاصي وكيف تفعل المعصية في نفسه وأخلاقه، ولهذا فهو عليه السلام يعلم الإنسان أولا طلب العافية من الامتحانات الإلهية والوقاية منها ويرجو من الله الستر لو عثر فيها!

ولا يمرّ على الظواهر الطبيعية مرور عابر وإنما يلتمس في حصولها قدرة الله وعظيم صنعه وبديع خلقه، فهو يلاحظ الهلال البادي كل شهر، ويشير إلى بديع الصنع الإلهي ومسؤولية الخلق تجاه ذلك، ويلاحظ السحاب والرعد ويوجه المؤمن إلى هذه الظواهر، بل ويحمله مسؤولية الدعاء لسقي الأرض ومن عليها وما عليها متناغمًا مع ما ندب إليه الباري من صلاة الاستسقاء عند حصول موجبها.

وتأخذ المناسبات الزمنية حيّزًا معقولًا في أدعية الصحيفة السجّادية، فلدخول شهر رمضان وما يترتب على هذا الزمان المبارك من آثار دعاء خاص، بل ولوداعه كما لو كان كائنًا حيًّا ومحبوبًا عزيزًا يُبكى عليه عند الرحيل ويُشيع عند الانصراف بأروع الكلمات. كما يستقبل عيد الفطر بما يناسبه.

وأما دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة فهو دورة معارف دينية كاملة يبدأ فيها بذكر صفات الله وأسمائه، مسبّحًا له حامدًا إياه،[1] ومصليًّا

(1) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجّادية الكاملة، 250 حمدًا يستدام به الأول ويستدعى به دوام الآخر، حمدًا تضاعف على كرور الأزمنة، ويتزايد أضعافًا مترادفة، حمدًا يعجز عن إحصائه الحَفَظة، ويزيد على ما أحصته في كتابك الكَتَبة، حمدًا يوازن عرشك المجيد، ويعادل كرسيك الرفيع، حمدًا يكمل لديك ثوابه، ويستغرق كل جزاء جزاؤه، حمدًا ظاهره وفق لباطنه، وباطنه وفق لصدق النية فيه، حمدًا لم يحمدك خلق مثله.

على النبي المصطفى[1] وآله،[2] ثم يأخذ الإنسان الداعي إلى الاستدلال على ضرورة الإمامة في كل زمان وصفات الإمام المعين من الله فيقول: «اللَّهم إنك أيّدتَ دينَك في كل أوانٍ بإمامٍ أقمته علمًا لعبادك، ومنارًا في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاء عند نهيه، وألّا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخرٌ فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين..»[3]

وينتهي بعد ذلك إلى ولي الله والإمام القائم بشؤون الإمامة، فيدعو الله له بالنصر والتأييد، وسواء كانت هذه الفقرة متوجهة إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، كما أشار لذلك غير واحد من الكتّاب

(1) الصحيفة السجّادية الكاملة/ 252 رب صل على محمد وآله صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها، وصل عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها، وصل عليه صلاة راضية لا تكون صلاة فوقها، رب صل على محمد وآله صلاة ترضيه وتزيد على رضاه، وصل عليه صلاة ترضيك وتزيد على رضاك له، وصل عليه صلاة لا ترضى له إلا بها، ولا ترى غيره لها أهلًا..

(2) الصحيفة السجّادية الكاملة/ 253 ومع أنه قرن الآل مع النبي في فقرات الصلاة السابقات إلا أنه عليه السلام خصهم هنا بصلوات منفصلة ومفصلة ذكر فيها خصائصهم واصطفاء الله لهم وإمامتهم فقال: رب صل على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك، وحفظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيرًا بإرادتك، وجعلتهم الوسيلة إليك، والمسلك إلى جنتك..

(3) الصحيفة السجّادية الكاملة/ 255.

والمؤلّفين، ويؤيده ما في الدعاء نفسه،[1] أو كان المقصود بها هو ذاته الشريفة أعني عليًّا الإمام زين العابدين، فإنها تؤكد على بعض أدوار الإمام «اللَّهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه وأوزعنا مثله فيه، وآته من لدنك سلطانًا نصيرًا، وافتح له فتحًا يسيرًا، وأعنْه بركنِك الأعز، واشددْ أزره، وقوّ عضدَه، وراعِه بعينك، واحمِه بحفظك، وانصرْه بملائكتك وامددْه بجندك الأغلب، وأقمْ به كتابَك وحدودَك وشرائعَك وسننَ رسولك صلواتك اللَّهم عليه وآله، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك»[2] بل ويصلي على مواليه المعترفين بإمامته والسائرين على منهاجه ومنهاج آبائه «اللَّهم وصلّ على أوليائهم المعترفين بمقامهم، المتبعين منهجهم، المقتفين آثارهم، المستمسكين بعروتهم، المتمسكين بولايتهم..».[3]

ونحن هنا لا نريد أن نشرح تمامًا هذا الدعاء فضلًا عن كل الأدعية لأن ذلك يحتاج إلى كتاب خاص بل ألّف فيها العلماء كتبًا كثيرة نافعة فليراجعها من أحب التفصيل.

(1) من قوله ص 257 «وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضاه ساعين، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين».

(2) الصحيفة السجّادية / 256.

(3) المصدر نفسه 257.

وبالنظر إلى فهرس الصحيفة السجّادية المشهورة نجد فيه 54 عنوانًا للأدعية هي التالية:

1 ـ التَّحْمِيدُ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

2 ـ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ.

3 ـ الصَّلَاةُ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ.

4 ـ الصَّلَاةُ عَلَى مُصَدِّقِي الرُّسُلِ.

5 ـ دُعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ وخَاصَّتِهِ.

6 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ والْمَسَاءِ.

7 ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمُهِمَّاتِ.

8 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاسْتِعَاذَةِ.

9 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاشْتِيَاقِ.

10 ـ دُعَاؤُهُ فِي اللَّجَإِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

11 ـ دُعَاؤُهُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ.

12 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاعْتِرَافِ.

13 ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ.

14 ـ دُعَاؤُهُ فِي الظُّلَامَاتِ.

15 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ الْمَرَضِ.

16 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاسْتِقَالَةِ.

17 ـ دُعَاؤُهُ عَلَى الشَّيْطَانِ.

18 ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمَحْذُورَاتِ.

19 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ.

20 ـ دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

21 ـ دُعَاؤُهُ إِذَا حَزَنَهُ أَمْرٌ.

22 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ الشِّدَّةِ.

23 ـ دُعَاؤُهُ بِالْعَافِيَةِ.

24 ـ دُعَاؤُهُ لِأَبَوَيْهِ.

25 ـ دُعَاؤُهُ لِوُلْدِهِ.

26 ـ دُعَاؤُهُ لِجِيرَانِهِ وأَوْلِيَائِهِ.

27 ـ دُعَاؤُهُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ.

28 ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّفَزُّعِ.

29 ـ دُعَاؤُهُ إِذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ.

30 ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى قَضَاءِ الدَّيْنِ.

31 ـ دُعَاؤُهُ بِالتَّوْبَةِ.

32 ـ دُعَاؤُهُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ.

33 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاسْتِخَارَةِ.

34 ـ دُعَاؤُهُ إِذَا ابْتُلِيَ أَوْ رَأَى مُبْتَلًى

35 ـ دُعَاؤُهُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

36 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الرَّعْدِ.

37 ـ دُعَاؤُهُ فِي الشُّكْرِ.

38 ـ دُعَاؤُهُ فِي الِاعْتِذَارِ.

39 ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ.

40 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ.

41 ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ السَّتْرِ والْوِقَايَةِ.

42 ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ خَتْمِهِ الْقُرْآنَ.

43 ـ دُعَاؤُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْهِلَالِ.

44 ـ دُعَاؤُهُ لِدُخُوْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

45 ـ دُعَاؤُهُ لِوَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

46 ـ دُعَاؤُهُ فِي عِيدِ الْفِطْرِ والْجُمُعَةِ.

47 ـ دُعَاؤُهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ.

48 ـ دُعَاؤُهُ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى والْجُمُعَةِ.

49 ـ دُعَاؤُهُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ.

50 ـ دُعَاؤُهُ فِي الرَّهْبَةِ.

51 ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّضَرُّعِ والِاسْتِكَانَةِ.

52 ـ دُعَاؤُهُ فِي الْإِلْحَاحِ.

53 ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّذَلُّلِ.

54 ـ دُعَاؤُهُ فِي اسْتِكْشَافِ الْهُمُومِ.

ومن نافلة القول أن نشير إلى تأثير هذه الأدعية وسواها في مجتمعات الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وتأثر هذه المجتمعات بهذه الأدعية، وحضورها في صلواتهم وأيامهم، وما تصنعه من نقاء روحي فيهم.[1]

ولو تتبعنا حضور هذه الأدعية في تلك المجتمعات لرأينا شيئاً كثيرا، فلا يكاد شهر رمضان يصل حتى ترى الحناجر والمجالس تصدح بدعائه عليه السلام المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي، والداعي يتأمل في قوله عليه السلام «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك، ولا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك؟ ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن

(1) وهناك المئات من القصص التي تتناقل عن تأثر سامعي أو قارئي أدعيته عليهم السلام، في حياتهم حتى البعيد منهم عن الانتماء للتشيع، بل كان ذلك الاستماع أو الانفتاح على دعاء من أدعيته طريقا للعلاج من المشاكل النفسية، بل والاهتداء إلى الطريق القويم.

عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك، يا رب يا رب يا رب.

بك عرفتك، أنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدرِ ما أنت. الحمد الله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئًا حين يدعوني. والحمد الله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلًا حين يستقرضني. والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع، فيقضي لي حاجتي.

والحمد لله الذي أدعوه ولا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي. والحمد لله الذي أرجوه ولا أرجو غيره، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي..».[1]

إننا ندعو المسلمين عمومًا في هذا الزمان خصوصًا حيث الجفاف الروحي والتصحّر الوجداني، مقرونًا بمشاكل لا تعد ولا تحصى في الحياة اليومية إلى الانفتاح على هذه الكنوز الروحية العظيمة التي ترطب جفاف حياتهم، وتملأ خلاء نفوسهم وتقوي ضعف طاقتهم بربطهم بخالقهم ذي القوة المتين.

(1) الأبطحي: الصحيفة السجّادية الجامعة 214.

# المناجيات الخمس عشرة.. هل هي من دعائه؟

مما ينسب إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام من الدعاء والمناجاة، خمس عشرة مناجاة متنوعة العناوين بحسب حالة الداعي ووصفه، ومطلع كل منها كالتالي:

ـ **الأولى**: مناجاة التائبين: إلهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي، وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي، فَأَحْيِه بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي، وَيا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي، فَوَعِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبِي سِواكَ غافِرًا..

ـ **الثانية**: مناجاة الشاكين: إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تسْلُكُ بِي مَسالِكَ الْمَهالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ، طَوِيلَةَ الأَمَلِ، إنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ..

ـ **الثالثة**: مناجاة الخائفين: إلهِي أَتَراكَ بَعْدَ الإِيْمانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي،

أَمْ بَعْدَ حُبِّي إيَّاكَ تُبَعِّدُنِي، أَمْ مَعَ رَجآئِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي، أَمْ مَعَ اسْتِجارَتِي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُنِي؟ حاشا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي، لَيْتَ شِعْرِي، أَلِلشَّقآءِ وَلَدَتْنِي أُمِّي، أَمْ لِلْعَنآءِ رَبَّتْنِي؟ فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ تُرَبِّنِي..

ـ **الرابعة**: مناجاة الراجِين: يا مَنْ إذا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإذا أَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ، وَإذا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ، وَإذا جاهَرَهُ بِالْعِصْيانِ سَترَ عَلَى ذَنْبِهِ وَغَطَّاهُ، وَإذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَاهُ. إلهِي مَنِ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِسًا قِراكَ فَما قَرَيْتَهُ؟ وَمَنِ الَّذِي أَناخَ بِبابِكَ مُرْتَجِيًا نَداكَ فَما أَوْلَيْتَهُ..

ـ **الخامسة**: مناجاة الراغبين: إلهِي إنْ كانَ قَلَّ زادِي فِي الْمَسِيرِ إلَيْكَ، فَلَقَدْ حَسُنَ ظَنِّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَإنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَخافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَإنَّ رَجآئِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالأَمْنِ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَإنْ كانَ ذَنْبِي قَدْ عَرَّضَنِي لِعِقابِكَ، فَقَدْ آذَنَنِي حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوابِكَ..

ـ **السادسة**: مناجاة الشاكرين: إلهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَنِي عَنْ إحْصآءِ ثَنآئِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوآئِدِكَ، وَأَعْيانِي عَنْ نَشْرِ عوارِفِكَ تَوالِي أَيادِيكَ، وَهذَا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النَّعْمآءِ، وَقابَلَها بِالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالإهْمالِ وَالتَّضْيِيعِ..

ـ **السابعة**: مناجاة المطيعين للَّهِ: أَللَّهُمَّ أَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنِ ابْتِغاءِ رِضْوانِكَ، وَأَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ، وَاقْشَعْ عَنْ بَصائِرِنا سَحابَ الارْتِيابِ، وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجابِ، وَأَزْهِقِ الْباطِلَ عَنْ ضَمآئِرِنا..

ـ **الثامنة**: مناجاة المريدين: سُبْحانَكَ ما أَضْيَقَ الطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! وَما أَوْضَحَ الْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَه! إلهِي فاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الْوُصُولِ إلَيْكَ، وَسَيِّرْنا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهِّلَ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ..

ـ **التاسعة**: مناجاة المحبّين: إلهِي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ، فَرامَ مِنْكَ بَدَلًا؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ، فَابْتَغَى عَنْكَ حِوَلًا؟ إلهِي فَاجْعَلْنا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ، وَأَخْلَصْتَه لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ إلى لِقَآئِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضآئِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضاكَ، وَأَعَذْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلاكَ..

ـ **العاشرة**: مناجاة المتوسّلين: إلهِي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إلَيْكَ إلَّا عَواطِفُ رَأفَتِكَ، وَلا لِي ذَرِيعَةٌ إلَيْكَ إلَّا عَوارِفُ رَحْمَتِكَ، وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ؛ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَمُنْقِذِ الأُمَّةِ مِنَ الْغُمَّةِ، فَاجْعَلْهُما لِي سَبَبًا إلى نَيْلِ غُفْرانِكَ، وَصَيِّرْهُمَا لِي وُصْلَةً إلى الْفَوْزِ بِرِضْوانِكَ..

ـ **الحادية عشرة**: مناجاة المفتقرين: إلهِي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا

لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، وَفَقْرِي لا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسانُكَ، وَرَوْعَتِي لا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمانُكَ، وَذِلَّتِي لا يُعِزُّها إِلَّا سُلْطانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لا يُبَلِّغُنِيها إِلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لا يَسُدُّها إِلَّا طَوْلُكَ، وَحاجَتِي لا يَقْضِيها غَيْرُكَ..

ـ **الثانية عشرة**: مناجاة العارفين: إِلهِي قَصُرَتِ الأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنآئِكَ، كَما يَلِيقُ بِجَلالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْراكِ كُنْهِ جَمالِكَ، وَانْحَسَرَتِ الأَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ إِلى سُبُحاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقًا إِلى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ..

ـ **الثالثة عشرة**: مناجاة الذاكرين: إِلهِي لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ، عَلى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي، لا بِقَدْرِكَ، وَما عَسى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدارِي، حَتّى أُجْعَلَ مَحَلًّا لِتَقْدِيسِكَ، وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا جَرَيانُ ذِكْرِكَ عَلى أَلْسِنَتِنَا، وَإِذْنُكَ لَنا بِدُعآئِكَ، وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ..

ـ **الرابعة عشرة**: مناجاة المعتصمين: أَللَّهُمَّ يا مَلاذَ اللاآئِذِينَ، وَيا مَعاذَ الْعآئِذِينَ، وَيا مُنْجِيَ الْهالِكِينَ، وَيا عاصِمَ الْبآئِسِينَ، وَيا راحِمَ الْمَساكِينِ، وَيا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ، وَيا كَنْزَ الْمُفْتَقِرِينَ، وَيا جابِرَ الْمُنْكَسِرِينَ، وَيا مَأْوَى الْمُنْقَطِعِينَ، وَيا ناصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيا مُجِيرَ الْخآئِفِينَ..

ـ **الخامسة عشرة**: مناجاة الزاهدين: إلهِي أَسْكَنْتَنا دارًا حَفَرَتْ لَنا حُفَرَ مَكْرِها، وَعَلَّقَتْنا بِأَيْدِي الْمَنايا فِي حَبائِلِ غَدْرِها، فَإِلَيْكَ نَلْتَجِئُ مِنْ مَكآئِدِ خُدَعِها، وَبِكَ نَعْتَصِمُ مِنَ الاغْتِرارِ بِزَخارِفِ زِيْنَتِهَا، فَإِنَّهَا الْمُهْلِكَةُ طُلَّابَها، الْمُتْلِفَةُ حُلَّالَها، الْمَحْشُوَّةُ بِالآفاتِ، الْمَشْحُونَةُ بِالنَّكَباتِ. إلهِي فَزَهِّدْنا فِيها..[1]

وقد وقعت هذه المناجاة (المناجيات)[2] محلًا للنقاش في أنها هل تصح نسبتها إلى الإمام زين العابدين أو لا تصح! وسنستبق النقاش بالنتيجة فنقول: إنه من الناحية العملية من جهة جواز القراءة لها والتوسل إلى الله بكلماتها لا أحد من الطرفين ينفي ذلك، فالجميع يرى أنه يمكن قراءتها والتأمل في معانيها والتخضع لله تعالى بفقراتها.

نعم هناك فرق بين الطرفين في أمور أخر؛ منها النية فبإمكان الطرف المثبت لورودها عنه عليه السلام أن ينوي ذلك ويقرأها بعنوان أنها عن الإمام عليه السلام بينما الطرف الآخر إنما يستطيع أن يقرأها لاحتمال

(1) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار 91/ 152 وهذه ليست كل المناجاة وإنما ذكرنا مطلع كل مناجاة في عدة أسطر ومن أراد الاطلاع عليها بتمامها وكمالها فليرجع إلى بعض طبعات الصحيفة السجّادية الكاملة حيث ألحقت بها، أو كتاب مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله.

(2) قد تجمع على مناجيات، برد الألف إلى أصلها (الياء) ثم إضافة ألف وتاء، ولكن حيث أنها مشهورة بهذا الرسم حتى كادت تكون مصطلحًا، فقد استعملنا كلمة المناجاة في الجمع أيضًا.

ورودها عن الإمام. والأمر الآخر أن للطرف الأول ما دام يعتقد بكونها صادرة عن الإمام عليه السلام أن يستدل اذا تمَّ إسنادها ويستشهد بفقراتها في مختلف الأبواب حتى في الفقه. بينما لا يستطيع الطرف الآخر ذلك وإنما يستطيع التأيد بها، لا الاستدلال والاعتماد.

**حجج المانعين:**

**وعلى أي حال فقد احتج المانعون لكونها عن الإمام عليه السلام بوجوه؛ منها:**

- أنه لا سند لها متصلًا بالإمام، فإن من نقلها وهو العلامة المجلسي (ت 1111هـ) وذكر أنه «وجدها مروية عنه عليه السلام في بعض كتب الأصحاب رضوان الله عليهم» فهي إذن وجادة وليست رواية، كما أنه لم يعلم من هم أولئك الأصحاب وما هي تلك الكتب، ومدى ميزان الاثنين.
- إنها لعدم احتوائها على ذكر الصلاة على محمد وآل محمد فإنها لا تشبه أسلوب أدعيتهم.
- إن ألفاظها ليست في مستوى ألفاظ أدعيتهم عليهم السلام فصاحة وبلاغة، وقد أشار لذلك الشيخ محمّد تقيّ والد العلامة المجلسيّ (ت 1003هـ) المعروف بالمجلسيّ الأول رحمهما الله، حيث قال: «والدّعوات التي ألحقها الشّهيد رحمه الله بها غير مناسبةٍ

بفصاحة الصّحيفة، فإنّ الخمسة عشر مناجاة التي ألحقها بها وإن كانت قريبةً منها فيها لكنّها بعيدة من أسلوبها».

وكذلك ما ذكره السيّد نعمة الله الجزائريّ رحمه الله (ت1112هـ)، قال: «وشيخُنا الشّهيد ـ عطّر اللَّهُ مرقده ـ ألحق هذه المُلحقات بالصحيفة[1] ظنًّا منه أنّها من الأدعية الساقطة والحقُّ أنّ بعضها وإنْ قرب من أدعية الصحيفة في طبقات الفصاحة والبلاغة إلّا أنّ البعض الآخر بعيدٌ عنها ونسبتها إليه نسبة ما يُدّعى سقوطه من القرآن إليه.

كما أنها تتضمن في بعضها ألفاظًا غريبةً هي أقرب إلى ألفاظ أهل التصوّف. ولعلها قد تسربت إلى كتب الادعية من الصوفية أو علماء مدرسة الخلفاء».[2]

**حجج المؤيدين:**

**وللقائلين بصحة انتساب هذه المناجاة أن يستدلوا على مرادهم:**

**أولًا**: بأن العلامة المجلسي صاحب البحار كان من أشد الناس على التوجه الصوفي فلا يعقل بعد هذا أن يأتي ويجعل في كتابه

(1) لم نعثر على الصحيفة التي ألحق فيها الشهيد تلك المناجيات بالصحيفة، وعلى أي حال فهذا يشير إلى أنها كانت من زمان الشهيد الأول (استشهد 786 هـ) وأنه احتمل ولومن خلال النقد المتني وملاحظة سبك هذه المناجيات بأن تكون من إنشاء الإمام زين العابدين عليه السلام.

(2) مصباح الهداية mhedaiat.blogspot.com

الأهم ما هو لدى الصوفية وخصوصًا في هذا الأمر الخطير وهو صياغة العلاقة مع الله سبحانه وطريقة الخطاب معه.

ويمكن نفي ما ذكر من أنه قد تسربت من علماء مدرسة الخلفاء بتصريحه بأنه رأى هذه المناجيات (المناجاة) مروية في كتب بعض الأصحاب، فهو نص في هذا المقام. إلا أن نقول أن تلك الكتب هي نقلتها عن مدرسة الخلفاء، وحينئذ لا يكون معنى لكلام العلامة المجلسي! وهو بعيد. فإنه في صدد إفادة الاطمئنان للقارئ بمصدرها. بالإضافة إلى ما سيأتي في رابعا.

**وثانيًا**: وأصرح من ذلك قوله «المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين صلوات الله عليهما وقد وجدتها مروية عنه عليه السلام في بعض كتب الأصحاب رضوان الله عليهم»[1] فهو قد نسبها إلى الإمام جازمًا بذلك بإضافتها إليه، ومصرحًا بأنه وجدها مروية عنه. وكذلك صنع المحدث الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة (ت 1104هـ) فإنه في كتابه الصحيفة السجّادية الثانية والتي أورد فيها (67) دعاء، جعل أولها هذه المناجيات، وقال في مقدمة الكتاب: «وقد جمعت هنا بقية ما وصل إليّ مما نقله العلماء الأعلام من أدعيته عليه الصلاة والسلام حبًّا لتأليف ذلك

(1) بحار الأنوار، ج 91، العلامة المجلسي، ص 142.

الشتات وإيثارًا لجمع شمل تلك الدعوات، فعليك بملازمة هذه الصحيفة الشريفة وتلاوة هذه الأدعية المنيفة، واجمع بينها وبين أختها الصحيفة الأولى فإنهما أحق بالملازمة وأولى ولا بأس هنا بالجمع بين الأختين..»[1]

**وثالثًا**: فإننا لم نفهم وجهًا واضحًا لكلام والده المجلسي الأول، ولا تلميذه السيد الجزائري، في أن أسلوبها لا يتناسب مع أسلوب أدعيتهم، بل نرى العكس تمامًا فإن فيها من المعاني العالية والسبك البديع ما يصعب على غير المعصوم، ونرى أن مضامينها بل بعض عباراتها موجودة في أدعية أخر. ولك عزيزي القارئ أن تتأمل في بعضها وترى بنفسك ذلك.

نعم يوجد فيها بعض الكلمات غير المألوفة! وهي قليلة وهذا لا يسقط نسبة كل فقرات المناجيات! ويكون حالها حال بعض الفقرات أو الكلمات الواردة في المناجاة الشعبانية مثلًا أو دعاء عرفة أو غيرهما.

**ورابعًا**: فإننا بحثنا قدر استطاعتنا وبأكثر من محرك للبحث[2]

(1) الحر العاملي: الصحيفة السجّادية الثانية / 23 مؤسسة المعارف الإسلامية ت فارس حسون كريم / الكترونية.

(2) كتطبيق المكتبة الشاملة وفيه ما يزيد عن ثمانية آلاف ومائتي كتاب، وتطبيق تراث وفيه نحو سبعة آلاف وخمسمائة كتاب ومحركات البحث العامة.

وبوسائل مختلفة للعثور على هذه المناجيات في مصادر مدرسة الخلفاء وفي كتب الصوفية وأدعيتهم فما وجدنا لها أثرًا في تلك الكتب، بل ما وجدنا عبارة تشبه عباراتها إلا في مورد واحد فقط، وهو ما ورد في كتاب «الأربعون في شيوخ الصوفية» حيث ورد فيه هذه الجملة «سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَفْقَمِ الْعَطَّارَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ شَعْرَةَ (ت 301): «إِلَهِي لَوْلَا الْوَاجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي لِذِكْرِكَ»[1] فقط لا غير ولا يوجد وراءها شيء! وهذه تشبه نوعًا ما ما جاء في أول مناجاة الذاكرين وفيها»: إلهِي لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إيَّاكَ، عَلى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي، لا بِقَدْرِكَ..» إلى آخر المناجاة. ولم نجد في أي كتاب غير هذه الجملة لا من هذه المناجاة ولا من سائر المناجيات!

ولو كانت هذه المناجيات لشيوخهم فإن ذلك يعني أن معرفة أولئك الشيوخ بربهم وطريقة مخاطبتهم إياه لترتقي إلى أعلى المستويات! ولم يكن هذا المستوى خاصًا بالأئمة المعصومين عليهم السلام! بل ولو كانت عندهم لأثبتوها في كل كتاب ولنشروها في كل مكان.. فكيف لا توجد أي جملة من أي مناجاة في هذه الكتب؟

(1) المالينى؛ أحمد بن محمد الهروي: الأربعون في شيوخ الصوفية / 173.

نعم أثبتها بعض المتأخرين من علماء مدرسة الخلفاء ومن الصوفية في مواقعهم الإلكترونية من دون نسبتها إلى الصحيفة أو إلى غيرها، بل ركب بعضهم فقرات من هذه وفقرات من أدعية أخرى فجاءت مهجنة فقدت أصالتها!

**وخامسًا**: في الجواب عن عدم وجود ذكر الصلاة على محمد وآله، قال بعض الباحثين: «مجرد عدم ذكر الصلاة لوحدها لا يكون دليلًا على عدم صدورها منهم فلعله ﷺ فعل ذلك لأجل أن تأخذ تلك الأدعية مساحة أكبر من القبول لدى عامّة الناس ولا يكون تداولها خاصًّا باتباع العترة الطاهرة فتكون بذلك مسلكًا لهم للوصول للحق».[1]

وأخيرًا فقد أشرنا في أول الكلام إن ما يحتاجه عامة الناس أن لا تكون قراءة هذا الدعاء ممنوعة، وهو حاصل على كل التقادير حتى مع عدم وجود سند للدعاء هذا وغيره.[2]

(1) مركز الأبحاث العقائدية https://www.aqaed.com/faq/7995/

(2) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) 5/ 306 في جواب عن سؤال: أي من الأدعية والزيارات التالية ثابتة وصحيحة في نظركم (كميل، الافتتاح، أبو حمزة الثمالي، المناجاة الخمسة عشر، الزيارة الجامعة)؟ باسمه تعالى:: جميع هذه الأدعية والزيارات ممّا يصح الإتيان به بقصد الورود، والله العالم.

# الجانب العلمي
# في حياة الإمام السجّاد

يعتقد باحثون بأن الدور المهم الذي قام به الإمام السجّاد عليه السلام في هذا الجانب هو أنه أعاد المدرسة الإمامية إلى الحاضر الإسلامي، بحيث أصبح يتعامل معها العلماء على أنها إحدى المدارس العلمية في فهم الإسلام بل من أهمها، وأصبح التلقي عنها والأخذ منها أمرًا عاديًا، بل مهد هذا للدور العظيم الذي قام به من بعده ابنه الإمام الباقر وحفيده الصادق عليهما السلام.

وبيان ذلك: أن من الواضح أن إبعاد الإمام عليٍّ عليه السلام عن الخلافة، وإقصاءه عن موقع القيادة الذي جعله النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم له، وأكد كثيرًا عليه وفي مناسبات متعددة، لم يكن إبعاد شخص فقط وإنما بالإضافة إلى ذلك إبعاد منهج وطريقة في فهم الإسلام.

وتكرس هذا في أيام الخليفة الثاني بحيث وجدنا آثار ذلك في تغيير الكثير من سنن[1] رسول الله وطرائقه، ولولا أنه على أثر

(1) تغيير السنن هنا لا يعني تغيير المستحبات وإنما تغيير ما سنه رسول الله في الإدارة والحياة الاجتماعية والعبادية، ولتفصيل ذلك يمكن مراجعة كتاب النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين، وسلسلتنا في هذا الباب بعنوان: من تاريخ المذاهب في الإسلام.

ضغط الحاجة الملحة كان يتم الرجوع للإمام أمير المؤمنين عليه السلام (وهو المحكوم) لكان الخرق يتسع أكثر.

وأما حين صار دور بني أمية سواء في زمان الخليفة الثالث أو في أيام معاوية فالأمر أكبر من الوصف، فلم يكتَفَ بإبعاد المنهج والمدرسة العلوية ولا بإبعاد شخص الإمام عليه السلام، بل زاد الأمر ووصل إلى أن صار شتمه سنّةً! والحديث عنه ممنوعا ومحرما!

وظل إبعاد المدرسة والمنهج الفكري العَلوي والإمامي هو الثابت الذي لا يتغير إلى أيام يزيد بن معاوية ومروان، بزعم أنه لا يستقيم أمرهم[1] إلا بذلك!

وقد نجد بعض الإشارات التي تبين لنا تأثير تلك السياسة، فقد كانوا لا يسمحون بالحديث ولا بالتفسير ضمن إطار المدرسة تلك،[2] وإذا نقلوا الحديث عن الإمام عليه السلام كنّوا عنه[3] ولم يذكروا

(1) ابن أبي خيثمة؛ أحمد: التاريخ الكبير2/ 917 عن علي بن حسين؛ قال: قال لي مروان بن الحكم: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا؛ ـ يعني: عثمان بن عفان ـ من صاحبكم ـ يعني: علي بن أبي طالب، قلت: فما بالكم تسبوه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذاك».

(2) الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج 2/ 16، ذكر فيه مناظرة بين عبد الله بن عباس ومعاوية الذي قال له: فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك! وعندما سأله عما إذا كان ينهى عن تأويل القرآن حيث نزل في آياته فضائل الإمام أمره بأن يسأل منه يتأوله غير ما يتأوله هو وأهل بيته!

(3) حيدر؛ أسد: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة4/ 177 «وكان بنو أمية لا يذكر عندهم عليّ، وكل من ذكره عندهم عاقبوه. وكانت العلامة فيه أن يقولوا: قال الشيخ كذا».

اسمه! حتى لقد وصل الأمر في الحالة الشعبية إلى ما عبر عنه الحديث المعروف (ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة..)، وما نقل عن الإمام السجّاد عليه السلام (ما بمكة والمدينة ممن يحبنا عشرون). وما عبر عنه الإمام الباقر عليه السلام كما نقله ابن أبي الحديد.

بعمل الإمام السجّاد عليه السلام وحكمته، في نشر العلم والمعرفة بالوسائل المختلفة، وجدنا أن الوضع تغير تمامًا بحيث أن أهم فقهاء تلك الفترة قد أخذوا العلم بشكل كامل أو جزئي عن الإمام عليه السلام، وكانت هذه وسيلة مهمة في الخروج من الحصار الذي فرضه خط الخلافة القرشي والأموي على مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفكرهم.

نعم أصبح حضور الإمام السجّاد ما بين الفقهاء والعلماء هو أبرز حضور مع أنه لم يكن يحظى بدعم الخلافة الأموية (عبد الملك بن مروان وأخيه الوليد)، وكانت السيرة العامة لولاة المدينة معه سيرة غير حسنة في الإجمال!

ويعطينا التاريخ قرائن على ذلك؛ منها:

- أن فقهاء ذلك الزمان وعلماء المدينة آنئذ لم يكونوا يخرجون للحج إلا بعدما يخرج الإمام عليه السلام، وهذا أشبه بما يعرف اليوم بالمرجعية الدينية الكبرى، وفيه تعبير قوي عن الاتباع له وعدم التقدم عليه.

- كذلك أخذ عنه أبرز علماء وفقهاء المدينة وهي التي تعتبر في تلك الفترة العاصمة الدينية للإسلام، وإذا كان أخذ الفقهاء من الصحابة والتابعين المنسجمين مع خط أهل البيت عليهم السلام، عنه عاديًا وطبيعيًا مثل: «جابر بن عبد الله الأنصاري وعامر بن واثلة الكناني وسعيد بن المسيب وسعيد بن جهان الكناني مولى أم هاني والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسعيد بن جبير ومحمد بن جبير بن مطعم وأبو خالد الكابلي والقاسم بن عوف الشيباني وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وإبراهيم بن محمد بن الحنفية وحبيب بن أبي ثابت ويحيى بن أم الطويل وسلمة بن دينار المدني»[1] وغيرهم كأولاده ذكورًا وإناثا كما قال الحاكم النيشابوري: «إن ولد علي بن الحسين زين العابدين ستة منهم حدثوا: محمد، وعبد الله، وزيد، وعمر، وحسين، وفاطمة، وليس فيهم تابعي غير محمد وهو أبو جعفر باقر العلوم».[2]

فإن أخذ غيرهم ممن لم يكونوا محسوبين على خط الولاء لأهل البيت، لهو أمر ملفت للتأمل والتفكير!

(1) الفضلي؛ عبد الهادي: تاريخ التشريع الإسلامي/ 114

(2) النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم: معرفة علوم الحديث / 47 ولم يذكر الحاكم هنا ابنة الإمام عُلية مع أنها لها كتاب، وقد ذكرنا ذلك في الحديث عن أولاد الإمام.

- فإن محمدًا بن شهاب الزهري الذي صار في فترة القاضي الأول لبني أمية، كان قد التصق بالإمام عليه السلام على الأقل في فتراته الأولى حتى قال في الإمام: ما رأيت قرشيًّا أفضل منه! إعجابًا بالإمام وإن كان لم يتركه حب الدنيا ولا الزهري ترك الدنيا.. فقد روى عنه الكثير من الروايات،[1] ونلحظ أنه يرى كلام الإمام هو القول الفصل الذي يقطع كل كلام قبله! وشاهد ذلك ما نقل عنه في أن الصوم على أربعين وجهًا، فقد ذكر المؤرخون أن فقهاء المدينة اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتناقشوا في وجوب الصوم، ولنترك الزهري ينقل الحادثة وهي مروية في كتب المدرستين وسننقلها عن مصادر الإمامية:

«عن الزهري، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال لي يومًا: يا زهري من أين جئت؟ فقلت: من المسجد، قال: فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا أمر الصوم فاجتمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا صوم شهر رمضان فقال: يا زهري ليس كما قلتم الصوم على أربعين وجهًا فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان وعشرة أوجه منها صيامهن حرام وأربعة عشر منها صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر وصوم

(1) وإن كنا ناقشنا بعضها مما لا يصح عن الإمام عليه السلام.

الإذن على ثلاثة أوجه وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض قلت: جعلت فداك فسرهن لي قال: أما الواجبة فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾[2]؛ وصيام شهرين متتابعين فيمن أفطر يومًا من شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب لقول الله عز وجل: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[3]، وصوم ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب قال الله عزو جل: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ﴾[4] «هذا لمن لا يجد الاطعام كل ذلك متتابع وليس بمتفرق، وصيام أذى حلق الرأس واجب قال الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾[5]

(1) المجادلة: 3.
(2) المجادلة: 4.
(3) النساء:92.
(4) المائدة: 98.
(5) البقرة: 196.

فصاحبها فيها بالخيار فإن صام صام ثلاثة أيام، وصوم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي قال الله عز وجل: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾[1]، وصوم جزاء الصيد واجب قال الله عز وجل: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾[2] أو تدري كيف يكون عدل ذلك صيامًا يا زهري؟ قال: قلت: لا أدري قال: يقوم الصيد قيمة [قيمة عدل] ثم تفض تلك القيمة على البر ثم يكال ذلك البر أصواعًا فيصوم لكل نصف صاع يومًا، وصوم النذر واجب وصوم الاعتكاف واجب..»[3]

ثم إنه عليه السلام فصل له القول في بقيه الأقسام من الصوم الحرام والصوم المكروه والصوم المباح.. أمام اندهاش الزهري من هذه الإحاطة العلمية والتي هي على البداهة من غير تفكير أو تحضير!

ـ وهذا عروة بن الزبير يجلس كل ليلة بعد العشاء الآخرة

(1) البقرة: 196.

(2) المائدة: 95.

(3) الكليني؛ الكافي4/ 85 ونقله غير واحد من مصادر مدرسة الخلفاء، منهم أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء 3/ 141 وفيه قوله: «دخلنا» مما يفيد أن الوافدين على الإمام كانوا جماعة من الفقهاء الذين تناقشوا وسألهم الإمام: فيمَ كنتم؟ ومنهم ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية 9/ 134.

مع الإمام عليه السلام ونركز على قوله «كل ليلة» هذا مع العلم أن موقف الأسرة الزبيرية من الهاشمية العلوية كان سيئًا من أيام حرب الجمل وبعدما نشأ عبد الله بن الزبير! بل وجدنا عروة بن الزبير ويعدّونه من فقهاء المدينة السبعة، وله الكثير من الروايات عن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتزم بمؤدى كلام الإمام من الخروج من المدينة![1]

**أقوال الفقهاء والعلماء في حقه:**

سوف نستخرج من هذه الملاحظة وهي أقوال فقهاء زمانه والعلماء في تعظيم شأنه ما ينفعنا في هذا الأمر وهو إعادة الإمام السجّاد المدرسة الإمامية والمنهج العَلوي إلى ساحة الأمة، وتوقيرهم إياه وهو المعبر الأكبر عن هذا المنهج في ذلك الزمان.

لقد نقل المؤرخون كثيرًا من الكلمات التي قالها علماء تلك الفترة وما بعدها، والتي تشير إلى أنه هو الأكمل والأفضل من قريش بل من أهل البيت! وشتان بين أمس الذي كان فيه الإمام السجّاد عليه السلام يقول: «وأصبحنا آل محمد مقتولين مطرودين مشردين

(1) «تاريخ دمشق لابن عساكر» (40/ 278): «عبد الله بن حسن بن حسن أنه قال كان علي بن حسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد العشاء الآخرة فكنت أجلس معهما فتحدثا ليلة فذكرا جور من جار من بني أمية والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك..

عن الأوطان» وبين أقوال هؤلاء الذين كانوا يتصدرون الساحة العلمية، وسننقل قسمًا قليلًا منها، لأنها ليست غايتنا بذاتها وإنما بما تشير إليه.

فقد نقل عن محمد بن شهاب الزهري قوله في الإمام: «قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه». وقال (أبو زيد) أسلم: ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم قط»[1] وأخرى يقول: «ما جالست في أهل القبلة مثله»،[2] ونقل ابن كثير في كتابه قول «سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، ومالك، وأبو حازم: لم يكن في أهل البيت مثله»[3] كما ذكروا قول يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري وهو يتحدث عن الإمام «كان أفضل هاشمي رأيته» ومثل ذلك قول حماد بن زيد الجهضمي..

بل امتد أثر الإمام عليه السلام الفكري والفقهي في العلماء إلى نحو قرن بعده، فها نحن نرى محمد بن ادريس الشافعي إمام المذهب المعروف يستدل بفعل الإمام السجّاد في مسألة أصولية وهي العمل بخبر الواحد الثقة، فقد نقل عنه الجاحظ أنه «قال الشافعي

(1) الشيرازي؛ إبراهيم بن علي: طبقات الفقهاء/ 63، هذا بالرغم من أنهم يزعمون أن الإمام كان يقصد زيدًا هذا لكي ينتفع به في دينه!! أو في علمه!

(2) زيد بن أسلم / من مفسري القرآن، تاريخ دمشق 41/ 373.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية 12/ 481.

في الرسالة في إثبات خبر الواحد: وجدت علي بن الحسين ـ وهو أفقه أهل المدينة ـ يعول على أخبار الآحاد».[1]

والجدير ذكره أن الإمام السجّاد عليه السلام يشير في كل ما يُستحسَن منه أن هذا الذي لديه ليس شيئًا بالقياس لما كان عند جده أمير المؤمنين عليه السلام[2] وأن ما عند جده أمير المؤمنين لا يُذكَر بالقياس إلى ما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[3]

وبمقدار ما كانت سنة اللعن الخبيثة التي أقرها بنو أمية لأمير المؤمنين عليه السلام، طاردة لمنهجه ومبعدة للناس عن فكره وفقهه، فإن كثيرًا من الناس يبتعدون عما يغضب السلطات ويقتربون مما يسرها! فإن مثل هذه الكلمات المادحة والتصريح بالإعجاب هو نتيجة لمقدمات الأخذ عن الإمام والمخالطة معه والمعرفة بتفوقه في العلم على من سواه، وهي بالتالي دعوة غير مباشرة للناس إلى الأخذ عنه.

إننا نرى الفارق الكبير بين تلك السنة الخبيثة التي كانت لدى الولاة والسلطات، وبين هذه النتيجة التي انتهى إليها الإمام

(1) الجاحظ؛ أبو عمرو: الرسائل السياسية450.

(2) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام السجّاد 1/ 75.

(3) نفس المصدر/ 77 ـ قال ابن أبي الحديد: قيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

السجّاد وتأثيره في أهل المدينة بحيث أن سعيدًا بن المسيب يروي بأن القُرّاء وهم الطبقة العلمية المتخصصة في المدينة كان لا يخرجون للحج حتى يخرج الإمام ويرافقونه وبطبيعة الحال يتعلمون منه ويأخذون عنه.[1]

إننا نعتقد أن هذه الجهود التي بذلها الإمام عليه السلام، أنتجت أن تعود المدرسة الإمامية وفقه أهل البيت عليهم السلام إلى ساحة الأمة، بعدما أبعدت لما يزيد عن ستة عقود من الزمان، فكان أن جاء الإمام محمد الباقر عليه السلام وقد هُيئت له الأرضية لكي ينشر علوم آبائه وأجداده، وربما لولا عمل الإمام السجّاد لما بلغ ابنه الباقر عليه السلام غايته في نشر العلم فإن انتشار العلم في مكان يحتاج إلى بيئة مساعدة، لا تمنع الأخذ بالعلم وتداوله وبثّه.

### أسماء من تلامذته والرواة عنه

**يمكن التعرف على شيء من الدور العلمي الذي قام به الإمام السجّاد** بالإضافة إلى ما سبق ذكره، من خلال التلامذة الذين أخذوا عنه وتعلموا منه، وهذا وإن لم يكن علامة نهائية فقد تحكم التلميذ ظروف (كانشغاله ومستوى ذكائه وحفظه) أو تحكم الوضعَ العامَ ظروف خاصة تجعل من الصعب على المعلم أن يشرح كل ما يريد

(1) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 3/ 279.

لتلميذه، ولكن مع ذلك فإن وجود التلامذة وجودة مستواهم ليشير إلى مقدار من الجهد العلمي الذي بذله المعلم.

وأمامنا نماذج قليلة بحسب خطة الكتاب وهدفه تهدف إلى التعريف بهذه الجهة:

**1/ أبان بن تغلب البكري (ت 141 هـ):**

«من كتبه (غريب القرآن) ولعله اول «من صنف في هذا الموضوع، و(القراءات) و(صفين) و(الفضائل) و(معاني القرآن)،[1] وقد ذكره النجاشي فقال: «عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام، روى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم».

كما أشار الشيخ الطوسي إلى بعض كفاءاته فقال: «وكان قارئًا فقيهًا لغويًّا نبيلًا» ومقصوده من قوله قارئًا أنه كان صاحب إحدى القراءات (في القرآن)، وأما فقاهته فيستفاد مما ورد في بعض الروايات[2] أنه كان محيطًا بأحكام واستدلالات المذاهب

(1) الزركلي؛ خير الدين: الأعلام 1/ 27: والغريب أن الزركلي عده من (غلاة الشيعة) مخالفًا في ذلك الرجاليين الذين ترجموه حتى متعصبي مدرسة الخلفاء!

(2) الطوسي؛ شيخ الطائفة: اختيار معرفة الرجال 2/ 206، عن أبان بن تغلب، قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني أقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألوني، فإن لم أجبهم لم يقبلوا مني، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم فقال لي: انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك.

الفقهية الأخرى بالإضافة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام. وقد أكثر من النقل عن الإمام الباقر عليه السلام حتى أمره الإمام بالتصدي للفتيا والحديث وقل له: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك.[1] وكذلك روى الكثير عن الإمام الصادق عليهما السلام وكان الإمام يُجلّه ولما وصله خبر نعيه قال: لقد أوجع قلبي موتُ أبان.

ويظهر من روايات أنه كان قريبًا من الإمام السجّاد عليه السلام بحيث نقل روايات عن أحواله المختلفة، فتارة ينقل للإمام الصادق عليه السلام عن أن السجّاد إذا قام إلى الصلاة غشي لونَه لونٌ آخر! فيجيبه الإمام الصادق بأن علي بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه.[2]

وينقل لنا أبان بن تغلب قيامَ الإمام السجّاد عليه السلام بترتيب أمر بناء قواعد الكعبة بعد أن نقضها الحجاج الثقفي في الحرب بينه وبين ابن الزبير[3]، وكأن التاريخ يكرر نفسه عندما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(1) نفس المصدر والصفحة.

(2) الصدوق؛ الشيخ: علل الشرائع 1/ 269.

(3) الكليني؛ الكافي 4/ 222... فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثمّ مضى، فقال الحجّاج: من هو؟ قال: عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: معدن ذلك فبعث إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فأتاه فأخبره ما كان من منع اللّه إياه البناء.
فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: يا حجّاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته كأنك ترى انه تراث لك اصعد المنبر وأنشد الناس ان لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئًا الّا =

بحمل الحجر الأسود وثبته في مكانه وحل بذلك نزاع القرشيين في القصة المعروفة، هنا تكرر نفس المشهد فقام حفيده زين العابدين بذلك أيضًا.

والخلاصة إن ما نراه من تفوق علمي لدى أبان بن تغلب في زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام يرجع في قسم منه وهو مرحلة التأسيس إلى صحبته لأبيهما الإمام السجّاد عليه السلام وتعلمه منه، ثم تعلمه منهما.

### 2/ أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار (ت 150 هـ)

تمَّ تشبيهه في جهة العلم بسلمان في زمانه، وفي جانب الحكمة والتعقل بلقمان، وعلل ذلك بأنه صحب أربعة من الأئمة وخدمهم فأفاد منهم. وهو أحد رواة رسالة الحقوق عن الإمام السجّاد، كما ذكر ذلك الشيخ الصدوق في مشيخته،[1] وقال عنه النجاشي

= ردّه، قال: ففعل فأنشد الناس ان لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلّا ردّه قال فردّوه فلمّا رأى جمع التراب أتى عليّ بن الحسين عليه السلام فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا قال: فتغيبت عنهم الحية وحفروا حتّى انتهوا إلى موضع القواعد قال لهم عليّ بن الحسين عليه السلام: تنحّوا فتنحّوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى غطّاها بالتراب بيد نفسه ثمّ دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم فوضعوا البناء فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلّب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعًا يصعد إليه بالدرج..

(1) الصدوق؛ الشيخ: مشيخة الفقيه، 129.. وما كان فيه عن إسماعيل بن الفضل من ذكر الحقوق عن علي بن الحسين فقد رويته..

«وأولاده نوح ومنصور وحمزة قتلوا مع زيد، لقي علي بن الحسين (السجّاد) وأبا جعفر (الباقر) وأبا عبد الله (الصادق) وأبا الحسن (الكاظم) عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه» وروى عنه العامة، ومات في سنة خمسين ومائة. له كتاب تفسير القران..» [1] كما أنه يروي عن الإمام السجّاد عليه السلام الدعاء المعروف بين الشيعة باسمه: دعاء أبي حمزة الثمالي حيث قال[2]: «كان عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام يصلّي عامّة ليله في شهر رمضان فإذا كان في السحر دعا بهذا الدعاء: إلهي لا تُؤَدِّبْنى بِعُقُوبَتِكَ، وَلا تَمْكُرْ بي في حيلَتِكَ، مِنْ ايْنَ لِيَ الْخَيْرُ يا رَبِّ، وَلا يُوجَدُ الَّا مِنْ عِنْدِكَ، وَمِنْ ايْنَ لِيَ النَّجاةُ، وَلا تُسْتَطاعُ الَّا بِكَ..»

ويظهر من بعض الروايات أن أبا حمزة كان بارعًا في فهم إشارات الأئمة فضلًا عن عباراتهم، ونتبين ذلك من معرفته بمؤدى وصية الإمام الصادق لابنه الكاظم بالإمامة، فقد روي «أن أعرابيًّا جاء من المدينة إلى الكوفة فأخبر أن الصادق عليه السلام قد مات فشهق

(1) النجاشي؛ أحمد بن علي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) 115.
(2) ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: إقبال الأعمال1/ 157.

أبو حمزة الثمالي وضرب بيديه الأرض، ثم سأل الأعرابي: هل سمعت له بوصية؟ قال: أوصى إلى ابنه عبد اللّه وإلى ابنه موسى وإلى المنصور، فقال: الحمد للّه الذي لم يضلّنا دلّ على الصغير، وبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم، فقلت له: فسّر لي؟

فقال لي: إن الكبير ذو عاهة، ودل على الصغير بأن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم حتى إذا سأل المنصور من وصيّه قيل: أنت!.. إلى أن قال: فقال لي أبو الحسن موسى عليه السلام: ألم يقل لك أبو حمزة الثمالي بظهر الكوفة كذا وكذا؟ قلت: نعم، قال: كذلك يكون المؤمن إذا نور اللّه قلبه كان علمه بالوجه»[1] وقد شرحنا هذا الحديث في كتابنا (كاظم الغيظ موسى بن جعفر عليه السلام).

وقد ذكر العلماء أنه قد ورد اسمه في نحو ثلاثمائة وستين رواية في العقائد والأخلاق والفقه، وفي كل باب تعددت رواياته فله «شيء كثيرٌ في الأصول والمعارف، والسنن، والفقه، والتفسير، والحقوق، ومنها رسالة الحقوق التي رواها الصدوق في الفقيه، والأدعية، ومنها الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي في سحور شهر رمضان».[2]

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 4/ 227.

(2) الأبطحي؛ السيد محمد علي: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي4/ 258.

كما «روى في فضائل آل محمّد عليهم السلام شيئًا كثيرًا، من أنّهم الشّجرة الطّيّبة، وأنّهم الصّراط المستقيم، وأنّ الله تعالى أخذ عهد ولايتهم في عالم الذّرّ، وأنّ ولايتهم ولايةُ الله تعالى التي لم يُبعث نبيٌّ قطّ إلّا بها، وأنّ الكافرين بولايتهم تحبط أعمالهم، وأنّ الجِنّ تأتيهم تسألُهم عن معالم الدّين، وأنّ النّبأ العظيم هو أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه الصّراط والميزان، وأنّ عليًّا عليه السلام، هو الّذي عنده علم الكتاب، وأنّه الّذي علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألفَ بابٍ، يُفتح من كلّ بابٍ ألفُ باب».[1]

### 3/ سعيد بن جبير الأسدي: (45 - 95 هـ)

كانت ولادته أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت شهادته[2] على ولايته بيد الحجاج الثقفي سنة 95 هـ، وقد أخذ المعرفة والعلم متأثرًا بأستاذه الأول عبد الله بن عباس الذي كان التلميذ البارز لأمير المؤمنين عليه السلام كما أنه أخذ عن أبي الحسن علي بن الحسين السجّاد عليه السلام المعارف الدينية، حتى برز بين الفريقين عالمًا مفسرًا وفقيهًا.

وقد ذكر الكشي في رجاله الذي اختصره الشيخ الطوسي «عن أبي عبد الله عليه السلام أن سعيد بن جبير كان يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام وكان علي عليه السلام يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلّا

(1) المصدر السابق 4/ 261.

(2) في قصة مشهورة نقلها المؤرخون، تشير إلى قوة إيمانه وعظمة موقفه.

على هذا الأمر، وكان مستقيما».[1] وكان يقال له جهبذ العلماء. وبالرغم من أنه روى عن الكثير وروى عنه مثلهم، لكنه كان واضح الرؤية ومعرفة الخطوط الأصيلة، فتراه يروي عن ابن عباس رزية الخميس وما حدث فيه، وإن كانوا عندما ينقلون عنه الحادثة يشذبونها ويخففونها، لتتوافق مع بعض توجهاتهم فقد ذكر الذهبي في سير أعلامه عن «ابن عيينة قال: سمعت سليمان يذكر عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى قلت: يا أبا عباس: وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «ائتوني أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا».[2]

وفي ما يرتبط بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وآثارها نقل «عن ابن عباس، قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ: «إني قد قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفًا، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا».[3]

بل ونقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام بعض ما يتعلق بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فقال: سمعت سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام

(1) الطوسي؛ شيخ الطائفة: اختيار معرفة الرجال 1/ 375.
(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء 2/ 458: ونلاحظ أنه تمَّ تقليم هذه الرواية و«نزع الدسم منها» تماما.
(3) المصدر السابق 4/ 342.

يقول: «في القائم منّا سنن من الأنبياء سنّة من أبينا آدم عليه السلام وسنّة من نوح وسنّة من إبراهيم، وسنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من أيّوب وسنّة من محمّد صلوات اللّه عليهم، فأمّا من آدم ونوح فطول العمر وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال النّاس وأمّا من موسى فالخوف والغيبة وأمّا من عيسى فاختلاف النّاس فيه، وأمّا من أيّوب فالفرج بعد البلوى، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فالخروج بالسيف».[1]

### 4/ القاسم بن محمد بن أبي بكر (37 - 105 هـ)

ذُكرت ترجمته في الكثير من الكتب، ووصف في مصادر مدرسة الخلفاء بأنه «أعلم الناس بالسنة» وأكثروا في وصف سجاياه، والذي يهمنا هنا هو ارتباطه العلمي بالإمام السجّاد عليه السلام، وقد ذكرنا في حديثنا عن الإمام الصادق عليه السلام حيث كانت والدته المكرمة هي بنت القاسم بن محمد، أنه عندما ذكر له الإمام الباقر عليه السلام أمر خطبتها، قال له: إنما كان ينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتى يزوجك! بمعنى أن أمر ابنة القاسم هو إلى الإمام السجّاد يقرر فيه، وهكذا حصل فتزوج الإمام الباقر ابنته وأنجبت منه الإمام جعفرًا الصادق عليهم السلام.

(1) الصدوق؛ الشيخ: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ/ 352.

وأما في الجانب العلمي فننقل هنا بعض ما العلماء ومنهم الشيخ السبحاني في كتابه، حيث قال: «وأمّا الفقهاء الكبار الّذين رزقوا ملكة الاستنباط في عهد أئمّة أهل البيت عليهم السلام حتى صاروا أئمّة في الفقه، متضلّعين في استنباط الفروع، فنذكر منهم على سبيل المثال ما يلي:

1. سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني الفقيه: أحد الفقهاء الثمانية، وُلد في أيام خلافة عمر بن الخطاب، وتوفّي عام 94 هـ ـ.
2. القاسم بن محمد بن أبي بكر: أحد الفقهاء في المدينة، توفّي عام 106 هـ ـ.
3. أبو خالد الكابلي: روى الكليني عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين».[1]

ومثل ذلك ما صرح به الشيخ علي كاشف الغطاء بقوله: «وكان من تلاميذه القاسم بن محمد ابن أبي بكر. وسعيد بن المسيب. وأبو خالد الكابلي».[2]

(1) السبحاني؛ الشيخ جعفر: أدوار الفقه الإمامي 45.
(2) كاشف الغطاء؛ الشيخ علي: أدوار علم الفقه وأطواره1/ 73.

وبالرغم من أننا لا نجد روايات كثيرة للقاسم في مصادر الإمامية، وقد يكون ذلك راجعًا إلى ما ذكر عنه من أنه «قليل الحديث»[1] وقلة الحديث لا تعني بالضرورة عدم العلم بالحديث، فقد يكون الشخص مليئًا من الناحية العلمية لكنه لسبب أو لآخر يمتنع عن إلقاء الحديث وتبيانه، وهذا يشبه ما نجده في هذه الأزمنة من وجود علماء كبار ولكنه يعزفون عن التأليف وعن إلقاء المحاضرات أو الدروس لأسباب تخصهم.

ومع ذلك فإننا نعثر على إشارات لا تخطئها العين الباصرة في اتضاح موقفه الموالي، فمن ذلك ما نقله اليعقوبي عنه في قضية استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

فقد «روى اليعقوبي وقال: إن الحسن بن علي عندما أحضر أوصى إلى أخيه الحسين، وقال له: إن أنا مت فادفني مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه مني إلا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك فيه محجمة دم، فلما توفي وأخرج نعشه يراد به قبر رسول الله وفي مقاتل الطالبيين: ركبت أم المؤمنين بغلًا واستنفرت بني أمية: مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن

(1) الغريب أنهم في هذا يختلفون فبينما وصفه الذهبي في سير الاعلام بقليل الحديث وصفه ابن سعد بأنه كثير الحديث!

حشمهم، وقيل في ذلك: فيومًا على بغل ويومًا على جمل وفي تاريخ اليعقوبي: ركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، فمنعا من ذلك، وركبت عائشة بغلة شهباء، وقالت: بيتي ولا آذن فيه لأحدٍ فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال: يا عمة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال: يوم البغلة الشهباء، فرجعت».[1]

هذا بالرغم من أنه تربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة مذ استشهد والده محمد بن أبي بكر عندما كان واليًا عليها من جهة أمير المؤمنين وعلى يد أنصار معاوية وعمرو بن العاص، سنة 38هـ وإلى شهادة الإمام الحسن المجتبى سنة 50 هـ وعمره آنئذ يكون ثمانية عشر عامًا، وكما قلنا فإن عمته كانت في هذه الفترة بمثابة أمه وأبيه!

إن هذا الموقف الذي اتخذه ليشير إلى ولاءاته منذ ذلك الوقت المبكر. وينقل ابن حزم في كتابه المحلّى أن القاسم حين كانت بنو أمية يؤخرون الصلاة، أنه كان يصلي في بيته، ثم يأتي المسجد يصلي معهم، فكُلّم في ذلك، فقال أصلي مرتين أحب إلي من أن

(1) العسكري؛ السيد مرتضى: أحاديث أم المؤمنين عائشة1/ 338.

لا أصلي شيئًا».[1] وكأنه اعتبر هنا أن الصلاة معهم والاكتفاء بها لا تساوي شيئًا!

وبعض أجوبته تشابه أجوبة أهل البيت عليهم السلام وكأنها من منبع واحد فقد سئل عن الغناء، فقال: «أنهاك عنه وأكرهه» قال: أحرام هو؟ قال: «انظر يا ابن أخي: إذا ميز الله الحق من الباطل في أيهما تجعل الغناء؟[2] وقد ذكرنا فيما مضى من الصفحات كيف أن الغناء كان سياسة أموية عامة، أثرت حتى في الكثير من فقهاء المدينة حتى صار» لا ينكره عالمهم ولا يدفعه جاهلهم».

وكذلك ما رواه في النهي عن المسح على الخفين في الوضوء وهو الذي عليه فقه أهل البيت من زمان أمير المؤمنين عليه السلام وقد خالف فيه أتباع مدرسة الخلفاء، فجوزوه يوما ويومين بل أجازوا المسح على الخمار!! فهنا نجد أن القاسم بن محمد بن أبي بكر

(1) الظاهري؛ ابن حزم: المحلى بالآثار2/ 14 وهذا يشابه ما يقوم به شيعة أهل البيت عليهم السلام من عدم اعتدادهم بصلاة الجماعة غير الصحيحة عندهم، فهم يضمون إليها صلاة الفرادى ويعتبرون هذه الصلاة هي المقبولة.

(2) البيهقي؛ أبو بكر: معرفة السنن والآثار14/ 327 وفي روايات أهل البيت ما يشبهه كما في صحيحة الريان بن الصلت، قال: «سألت الرضا عليه السلام عن الغناء وأن العباسي ذكر منك أنك ترخص في الغناء؟ فقال: كذب الزنديق! ما هكذا قلت له، سألني عن الغناء، فقلت إن رجلًا أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الغناء، فقال: إذا ميّز اللّه بين الحق والباطل، فأين يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل، فقال: قد حكمت» والمقصود من أبي جعفر هنا هو الإمام الباقر عليه السلام.

ينقل عن عمته عائشة أنها تتمنى أن تقطع رجلاها ولا تمسح على الخفين!! ونتعجب كيف اختفت مثل هذه الأخبار والأحاديث من الوسط الفقهي العام؟ نعم نقل البيهقي عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت: «لأن يُقطَعا ـ تعني رجليها ـ أحب إلي من أن أمسح على الخفين»[1] وفي كتب الإمامية كما في الأشعثيات ونوادر ابن الراوندي عن جعفر بن محمد، قال: أخبرني جدي القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: سمعت عايشة تقول: لأن شلّت يدي أحب إليّ من أن أمسح على الخفين».[2]

وقد نقل في روايات أهل البيت عليهم السلام ما يفيد بأنه وآخرين كانوا من ثقات الإمام السجّاد عليه السلام. فعن الإمام أبي عبد الله الصادق أنه قال: «كان سعيد ابن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام».[3] وفي قرب الإسناد عن الإمام الرضا عليه السلام وصف بأنه «كان على هذا الأمر».[4]

وبالرغم من الإشكال في بعض أسانيد هذه الروايات إلا أن

(1) المصدر السابق 2/ 116.

(2) الروحاني؛ السيد مهدي الحسيني أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن طرق أهل السنة1/ 157 عن الاشعثيات ونقل قريبًا من نصه ابن الراوندي في النوادر. راجع كتاب أصحاب الإمام السجّاد والراوون عنه 9/ 392.

(3) الكليني؛ الكافي1/ 520.

(4) الحميري القمي؛ عبد الله بن جعفر: قرب الاسناد394.

جواب ذلك هو ما قاله العلامة المامقاني بقوله: «والسند وإن لم يكن بتلك المكانة من الصحة والنقاء إلا أننا نبهنا غير مرة على أن مثل هذه الأخبار التي رواها المشايخ الثلاثة في الكتب الأربعة يفيد ظنًّا أزيد من الظن الحاصل من قول علماء الرجال».[1]

### 5/ قيس بن الماصر ومتكلمون آخرون

بالرغم من قلة النقاش العقائدي زمان الإمام السجّاد عليه السلام بالقياس إلى زمن الإمامين محمد الباقر، وجعفر الصادق عليهما السلام، حيث أخذت المذاهب العقدية والفقهية تجد طريقها للتبلور، وكان من الطبيعي أن تحاول هذه المذاهب استقطاب الناس إلى مناهجها، وكانت المناظرات ولا سيما في العقائد هي الطريق التي يتبين فيه متانة أدلة هذا المذهب أو ذاك، أو ضعفها. فنشطت المناظرات في العصور المتأخرة أكثر.

مع هذا فإن الإمام السجّاد عليه السلام قام بإعداد عدد من الكفاءات العلمية في ميادين العقيدة، قادرين على مناظرة الخصوم وتسفيه أدلتهم، والانتصار لما عند أهل البيت من الحق.

وكان قيس بن الماصر أحد أولئك الذي تعلموا الكلام والمناظرة من الإمام السجّاد عليه السلام ومثله حمران بن أعين الشيباني، وقد انتفع

(1) نقله عنه الجلالي في كتابه أصحاب الإمام السجّاد والراوون عنه 9/ 274.

المذهب كثيرًا من مناظرات هذين وغيرهما أيام الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. وكأن الإمام السجّاد عليه السلام كان يجهز هؤلاء للمرحلة القادمة، فبينما لم نعثر على مناظرات لهما أيام الإمام السجّاد إلا أن الروايات تنص على أنهم تعلموه من الإمام السجّاد.

فقد وصف السيد حسن الصدر قيسا الماصر بقوله: «من أعلام علماء علم الكلام في عصره، إليه الرحلة من الأطراف في ذلك، تعلّم الكلام من الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام وشهد له الإمام أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام بالحذاقة، فيه قال: «أنت والأحول قفّازان حاذقان».[1]

ووصفه يونس بن يعقوب وهو أحد خلص أصحاب الإمام الصادق بأنه أحسن من غيره كلاما كما في رواية الكليني.[2] بل وفضله على مثل مؤمن الطاق وهشام بن سالم وحمران بن أعين وهم من يشار لهم بالبنان في المناظرات العقائدية.

وهذا قد يفتح لنا بابًا على غير من ذكر أعلاه من البارعين

(1) الصدر؛ السيد حسن: الشيعة وفنون الإسلام/ 278.

(2) الكليني: الكافي1/ 219، عن يونس بن يعقوب في قصة رجل شامي جاء لمناظرة الإمام عليه السلام.. إلى أن قال: ثم قال لي: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله؟ قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاما، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليهما السلام.

في علم الكلام والمناظرة، والذين كان دورهم الأكبر أيام الإمامين الباقر والصادق، وأن هذه البراعة لم تأت من فراغ ولا من غير أساس وإنما كانت على أثر أخذهم من الإمام السجّاد فانتفع الدين والمذهب بقدرتهم تلك أيام الإمامين، وتكاملوا في عصرهما لا سيما مع تقويم الإمام الصادق عليه السلام لهم،[1] ونقده بعض طرقهم وإرشاده إياهم بالتالي إلى الأسلوب الحق في المناظرة، فليس المقصود هو التغلب على الخصم بأي طريقة!

**ماذا عن زيد بن أسلم العدوي؟ والحسن البصري؟**

بقي أن نشير في هذا الجانب إلى أمرين يرتبطان بشخصيتين:

**الأول**: فيما نقلته مصادر مدرسة الخلفاء من أن الإمام السجّاد عليه السلام كان يذهب ويقصد زيد بن أسلم العدوي (ت 136هـ)،

(1) بعد فراغهم من مناظرة الشامي وإقراره للإمام بأنه وصي الأوصياء، التفت أبو عبد الله عليه السلام كما عن الكليني في الكافي1/ 221 إلى حمران، فقال: تجري الكلام على الأثر فتصيب والتفت إلى هشام بن سالم، فقال: تريد الأثر ولا تعرفه، ثم التفت إلى الأحول، فقال: قَيّاس رَوّاغ، تكسر باطلًا بباطل إلا أن باطلك أظهر، ثم التفت إلى قيس بن الماصر، فقال: تتكلم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه، تمزج الحق مع الباطل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول قَفّازان حاذقان، قال يونس: فظننت والله انه يقول لهشام قريبًا مما قال لهما، ثم قال: يا هشام لا تكاد تقع، تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت مثلك فليكلم الناس، فاتق الزلة! والشفاعة من ورائها إن شاء الله.

وأنه يفعل ذلك باعتبار أنه ينتفع في دينه منه! أو ينتفع في علمه أو في قلبه!.

ويظهر من ابن عساكر أن الأمر كان دائميًّا وأن الإمام كان يجلس في حلقة زيد![1] رغبة منه في العلم! وهكذا كلام ابن سعد في الطبقات.[2]

ونعتقد كما قال السيد الأمين رحمه الله في الأعيان: «نحن نعلم أن زين العابدين أحد أئمة البيت الطاهر مفاتيح باب العلم وشركاء القرآن لم يكن بحاجة إلى الانتفاع في دينه من أحد سوى ما ورثه عن آبائه الطاهرين قلنا بعصمته ـ كما هو الحق ـ أم لم نَقُل»،[3] وكلامه هذا صحيح تمامًا، لكن لا نوافقه على ما جاء في ذيل كلامه أي السيد الأمين من قوله «وإنما كان يجلس إليه إكرامًا له لكونه من أتباعه» فلا يوجد أدلة على كون زيد بن أسلم من أتباعه! ومجرد ذكر بعض الرجاليين له بأنه من أصحاب

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق 41/ 369: عن «عبد الرحمن بن أردك قال كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس مع زيد بن أسلم في حلقته فقال له نافع بن جبير بن مطعم غفر الله لك أنت سيد الناس تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد فقال علي بن الحسين إن العلم يبتغي ويؤتى ويطلب من حيث كان»!

(2) ابن سعد: الطبقات الكبير7/ 214 «وكان يجالس أسلم مولى عمر، فقال له رجل من قريش: تدع قريشا وتجالس عبد بنى عدي؟ فقال علي: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع».

(3) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة 7/ 91.

السجّاد لا يصحح كونه من أتباعه فإنه جرت عادتهم على التعبير عن معاصري الإمام بأنه من أصحابه وهذا واضح لمن تتبع!

على أننا لو تتبعنا نمط الأحاديث التي رواها زيد بن أسلم سنجدها في الغالب بعيدة كل البعد عن أفكار أهل البيت واعتقاداتهم، وسيأتي ذكر بعضها! فكيف يكون من أتباعه وهو يروي أحاديث التجسيم والرؤية لله، والجبر في الأفعال وغير ذلك مما هو مخالف تمام المخالفة لمنهج الأئمة وستأتي الإشارة إليه.

ولا نقصد من هذا الكلام ما ذكره الحر العاملي رحمه الله في إثبات الهداة[1] عنه من قوله: «ذكر ابن جبير في غرره، قال زيد بن أسلم، أنا كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقته ومن فيه، قال: وفي البيت علي والحسن، والحسين، وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت فاطمة: تحرق على ولدي؟ قال: أي واللّه، أو ليخرجن، أو ليبايعن» فإن هذا لا يتمّ عنه.. كيف وقد كانت وفاته في سنة 136 هـ والحادثة حصلت في سنة 11 هـ أي بين وفاته وبينها 125 سنة! ولعله سقط من الحديث «عن أبيه» وهو أسلم العدوي ويعد

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة 3/ 359.

من موالي عمر بن الخطاب وتوفي كما قيل في سنة 80 هـ وكان معمرا! ولا يستبعد منه فعل ذلك!

وإنما نقصد منه الروايات التي نقلت عنه فإن أغلبها تدور في تجسيم الله عز وجل، وأن العرش والسماوات لها أطيط من ثقل الجبار إذا جلس عليه[1] (تعالى الله عن ذلك) ورؤيته في الآخرة،[2] وفي ضحك الرب سبحانه! وفي وجود ساقين له![3]

(1) الدارمي؛ عثمان بن سعيد: الرد على الجهمية 59 عن زيد بن أسلم، حدثه عن عطاء بن يسار، قال: أتى رجل كعبًا وهو في نفر، فقال: يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار. فأعظم القوم قوله، فقال كعب..: «أخبرك أن الله خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن، ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وكثفهن مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العِلَافي أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن»! والرحل العلافي: أكبر ما يكون من الرحال نسبت إلى رجل من الأزد.

(2) القشيري؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم 1/ 167 عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم» قال: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما!

(3) ابن بَطَّة الحنبلي؛ عبيد الله: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية 7/ 105. عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عائشة، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليضحك من إياسة العباد، وقنوطهم، وقرب الرحمة منهم» فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، أو يضحك ربنا؟ قال: «نعم، والذي نفس محمد بيده إنه ليضحك» فقالت: لا يعدمنا منه خيرًا إذا ضحك.
وأيضًا عنه في ص 343): عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقَيْهِ، فَلَا يَبْقَى مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ لَهُ فِي السُّجُودِ.

وفي نقص القرآن الفعلي،[1] وفي الاعتقاد بالجبر الإلهي ضمن التيار المرجئي، وفي المنع عن كتابة الحديث النبوي ولزوم مسح ما كُتب[2] وفي تفسيره الذي أكثر فيه من الرواية عن تفسير مقاتل والذي قيل فيه ما قيل![3] وفي أن رسول الله مسح على الخفين في الوضوء،[4] وفي تفضيل رموز الخلافة على غيرهم وبيان مناقبهم[5] وهذه كلها سواء في الأصول الاعتقادية أو المسائل الفرعية تمامًا على خلاف منهج أهل البيت عليهم السلام!

(1) الهروي؛ القاسم بن سلّام: فضائل القرآن/ 322 «عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي واقد الليثي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحي إليه أتيناه، فعلمنا مما أوحي إليه، قال: فجئته ذات يوم، فقال: «إن الله يقول: (إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون له الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب)».

(2) الهروي؛ عبد الله بن محمد: ذم الكلام وأهله 3/ 239 «عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (لا تكتبوا غير القرآن فمن كتب غير القرآن فليمحه) رواه مسلم».

(3) قال ابن حبان عنه في المجروحين 3/ 14: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان مع ذلك يكذب في الحديث».

(4) الشافعي؛ محمد بن إدريس: اختلاف الحديث 8/ 599:«عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أسامة بن زيد، عن بلال، أن رسول الله توضأ ومسح على الخفين».

(5) الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين 3/ 104 عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكان كذا وكذا، وليس معه من أصحابه غيري وغيرك، فقال لك: «يا طلحة، إنه ليس من نبي إلا وله رفيق من أمته معه في الجنة، وأن عثمان رفيقي ومعي في الجنة».
ومثل رواية أن عمر بن الخطاب تمنى أن تكون الأرض مملوءة بمثل معاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة وأبي عبيدة الجراح!

فأي شيء من هذا يريد الإمام السجّاد عليه السلام أن ينتفع منه في دينه؟ وهل في كل ما سبق أي نفع لأي مؤمن؟ أو أنها ليست سوى ضلالات وجهالات في رأي أئمة الهدى عليهم السلام؟

وهذا الذي ذكر هنا يشبه ما ذكر مع سعيد بن جبير أيضًا، فهم ينقلون أن الإمام السجّاد أيضًا طلب من بعضهم أن يجمع بينه وبين سعيد ليسأله الإمام عن أشياء[1] استغلقت عليه!!

وهو الذي قال عنه العلامة الميلاني معلقا على خبر ذهاب الإمام لحلقة زيد بن أسلم: «وأعوذ بالله من هذا البهتان الذي افتراه أهل الضّلال، تنقيصًا من شأن الإمام عليه السلام. كما لا يخفى على أُولي الأبصار والأفهام».[2]

وقد ذكره الإمام الخوئي رحمه الله في معجم الرجال ناقلًا عن رجال الشيخ أنه «كان يجالسه السجّاد كثيرًا» وهذا الكلام لعله متأثر بنفس الفكرة السابقة، وربما لو غيّر الشيخ العبارة وقال: كان يجالس السجّاد كثيرًا. لكان أولى.

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق 41/ 369 «عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين تستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير قال قلت ما حاجتك إليه قال أشياء أريد أن أسأله».

(2) الميلاني؛ السيد علي الحسيني: استخراج المرام من استقصاء الإفحام2/ 247.

**الحسن بن (أبي الحسن) يسار البصري(21 - 110 هـ)**

لا نريد أن نتحدث عن حياته وإنما نريد التنبيه على موقف الإمام السجّاد عليه السلام منه والذي نعتقد أنه كان يرى في اتجاه الحسن البصري اتجاها غير مستقيم،[1] هذا إن كان له اتجاه واحد![2] فإن الإمام جبهه بالقول كما نقل الطبرسي وقد رآه يقص عند الحجر الأسود فقال له السجّاد: أترضى يا حسن نفسك للموت؟

قال: لا!

قال: فعملك للحساب؟

قال: لا!

قال: فثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟

قال:لا، قال: فللّه في أرضه معاذ غير هذا البيت؟

قال: لا قال: فلِمَ تشغل النّاس عن الطواف؟

وهكذا في إبطال الإمام عليه السلام لكلامه عندما نقل له، فقد قيل له: يومًا إنّ الحسن البصري قال: ليس العجب ممّن هلك كيف هلك وإنّما العجب ممّن نجا!

(1) نقل في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه شبهه بالسامري وقال إن ذاك السامري كان يقول لا مساس وهذا يقول لا قتال!

(2) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 714: كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك، ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة؟ فقال: إن صاحبي كان مخلطًا، كان يقول طورًا بالقدر، وطورًا بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهبًا دام عليه.

فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممّن نجا وإنّما العجب ممّن هلك مع سعة رحمة اللّه![1] ويتعجب الناظر في حياة هذا (التابعي) من كمية التضارب في أقواله ومواقفه، حتى ليكاد يتحقق مما قيل في شأنه، من أنه بينما يقف موقفًا (زهديًّا متعففًا) للغاية في شأن من يعمل بالصيرفة![2] تراه يعمل لوالي معاوية بن أبي سفيان في خراسان الربيع بن زياد الحارثي مدة عشر سنوات وكاتبًا عنده![3]

وإذا صح ما نقل عن كلامه[4] حول حروب الإمام علي عليه السلام وأنه

(1) الشريف المرتضى؛ الأمالي 1/ 113.

(2) الكليني؛ الكافي5/ 113 عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حديث بلغني عن الحسن البصري فإن كان حقًّا فإنّا لله وانّا إليه راجعون قال: وما هو؟ قلت: بلغني ان الحسن البصري كان يقول: لو غلا دماغه من حرّ الشمس ما استظل بحايط صيرفي ولو تفرت كبده عطشًا لم يستسق من دار صيرفي ماء، وهو عملي وتجارتي وفيه نبت لحمي ودمي ومنه حجي وعمرتي، فجلس ثم قال: كذب الحسن! خذ سواء واعط سواء فإذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك وانهض إلى الصلاة، اما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة؟

(3) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب: البلدان/ 12 «ثم وجه زيادٌ (ابن أبيه) الربيعَ بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد الحارثي أميرًا على خراسان وكان الحسن البصري كاتبه».

(4) نقول إذا صح باعتبار أن الأمر هو محل مناقشة، فإن الحسن الذي ولد في المدينة المنورة سنة 21 هـ يُناقَش في أنه هل كان في البصرة حين دخلها أمير المؤمنين عليه السلام سنة 36هـ بُعيد انقضاء حرب الجمل (حدثت في جمادى الأول أو الثاني 36)، وكان عمره حينها نحو 15 سنة كما تفيد بعض المصادر التاريخية أو لم يكن وإنما جاء إليها سنة 37؟ وعلى فرض ذلك فهل كان بينه وبين الإمام في مثل ذلك السن مناقشة وكلام؟ ذلك أن بعض المصادر الشيعية تنقل بعض الحوارات بينه وبين الإمام عليه السلام، وأقدم تلك المصادر ظاهرًا كتب الشيخ الصدوق.

أراق دماء المسلمين،[1] فإن ذلك وما في ظاهره من حرص على العدالة يتناقض تمامًا مع موقفه تجاه الحجاج الثقفي حيث نقل أنه كان منسجما معه، مع ما كان معروفًا عن الحجاج من الظلم وسفك الدماء، فقد روى ابن سعد[2] أن عقبة بن عبد الغافر وأبا الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم انطلقوا فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة فعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه[3] فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.[4]

ولذلك لا غرابة أن يفخمه الحجاج ويدعو إلى الاقتداء به! ويشجع على مجالسته فـ«مما روي عن تفحيم الحجاج أنه جاء

(1) الحر العاملي؛ إثبات الهداة 3/ 536 وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه رأى الحسن البصري وهو يتوضأ للصلاة وكان ذا وسوسة، فصب على أعضائه ماء كثيرًا، فقال له: أرقت ماء كثيرًا يا حسن! قال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر قال: أوساءك ذلك؟ قال: نعم، قال: فلا زلت مسوءًا، قال: فما زال الحسن عابسًا قاطبًا مهمومًا..

(2) ابن سعد: الطبقات الكبير9/ 164.

(3) وإذا صح تشبيه الإمام علي إياه بالسامري فهذا تصديقه، حيث يقول لا قتال!

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى/ 164.

ذات يوم راكبًا على برذون أصفر، فأم الجامع، فلما دخله رأى فيه حلقات متعددة فأم حلقة الحسن، فلم يقم له بل وسع في المجلس، فجلس إلى جنبه. قال الراوي: فقلنا: اليوم ننظر إلى الحسن، هل يتغير من عادته في كلامه وهيئته؟ فلم يغير شيئًا من ذلك بل أخذ على نسق وأخذ عادته من غير زيادة ولا نقص. فلما كان في آخر المجلس قال الحجاج: صدق الشيخ عليكم بهذه المجلس، فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». (1)

كذلك ينقل عنه وجود نص على خلافة الخليفة الأول! فقد قال محمد بن الزبير: أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء، فجئته فقلت له: اشفني فيما اختلف فيه الناس، هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فاستوى الحسن قاعدًا فقال: أوفي شك هو؟ لا أبا لك، إي والله الذي لا إله إلا هو لقد استخلفه، ولهو كان أعلم بالله، وأتقى له، وأشد له مخافة من أن يموت عليها لو لم يؤمره». (2)

(1) اليافعي؛ عبد الله بن أسعد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان1/ 183.

(2) الأميني: الوضاعون وأحاديثهم 445 أخرجه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة.

وليس ذلك أول ولا آخر التوجهات الخاطئة لديه،[1] فكما رد عليه الإمام السجّاد عليه السلام، وبيّن خطأه، فقد فعل الإمام الباقر عليه السلام نظير ذلك، عندما سمع أنه يقول بأن كاتم العلم مطلقًا مأثوم، فقد خطّأه الإمام وبيّن له أن كتمان العلم بل والإيمان في بعض الأحيان يكون هو الوظيفة المطلوبة!.[2] وهذا بخلاف ما نقلته مصادر مدرسة الخلفاء من مدح مزعوم من الإمام الباقر عليه السلام للحسن البصري من أنه «كان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء».[3]

(1) ولا يخفى أن بعض المحققين من الإمامية ذهبوا إلى تحسين حاله وحملوا ما قيل فيه وعنه على التقية ومنهم المحقق التستري في قاموس الرجال3/ 200 فقد قال: «والرجل كما رأيت مختلف فيه، إلّا أنّ الأحسن حسنه وتقواه وتقيّته». ويظهر من المرحوم الشيخ محمد هادي معرفة اتفاقه مع التستري كما يظهر في كتابه التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب1/ 375.

(2) الكليني: الكافي1/ 99 عن عبد الله بن سليمان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام وعنده رجل من أهل البصرة يقال له: عثمان الأعمى وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن آل فرعون وما زال العلم مكتومًا منذ بعث الله نوحا عليه السلام فليذهب الحسن يمينا وشمالا فوالله ما يوجد العلم الا ههنا.

(3) الأصفهاني؛ أبو نعيم: حلية الأولياء 2/ 147.

# رسالة الحقوق
# (المسؤوليات والواجبات)

تنوعت الأساليب والطرق التي سلكها الإمام علي بن الحسين زين العابدين في نشر العلم والمعرفة، فكما جلس للتدريس والفتوى وأخذ الرواية عنه من جهة الطلاب والرواة، كما يصنع العلماء عادة، وهو أكثر الطرق انتشارًا وقد مرت الإشارة إليه حيث تكثر عدد طلابه، سواء من أوليائه أو من غيرهم، حتى أوصلهم المرحوم القرشي إلى 165 راويًا وتلميذًا.

كذلك فقد استخدم الدعاء بنحوٍ لا نرى له وجودًا في مدرسة الخلفاء التي تشكو فقرًا كبيرًا في هذا الجانب كما لا نرى وجوده بنفس المقدار في حياة المعصومين السابقين عليه.

ولعل الأجواء التي عاشها الإمام والضغوط التي تعرض لها في حياته بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام، ساهمت في أن يستفيد الإمام بهذا المقدار الكبير وبهذا العمق، من الدعاء أسلوبًا في نشر المعرفة العلمية بالعقائد وتهذيب النفس بل بالطبيعة أيضًا كما مرَّ في الحديث عن الصحيفة السجّادية.

كذلك فقد روى عنه أصحابه ما صار فيما بعد كتابًا في وقتٍ كان الاتجاه الرسمي ينهى عن الكتابة والتدوين، لكن الإمام السجّاد عليه السلام وعلى منهاج آبائه لم يكن ليرضخ في هذا الجانب للسلطة بحيث يعطي لها الشرعية في قراراتها المانعة السيئة.

ومن ذلك ما عرف برسالة الحقوق وهو النص الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي (ثابت بن دينار) ووصل إلينا بأسانيد معتبرة،[1] وقد كتب عن هذا النص المهم الكثير من الكتب المفيدة لعل أوسعها وأقدمها بالنظر إلى أيامنا، شرح رسالة الحقوق للمرحوم السيد حسن القبانجي، وسنلحق نص الرسالة في آخر الكتاب.

وبملاحظة سريعة لهذا النص السجّادي، الذي تحدث عنه كثيرون باعتباره نصًا في حقوق الإنسان.. سوف نلاحظ أولًا أن المنطلق فيه هو الحقوق التي على الإنسان وليس حقوق الإنسان، ولو أردنا أن ندقق في مضمون تلك الرسالة والنص لقلنا إنه رسالة الواجبات، والحقوق التي على الإنسان.

(1) الروحاني؛ السيد محمد صادق: أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق2/ 103 قال في جواب سؤال هل سند رسالة الحقوق للإمام السجّاد عليه السلام معتبر؟ باسمهِ جلّت أسماؤه: الظاهر أنّ سند الشيخ النجّاشي قدس سره إلى رسالة الحقوق في غاية القوّة والاعتبار، وكذا قال الشيخ السبحاني في كتابه أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ص 170: رسالة الحقوق، أوردها الصدوق في خصاله بسند معتبر.

وربما لأن العنوان «حقوق الإنسان» هو الشائع في هذا الزمان لذلك انتشر هذا العنوان بهذه الصورة.

وقد يقول قائل: إنه لا فرق في ذلك! فإذا تحدثنا عن واجبات الوالد تجاه ولده فنحن نتحدث عن حقوق الولد على والده؟ **والجواب**: أن هذا **أولًا** لا يصدق على كثير من العناوين الموجودة في النص، فمثلًا يوجد فيه حق الصلاة، والصدقة، والصوم.. فماذا نصنع في هذا التقسيم؟ وهكذا حقوق الجوارح: حق بطنك، وفرجك ويدك..

**وثانيًا**: إن نقطة التوجيه تختلف اختلافًا كبيرًا، فإن حب الإنسان لذاته يجعله يعرف حقوقه ويدافع عنها بل ويتخطاها إلى أخذ حقوق غيره، ويظلم الآخرين لتحصيل ما يحسبه حقًّا له! فليس من الطبيعي والحال هذه أن يأتي الدين لكي يعزز هذا الاتجاه في نفس الإنسان تجاه باقي الفئات الاجتماعية فضلًا عن خالقه وعباداته. وإنما الصحيح أن يعرفه ما يجب عليه ويرشده إلى ما هو مطلوبٌ منه، وهذا يذكرنا بما قاله نفسه ﷺ لأصحابه: «معاشر أصحابي أوصيكم بالآخرة، ولست أوصيكم بالدنيا، فإنكم بها مستوصون، وعليها حريصون. وبها مستمسكون».[1]

(1) المجلسي: بحار الأنوار75/ 147.

يلاحظ القارئ لرسالة الحقوق التي احتوت على خمسين حقًّا، أنها توزعت بالنحو التالي:

1/ حق الله وهو الحق الأكبر على العبد ومنه تتفرع الحقوق وتنبعث، وسيفصله عليه السلام بعد تقسيم وتنويع الحقوق المختلفة. وهذه نقطة مركزية سوف تميز هذا النمط من الحقوق (المسؤوليات والواجبات) عن سائر الأنظمة الحقوقية فإن من يعتمد على أن حق الله سبحانه هو الحق الأكبر يكون ذلك هو مرجعية باقي الحقوق وهي محكومة به منطلقة منه وصائرة إليه. وهذا يختلف عما إذا جعل الأصل في ذلك حق الإنسان.

2/ ثم يقسم باقي الحقوق (المسؤوليات) إلى حقوق الجوارح السبع: البصر والسمع واللسان واليد والرجل والبطن والفرج، وبهذه الجوارح تكون الأفعال.

3/ ويتحدث عن حقوق الأفعال (العبادية) كالصلاة والصوم والصدقة والهدي، ومسؤوليات الإنسان تجاه هذه العبادات.

4/ ثم يتعرض إلى المسؤوليات تجاه الفئات الاجتماعية المختلفة، وذوي الحقوق فيؤكد أن أوجبها هو حق أئمتك، ثم رعيتك ورحمك؛ ويشرع في تفصيل أن الإمام قد يكون

إمامًا وسائسًا بالسلطان وقد يكون سائسًا بالعلم وقد يكون سائسًا بالمِلك (في حالة العبيد)، ونفس التقسيم يجري في الرعية فقد تكون كذلك بالسلطان أو بالعلم أو بالملك.

وأما الأرحام فأوجب الحقوق كلها حق الأم ثم الأب ثم الولد ثم الأخ ثم الأقرب فالأقرب رحمًا..

ويشير إلى حقوق الفئات الاجتماعية من غير ما ذكر أعلاه، كالمؤذن فله عليك حق، وإمام جماعة الصلاة، والجليس والجار والصاحب والغريم (طالبًا ومطلوبًا) والخليط، والخصم (مدعيًا ومدعى عليه) والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والمسيء لك (متعمدًا وغير متعمد)، وحقوق أهل الملة المسلمة بل حقوق أهل الذمة، والحقوق الحادثة..

في خمسين عنوانًا يحدد الإمام السجّاد عليه السلام مسؤوليات المسلم وواجباته تجاه تلك العناوين وأشخاصها.

وهذه الوثيقة تحمل من التعاليم التربوية والأخلاقية والإرشاد الاجتماعي وتعريف المسلم مسؤولياته وواجباته ما لو قام بها المسلم لكانت حياتهم أزكى وأسلم.

# سيد العابدين وزين العابدين

يشير أكثر من حديث عند الإمامية إلى أن الله سبحانه وتعالى قد لقب الإمام عليًّا بن الحسين عليه السلام بسيد العابدين. وبالرغم من أن عبادته لا تصل إلى عبادة جده أمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن هذا اللقب نجده خاصةَ علي بن الحسين، والعنوان الذي تعنون به. فهو سيد العابدين وزين العابدين.

وقد تلقى الألقاب من بعض الناس على بعضهم الآخر جُزافًا فلا أحد يحاسب أو يدقق! لكن هذا اللقب له عليه السلام هو من الله سبحانه، وعرف به قبل ولادته في الدنيا،[1] واشتهر بين الفريقين؛ أوليائه وغيرهم![2]

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي/ 410، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زين العابدين؟ فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب يخطر بين الصفوف».

(2) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع 1/ 268؛ كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليه السلام قال حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولمَ تقول له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني انظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف.. =

ولنا أن نتأمل في هذه السيادة على العابدين وهذه الشخصية التي كانت زينة لهم! فنقول:

1/ إن العبادة لله سبحانه وتعالى هي أسمى درجات التكامل الإنساني، ذلك أن العابد يحقق بها هدف خلقته وغرض وجوده في هذه الحياة،[1] وكل الأمور الأخرى التي يمتلكها الإنسان (من العلم والمال والقوة) ما هي إلا مقدمات وممهدات لهذه النتيجة فإن أنتجت عبادة أو زادتها ولم تفسدها فهي ذات قيمة وإلا كان كل ذلك شرّا ووبالًا! فلا غرابة أن نجد أن أعظم خلق الله وسادة بريته إنما يتسابقون في هذه المرتبة، فكان محمد المصطفى «عبده ورسوله» في تشهد كل صلاة وكان أحسن وصف للأنبياء سواه كنوح النبي ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ويوسف النبي ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

= وقد ورد نفس هذا النص في مصادر مدرسة الخلفاء، فاستعظموه ومرّضوه واستنكروه، وقال بعضهم: غريب جدًا!!

وفي «إكمال تهذيب الكمال ـ ط العلمية» (5/ 339): «وقال ابن حبان: كان يقال بالمدينة: إن عليًّا سيد العابدين في ذلك الزمان، وكان من أفاضل بني هاشم، ومن فقهاء المدينة وعبادهم: توفي سنة اثنتين وتسعين، وقيل: أربع»

ونقل في القسم الثاني من المعجم الأوسط للطبراني 2/ 710 عن الإمام مالك قوله: كان يُسمى زَين العابدين لعبادته. وأما تلقيبه بهذا حين النقل عنه ﷺ أو الحديث في سيرته فأكثر من أن يحيط به التتبع.

(1) الذاريات: 56 ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(2) الصافات: 81.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] وعظمة سليمان الملك في أنه ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2] وهكذا أيوب الصابر!

وإذا استثنينا الرسول المصطفى، والوصي المرتضى عليهما، بما صرح به السجّاد زين العابدين من أن عبادته لا تصل إليهم وأنه لا يقدر على تلك المرتبة منهما، واستثنينا من هو في حكمهما كالحسنين عليهما السلام، فإن مقتضى النصوص الواردة في أنه سيد العابدين، وزين العابدين بإطلاق هذه النصوص تشمل جميع الخلائق. وإذا كان النداء هو في يوم القيامة فالمخاطب به جميع البشر من النبي آدم إلى قيام المهدي خاتم الأوصياء.

وهذه لعَمري مرتبة يحار فيها العقل، ويتلكأ فيها التصور!

2/ إن العبادة المرتبة العظمى التي ذكرناها لا ترتبط فقط بكَمّ الممارسات العبادية من الصلاة والذكر ونحوها، حتى يأتي بعضهم ليطلق على بعض الزهاد جُزافًا أنه سيد العابدين! فالأمر سهل أن يترك الإنسان كل شيء في الحياة ويتفرغ لأداء العبادة، بل ربما كان غير مرغوب فيه.[3]

(1) يوسف: 24.

(2) ص: 44.

(3) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي 2/ 188.. قال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو =

إنما المطلوب هنا بالإضافة إلى كثرة العبادة، روح العبادة ومحتواها من الخشية من الله سبحانه ومحبته، ورادعيتها عن التجاوز وتخطي الحقوق والحدود مهما كانت، إلى الدرجة التي جسدها الإمام السجّاد في أنه يذهب إلى الحج غاديًا وعائدًا ولا يضرب ناقته بسوط! ويقول: لولا القصاص!

وبالإضافة إلى روح العبادة ومحتواها، فإن التكامل مع سائر الأمور الحياتية من تعليم الجاهل وإرشاد الضال وتبيين الحقائق لمحتاجها، لهو من الأهمية بمكان. إن من يتفرغ للعبادة (بالنحو المعهود) كيف يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبلغ رسالة الله وأحكامه؟ وكيف يقتدي به الناس في حياتهم الاجتماعية والأسرية؟ وكيف يبين لهم عمليًّا أن الدين يدير الحياة بأفضل الأنحاء؟

لعل مما يميّز سيد العابدين عليه السلام عن سائر العابدين أن أولئك أو بعضهم انصرفوا إلى القشور والأشكال والمظاهر العبادية فغرقوا فيها بنفس المقدار الذي ابتعدوا عن محتواها وروحها، وهو

= إليك أخي عاصم بن زياد، قال وما له؟ قال لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال عَليَّ به!. فلما جاء قال: يا عُديَّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك!.

جسد الأمرين، وكذلك في أنه عاش العبادة متكاملة مع سائر جهات الحياة، وهم اقتصروا على العبادة والانزواء!

3/ ما نقل عن عبادته عليه السلام من صور وهي كثيرة لا تستقصى، مع ملاحظة أن العبادة لما كانت تحتاج إلى الخلوص فهي بالسر أولى وإلى الإخفاء أقرب! ومع ذلك ظهر من عبادته لكثرتها ما ظهر، للخاص والعام والموافق والمخالف.

فهذا جابر بن عبد الله الأنصاري قد «دخل عليه فوجده في محرابه، قد أنضته العبادة، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالًا حفيًّا، ثم أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا بن رسول الله، أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم! فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟

قال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فلم يدع الاجتهاد له، وتعبد ـ بأبي هو وأمي ـ حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا.

فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليهما السلام وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا بن

رسول الله، البقيا على نفسك، فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللاواء)، وبهم تستمطر السماء. فقال: يا جابر، لا أزال على منهاج أبويّ مؤتسيًا بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما؟ فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، والله لذرية علي بن الحسين عليهما السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا.[1]

بل إن مثل عبد الملك بن مروان وهو في الطرف المقابل للإمام بكل معنى الكلمة من الاقتتال على الدنيا واستفراغ العمر لها وجد نفسه لا يستطيع إلا إكبار الإمام واحترامه لكثرة عبادته وظهور أثرها في حياته. حين دخل عليه «فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبا محمد لقد بين عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريب النسب، وكِيد السبب، وانك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك..»[2]

(1) الطوسي؛ شيخ الطائفة: الأمالي/ 667.

(2) ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: فتح الأبواب/ 170.

فمن بعض ذلك ما نقل:

- من أنه كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟

وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة، ويقول: أريد أن أقوم بين يدي ربي وأناجيه فلهذا تأخذني الرعدة.[1]

- وكذلك فإنه «ما ذكر لله نعمة عليه إلا سَجَدَ، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلا سجد، ولا دفع الله عنه شرًا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاته مفروضة إلا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان كثير السجود في جميع مواضع سجوده فَسُمِّيَ السَّجَّاد لذلك».[2]
- ولُقب بجملة من الألقاب تشير إلى هذا المعنى مثل: زين العابدين، وسيد الساجدين، والسجّاد، وذي الثفِّنات، والزكي، والأمين، والخاشع، والزاهد، والبكَّاء.[3]

وأما عن خشوعه في صلاته فقد قال أبو عبد الله الصادق ﷺ: «كان

(1) الشافعي؛ محمد بن طلحة: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / 410.
(2) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب3/ 304.
(3) الكوراني: جواهر التاريخ؛ سيرة الإمام زين العابدين 4/ 9 عن مجلة تراثنا ج 58/ 210.

أبي يقول: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركه الريح منه».[1]

و«كان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وقيامه في صلاته قيام عبد ذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبدًا».[2]

وأما قراءته في صلاته فعن الزهري أنه قال: «كان علي بن الحسين إذا قرأ ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[3] يكررها حتى يكاد يموت»![4]

وفي سجوده كان له «خريطة فيها تربة الحسين إذا قام في الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقًا».[5]

«ولقد دخل أبو جعفر الباقر على أبيه عليه السلام فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد وقد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته من السجود وورمت قدماه من القيام في الصلاة. قال: فقال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء فبكيت رحمة له وإذا هو يفكر فالتفت إلي هنية من

(1) الكليني: الكافي3/ 304.
(2) الصدوق؛ الشيخ: الخصال/ 531.
(3) الفاتحة: 4.
(4) الحر العاملي: وسائل الشيعة 6/ 151.
(5) الكليني: الكافي 3/ 304.

دخولي فقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليٍّ (أمير المؤمنين) فأعطيته فقرأ فيها يسيرًا ثم تركها من يده تضجرًا وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب؟».[1]

**وأما صومه:**

فإن الإمام الصادق عليه السلام يتحدث عنه فيقول: «كان علي بن الحسين شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤوب! فقال: أتحبب إلى ربي لعله يزلفني»

و«إذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ فإذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرقة وهو صائم ثم يقول: هاتوا القصاع، أغرفوا لآل فلان حتى يأتي إلى آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون بذلك عشاؤه».[2]

وحج مرارًا كثيرة، أشير في بعض الروايات إلى أنها بلغت

(1) الكليني: الكافي 8/ 187؛عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا أخذ كتاب عليٍّ عليه السلام فنظر فيه قال: من يطيق هذا، من يطيق ذا؟ قال: ثم يعمل به وكان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه حتى يعرف ذلك في وجهه وما أطاق أحد عمل عليٍّ عليه السلام من ولده من بعده إلا علي بن الحسين عليهما السلام.

(2) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب3/ 294.

عشرين حجة، ويظهر أن حجاته كانت مختلفة من حيث الأصحاب والمرافقين، أو أنها في بعض الأزمنة كانت كثيرة الأتباع وبعضها الآخر كانت قليلة الأتباع، وفي بعضها كان ينتخب من الرفقة والحجاج من لا يعرفه حتى لا يستأكل برسول الله ﷺ كما نُقل عنه وحتى يخدمهم في السفر من دون تحرج، بينما في بعضها الآخر كان يخرج وبتبعه يخرج القراء، وفي الطريق يسألونه ما أبهم عليهم.

وقد نُقل عن طاووس اليماني ما رآه من طوافه مناجاته عند بيت الله عز وجل في مكة، فقد رآه طاووس يطوف من وقت العشاء إلى السحر، حتى إذا فرغ من ذلك رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسائلين جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمّد ﷺ في عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرّض ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ. فأنا الآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني فوا سوأتاه غدًا من الوقوف بين يديك إذا قيل

للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين احطّ؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب أما آن لي أن استحي من ربّي ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

**أتحرقني بالنار يا غاية المنى**
**فأين رجائي ثم أين محبّتي**
**أتيت بأعمال قباح ردية**
**وما في الورى خلق جنى كجنايتي**

ثم بكى وقال سبحانك تُعصى كأنّك لا تَرى وتحلم كأنّك لم تُعصَ! تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغني عنهم، ثم خرّ إلى الأرض ساجدًا..».[1]

**وأما صدقاته وعطاياه:**

فما فقد الناس في المدينة صدقة السر حتى فقدوا زين العابدين عليه السلام، وقيل إن مائة بيت فيها كانت تأتيهم العطايا ولا يعلمون من أين حتى إذا رحل الإمام السجّاد لجوار ربه، علموا أنها كانت تأتي منه عليه السلام.

(1) المصدر نفسه 3/ 291.

**دعاؤه ومناجاته:**

يكفي لمن أراد أن يعرف جانبًا من عبادة الإمام ﷺ أن يتأمل في الصحيفة السجّادية، فإنك لتلمس بين سطورها أنفاس الإمام ﷺ تتصعد، وقلبه يخفق، ودمعه يجري.

ونحن وإن تعرضنا في موضوع آخر للصحيفة وأدعيتها إلا أن مناسبة الموضوع هنا لا تتركنا نترك ذكره، فأنت عزيزي القارئ عندما تتأمل في كلمات تلك الأدعية تهتز من عمق المعاني وبلاغة الألفاظ وشجى الحالة.

**كيف يتسق هذا مع عصمة الإمام؟**

تساءل بعض أتباع مدرسة الخلفاء بتذاكٍ ـ: كيف يكون علي بن الحسين معصومًا عن الخطأ كما يقول الشيعة بينما نرى تصريحه بطلب التوبة، وكلامه عن عصيانه خالقه؟ إن ذلك ليدل على أن ما يقوله الشيعة عن عصمة الأئمة يرفضه نفس الأئمة ويصرحون بخلافه!

وقال قائلهم: «في الصحيفة الكاملة للسجاد «وقد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين، وإني أشكو سوء محاورته لي وطاعة نفسي له» فظاهر أنه ـ على الصدق والكذب ـ مناف للعصمة»[1]

(1) الآلوسي؛ محمود شكري: مختصر التحفة الاثني عشرية 1/ 121.

وقول الآخر: «وجاء في الصحيفة السجّادية أن من دعاء علي بن الحسين: اللَّهم لك الحمد على سترك بعد علمك.. فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره وارتكب الفاحشة فلم تفضحه.. كم نهي لك قد أتيناه، وأمر قد وقفتنا عليه فتعديناه، وسيئة اكتسبناها، وخطيئة ارتكبناها... فهو لم يدع لنفسه دعوى الشيعة فيه، بل يعترف بالذنب ويقر بالخطيئة»..[1]

والجواب عن ذلك ما يلي مختصرًا ـ:

**أولًا**: بالنقض في الأنبياء فإن القرآن نسب إليهم المعصية ومخالفة الله مع أن إجماع المسلمين قائم على عصمتهم وعدم مخالفتهم ربهم. أما نسبة المعصية ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2]، وفي موسى ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[3] وهكذا في سائر الآيات.. والجواب هناك أنه بعدما دل الدليل العقلي على عصمتهم فلا بد من صرف ظاهر هذه الألفاظ إلى غير المعاني المتبادرة بَدْوًا.

**وثانيًا**: بأننا نقطع أن ما جاء في هذه الأدعية والمناجيات لا

(1) القفاري: ناصر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة 1/ 329.
(2) طه: 121.
(3) القصص:15.

يمكن أن ينطبق على الإمام السجّاد ﷺ، ولا هم يقبلون ذلك، فهل يمكن قبول أن الشيطان قد ملك عنان الإمام السجّاد في سوء الظن وضعف اليقين؟ أو سائر الأدعية مثل (فأنا الآن من عذابك من يستنقذني)؟ فظاهر هذا اللفظ يشير إلى أنه في العذاب فعلا وإنما يريد أحدًا يستنقذه منه! فهل هذا ينطبق على رجل أقر الآخرون بأنه سيد العابدين، وأنه كان يصلي كذا وكذا، وأنه لم يُرَ أحدٌ مثله؟

**وثالثًا**: فإن هؤلاء الذين تمسكوا بفقرات الأدعية والتي لها تفسير سيأتي بيانه، إن كانوا يثقون بكلام أئمتنا المعصومين فلماذا لا يثقون بكلامهم في أنهم معصومون عن الخطأ والذنب؟ والذين يركضون وراء كلمات الاعتراف هذه في الصحيفة السجّادية.. لماذا لم يقبلوا من الصحيفة السجّادية نفسها دعاءه ﷺ يوم عرفة الذين يثبت فيه الإمام ضرورة الإمامة والإمام في كل زمان ولزوم عصمته وارتباطه الخاص بالله سبحانه، وقد أشرنا إلى بعض فقراته عند الحديث عن الصحيفة هذه؟

**ورابعًا**: فإن علماءنا قد قدموا أجوبة متعددة لهذه المسألة، وليس جوابًا واحدًا.

فالبعض قال إن الإمام ﷺ في هذه الكلمات هو في **صدد التعليم**

**لكيفية المناجاة مع** الله، وتربية المؤمن على خطاب الخضوع والاعتراف بالذنب، وصناعة منهج سينفع كل مسلم ينفتح على الصحيفة السجّادية في كيفية التوبة والرجوع للخالق المتعالي..

وهذا الأمر هو الذي يفتقده الفريق المتعصب من أتباع مدرسة الخلفاء! فترى جفافًا كطين الأرض العطشى يكسو علاقتهم مع خالقهم، لا يعرفون كيف يخاطبونه؟ وبأي لسان يتضرعون إليه. فهل لديهم كلام كهذا الذي يقوله الإمام مُعلِّمًا أتباعه وأولياءه؟ «اللَّهم إن تشأ تعف عنا فبفضلك، وإن تشأ تعذبنا فبعدلك، فسهل لنا عفوك بمنك، وأجرنا من عذابك بتجاوزك، فإنه لا طاقة لنا بعدلك، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك، يا غني الأغنياء، ها، نحن عبادك بين يديك، وأنا أفقر الفقراء إليك، فاجبر فاقتنا بوسعك، ولا تقطع رجاءنا بمنعك، فتكون قد أشقيت من استسعد بك، وحرمت من استرفد فضلك، فإلى من حينئذ منقلبنا عنك، وإلى أين مذهبنا عن بابك، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت إجابتهم، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم، وأشبه الأشياء بمشيتك، وأولى الأمور بك في عظمتك رحمة من استرحمك، وغوث من استغاث بك..»[1]

(1) الإمام زين العابدين: الصحيفة السجّادية الكاملة/ 62.

والجواب الآخر الذي قدمه العلماء، هو أن هذه الأدعية وما فيه من اعتراف بالذنب والخطيئة، إنما هو على طريقة «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ومعنى ذلك أن ما هو مطلوب من صاحب الدرجة العالية من الإيمان يختلف عن المطلوب من صاحب الدرجة الدانية، فلو قال مرجع التقليد مثلاً إنه يصلي الفرائض كلها في وقتها.. فهذا لا يعد منقبة له ولا فخْرًا وإنما قد يكون مثلبة، لأن المطلوب منه ومن موقعه بالإضافة إلى ذلك أن يصلي سائر النوافل، وأن يمارس التهجد وقيام الليل! وإلا فمجرد الصلاة في وقتها منه لا يعد منقبة وفضلاً.. نعم هو بالنسبة للشاب العادي يعد فضلاً وحُسْنًا.

وكذلك المعصومون فإنهم لشدة استغراقهم في عبادة الله ووضوح معرفتهم به، يرون كل ما يقومون به من العبادات صِفْرًا في جنب الله سبحانه، ويستشعرون التقصير في خدمة خالقهم استشعار العبد المذنب المتجري على الله، وحاشاهم من ذلك![1]

(1) وهناك جواب للاربلي نقله الشيرازي «إنّ الأنبياء والأئمّة ﷺ تكون أوقاتهم مشغولة باللّه تعالى، وقلوبهم مملوءة به، وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى، كما قال ﷺ: «أُعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تره فإنّه يراك». فهم أبدًا متوجهون إليه ومقبلون بكلّهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة، إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنبًا واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه. وإلى هذا أشار ﷺ: «إنّه ليران على قلبي وإنّي استغفر بالنهار سبعين مرّة» أجوبة المسائل الشرعية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص 114.

وقد عبر عنه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بالقول: «إنّ للذنوب والمعاصي بُعدًا «نسبيًّا» في مثل هذه الموارد، فهي ليست من قبيل الذنوب المطلقة والعادية.

توضيح ذلك: هنالك توقعات مختلفة في جميع القضايا الاجتماعية والأخلاقية والعلمية والتربوية والدينية. وسنكتفي هنا بذكر مثال واحد من بين مئات الأمثلة لتوضيح الموضوع: لو تطوع عدد من الأفراد لمشروع خيري كبناء مستشفى مثلًا للفقراء، فالعامل الذي له دخل محدود ومع ذلك يتبرع بمبلغٍ ما لهذا المشروع فإنّه يحظى بتقدير الآخرين، ولكن لو تبرع بهذا المبلغ رجل ثري، فهو ليس فقط لا يستحق التقدير فحسب، بل ينقم عليه الجميع ويذمونه؛ أي أنّ التبّرع الذي يمدح عليه شخص، يذم عليه شخص آخر! مع أنّ هذا المذموم لم يرتكب أي جرم من الناحية القانونية. وفلسفة هذا الموضوع كما أشرنا سابقًا: أنّ ما يتوقع من كل فرد يتوقف على إمكاناته من قبيل العقل والعلم والإيمان وبالتالي إمكانيته وقدرته».[1]

(1) مكارم الشيرازي؛ الشيخ ناصر: أجوبة المسائل الشرعية/ 112.

# الإمام السجّاد في الواقعة: راوية كربلاء

يعسر علينا أن نتتبع كل ما ورد فيه ذكر للإمام السجّاد عليه السلام في واقعة كربلاء، فإنه يحتاج إلى وضع كتاب خاص بهذا وتحليل الأحداث بحسبه، ولكننا هنا سنقتصر على جهتين:

روايات الإمام السجّاد المباشرة عن ما حدث في كربلاء. ومع أننا نعتقد أن ما نقل عن الإمام الباقر عليه السلام عن تفاصيل الواقعة وهو كثير جدًّا، يفترض ضمن الحالة العادية أنه أخذه عن أبيه زين العابدين، وقد نأتي على ذكر تلك التفاصيل عند الحديث عن حياة الإمام الباقر.

إلا أننا هنا سنقتصر على ذكر ما نقل عن الإمام السجّاد عليه السلام بشكل مباشر، من رواة آخرين وهم نقلوه إلى غيرهم فكان ذلك سببًا في إظهار الصورة السليمة عن الواقعة، بالرغم من محاولات بني أمية ومؤرخيهم تشويه الواقعة في أحداثها وفي الكلمات التي قيلت في تلك الأحداث.[1]

(1) لتفصيل هذا المطلب وما عمل الخط الأموي لتغييب واقعة كربلاء عن الأمة، يراجع كتابنا: أنا الحسين بن علي.

وبعدها سنشير إلى بعض ما جرى للإمام وعليه بعد شهادة أبيه إلى عودته إلى المدينة، وسنخص بالذكر بعض الخطب التي ألقاها في هذا الطريق ذاهبًا وعائدًا.

أما بالنسبة للناحية الأولى وهي ما نقل عنه في تفاصيل الواقعة، فلا بد أن نؤكد ما ذكرناه في كتابنا: أنا الحسين من أن الرواية الأساس التي دونت في ذلك الوقت قد جاءت في مقتل أبي مِخنف الأزدي، وهذا المقتل قد «أضيع» أو صودر من الساحة الإسلامية فلم يبق منه إلا شيء قليل هو الذي نقله الطبري في تاريخه المعروف وأما باقي المقتل فقد تمَّ تضييعه! لأسباب ذكرناها في ذلك الكتاب.

ومن ذلك الباقي الذي ذكره ابن جرير الطبري ما يلي:

1/ **فقد نقل عن الإمام السجّاد** عليه السلام محاولة عبد الله بن جعفر وتوسطه لكي «ينزع فتيل الأزمة» وكتابته رسالة للإمام الحسين عليه السلام فقد قال أبو مخنف: «حدثني الحارث بن كعب الوالبي، عن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنيه: عون ومحمد: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك

من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب، والسلام».[1]

2/ **عدد أفراد الجيش الأموي المقاتل للإمام الحسين**: كما نقل عن الإمام عليه السلام عدد الجيش الأموي الذي جاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وأهمية ذلك تبرز في الوقوف أمام المبالغات في الزيادة والنقيصة، فإن عند الإمام المقدار الحق، لعصمته عن الخطأ من جهة، ولكونه شاهد عيان من جهة أخرى (لمن لم يقبل الجهة الأولى).

فقد روى عنه أبو حمزة الثمالي: «ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيًا وظلمًا وعدوانًا».[2]

(1) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري 5/ 387.
(2) الصدوق: الأمالي/ 547.

3/ **حوادث يوم التاسع من محرم**: كان يوم التاسع حاسمًا في تاريخ واقعة كربلاء، ففيه وصل خطاب ابن زياد إلى عمر بن سعد بأن يُنزِل الإمام الحسين وأصحابه على حكم يزيد وبيعته أو يزحف عليهم بالخيل وإذا قتل الحسين فليرض صدره بالخيل، وقد بيّنّا تفصيل ذلك في كتاب أنا الحسين بن علي، وقد رصد الإمام السجّاد هذه الأجواء وأخبر عنها كما نقل عبد اللّه بن شريك العامريّ عنه عليه السلام «قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد، فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال: إنا قد أجّلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عبيد اللّه بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم».[1]

4/ **وفي ليلة العاشر من محرم سنة 61 هـ**: فإن الإمام السجّاد عليه السلام قد نقل خطبة أبيه التي قالها في أنصاره، وبيّن فيها عظمة منازلهم حيث أنه قال بأنه لا يعلم أصحابًا خيرًا من أصحابه (وفي هذا كل الصيد!) كما فيها ترخيصه لهم بالانصراف، فقد روى عبد الله بن شريك العامري، عنه عليه السلام أنه قال: «جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عُمَر بن سَعْد، وَذَلِكَ عِنْدَ قرب المساء، قَالَ عَلِيّ بن الْحُسَيْن: فدنوت مِنْهُ لأسمع وأنا

(1) الطبري: تاريخ الطبري5/ 418.

مريض، فسمعت أبي وَهُوَ يقول لأَصْحَابه: أثني عَلَى اللَّه تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده عَلَى السرّاء والضرّاء، اللَّهُمَّ إني أحمدك عَلَى أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا فِي الدين، وجعلت لنا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أَمَّا بَعْدُ، فإني لا أعلم أَصْحَابًا أولى وَلا خيرًا من أَصْحَابي، وَلا أهل بيت أَبَرَّ وَلا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم اللَّه عني جميعًا خيرًا، أَلا وإني أظن يومنا من هَؤُلاءِ الأعداء غدًا، أَلا وإني قَدْ أذنتُ لكم فانطلقوا جميعًا فِي حلٍّ، ليس عَلَيْكُمْ مني ذِمامٌ، وهَذَا الليل قَدْ غشيكم، فاتخذوه جملًا».[1]

وحين انتهى من خطابته فيهم، واستعلم مواقفهم، وأرخص لهم في الانصراف فلم يفعلوا، كرّ راجعًا إلى خيمته، ولندع الإمام السجّاد عليه السلام يكمل بقية الحادثة حيث يقول: «إني جالسٌ فِي تِلكَ العشية الَّتِي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ اعتزل أبي بأَصْحَابه فِي خباء لَهُ، وعنده حوي، مولى أبي ذر الْغِفَارِيّ، وَهُوَيعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

**يَا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل**

(1) المصدر نفسه 5/ 420.

**من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل**
**وإنما الأمر إِلَى الجليل وكل حي سالك السبيل**

قال: فأعادها مرتين او ثلاثًا حَتَّى فهمتها، فعرفت مَا أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قَدْ نزل، فأما عمتي فإنها سمعت مَا سمعت، وَهِيَ امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها، وانها لحاسرة حتى انتهت اليه، فقالت:

وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! الْيَوْم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي، يَا خليفة الماضي، وثمال الباقي، قَالَ: فنظر إِلَيْهَا الْحُسَيْن عليه السلام فَقَالَ: يَا أخية، لا يذهبن حلمك الشَّيْطَان، قالت: بأبي أنت وأمي يَا أَبَا عَبْد اللَّهِ! استقتلت نفسي فداك، فرد غصته، وترقرقت عيناه، وَقَالَ: لو ترك القطا ليلا لنام، قالت: يا ويلتى، افتغصب نفسك اغتصابًا، فذلك أقرح لقلبي، وأشد عَلَى نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إِلَى جيبها وشقته، وخرت مغشيًّا عَلَيْهَا، فقام إِلَيْهَا الْحُسَيْن فصب عَلَى وجهها الماء، وَقَالَ لها: يَا أخية، اتقي اللَّه وتعزي بعزاء اللَّه، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلا وجه اللَّه الَّذِي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وَهُوَ فرد

وحده، أبي خيرٌ مني، وأمي خيرٌ مني، وأخي خيرٌ مني، ولي ولهم ولكل مسلمٍ برسول اللَّه أسوة، قَالَ: فعزاها بهذا ونحوه، وَقَالَ لها: يَا أخية، إني أقسم عَلَيْك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيبًا، وَلا تخمشي علي وجهًا، وَلا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ بِهَا حَتَّى أجلسها عندي، وخرج إِلَى أَصْحَابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها فِي بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الَّذِي يأتيهم مِنْهُ عدوهم».[1]

5/ **وفي صباح اليوم العاشر**: فإنه عليه السلام يروي كيف استقبل أبوه الحسين عليه السلام اصطفاف خيل الأعداء بدعاء الباري سبحانه وتعالى واللجأ إليه والتوسل به، فقد نقل ابو مخنف عن أبي خالد الكاهلي (الظاهر أنه تصحيف عن ابي خالد الكابلي وهو من خلص أصحاب الإمام السجّاد): قال لما صبحت الخيل الحسين بن علي رفع يديه فقال اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة فكم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو فأنزلته بك وشكوته

(1) نفس المصدر والصفحة.

إليك رغبة فيك إليك عمن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل غاية».[1]

**1/ من خطبه عليه السلام بعد عاشوراء إلى المدينة**

كان للإمام عليه السلام خطب في الكوفة والشام وعلى أبواب المدينة، وكان لكل واحدة خصائص ذكرناها في كتاب أنا الحسين بن علي، ونكتفي هنا بنقل نصها:

أما خطبته عليه السلام في الكوفة فإنه بعدما أُدخل الركب الحسيني مسبيًّا إلى الكوفة، وماج الناس صخبًا أومأ إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فاستوى قائمًا، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي بما هو أهله فصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحْل[2] ولا تِرات[3]، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبرًا وكفى بذلك فخرًا.

(1) «تاريخ دمشق لابن عساكر» (14/ 217).
(2) الذحْل: العداوة والثأر.
(3) التِّرَة: والوِتر والثأر هو الظلم في الذحل.

أيها الناس، ناشدتكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟ فتبًا لما قدمتم لأنفسكم وسوءًا لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي؟.

قال الراوي: فارتفعت اصوات الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال: رحم الله امرءً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فان لنا في رسول الله أسوة حسنة!

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، أيها الغَدَرة المَكَرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل؟! كلا ورب الراقصات[1] (إلى مِنى)، فإن الجرح لما يندمل،

(1) يعني النياق.

قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهواتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري.

ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

**لا غرو إن قتل الحسين فشيخه**
**قد كان خيرًا من حسين وأكرما**
**فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي**
**أصاب حسينًا كان ذلك أعظما**
**قتيل بشط النهر روحي فداؤه**
**جزاء الذي أراده نار جهنما**

ثم قال عليه السلام: رضينا منكم رأسًا برأس فلا يوم لنا ولا علينا [1].

**2/ خطبة الإمام في مجلس يزيد في الشام:**

بعدما أدخل السبايا وفي مقدمتهم زين العابدين عليه السلام على يزيد، وأمر يزيد خطيبًا أن يقوم فيشتم أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام ويمدح يزيد وأباه معاوية، فعل الخطيب ذلك فصاح الإمام السجّاد عليه السلام في وجهه وقال: «ويلك، أيها الخاطب! اشتريت رضا

(1) اللهوف / 93 والاحتجاج وغيره.

المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوأ مقعدك من النار!، ثم قال: يا يزيد! ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن للّه رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب، فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد، فلعلّنا نسمع منه شيئًا، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟! فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقًّا، ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود. فصعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم خطب فقال:

«أيها الناس أعطينا ستًّا، وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منا النبي المختار محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد اللّه وأسد الرسول، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنّة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من

أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا اللّه، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر باللّه طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب للّه من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي اللّه على المنافقين، ولسان حكمة العابدين،

ناصر دين اللّه، وولي أمر اللّه، وبستان حكمة اللّه، وعيبة علم اللّه، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدام همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، أربطهم جنانًا، وأطبقهم عنانًا، وأجرأهم لسانًا، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة طحن الرحى، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز؛ وصاحب الإعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق مكي مدني، أبطحي تهامي، خيفي، عقبي، بدري، أحدي، شجري، مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد اللّه الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كلّ غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.

قال: ولم يزل، يقول: أنا أنا.. حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: اللّه أكبر، قال

عليّ بن الحسين: كبرت كبيرًا لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من اللّه»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ومخي وعظمي»، فلما قال: أشهد أنّ محمدًا رسول اللّه، التفت عليّ من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمتَ أنه جدك فقد كذبتَ، وإن قلت: إنه جدي، فلم قتلت عترته؟[1]

### 3/ خطبة الإمام السجّاد على أبواب المدينة:

بعد تلك الرحلة المتعبة المكربة، رجع الإمام السجّاد عليه السلام بعماته وأخواته ومن معهن من الشام إلى كربلاء فالمدينة، وعلى بوابة المدينة صادفه بشر بن حذلم، فانتدبه الإمام ليرثي الحسين عليه السلام عند أهل المدينة ويخبرهم عن مقدم زين العابدين إلى بوابة المدينة، فما كان من الناس رجالًا ونساء إلا أن خرجوا لاستقباله وعياله، وضجت الجموع بالبكاء وأظهرت الأسى لما أصاب عترة المصطفى من الأذى، فقام عليه السلام وسط تلك الجموع وأومأ بيده أن اسكتوا فسكتوا فقال:

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق

(1) الخوارزمي: الموفق؛ مقتل الحسين2/ 78..

أجمعين الذي بَعُد فارتفع في السماوات العلى وقرُب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة! أيها القوم إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة؛ قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته وسُبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي لا مثلها رزية، أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن إنهمالها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها والسماوات بأركانها، والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليه أم أي سمع لا يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم، أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين وشاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا

ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ﴾[2] والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فإنه عزيز ذو انتقام».[3]

(1) المؤمنون: 24.
(2) ص: 7.
(3) ابن طاووس؛ السيد علي: اللهوف في قتلى الطفوف/ 118.

# الحياة الأسرية
# للإمام السجّاد عليه السلام

في العادة نخصص في سيرة كل معصوم من المعصومين موضوعًا عن حياته الأسرية ويشتمل ذلك الموضوع على ذكر زوجاته وأولاده (ذكورًا وإناثًا) قدر الإمكان. والفائدة المرجوة من هذا هي زيادة في التعرف على حياة المعصوم حيث أن من جهات معرفة الشخص معرفة كاملة، معرفة أسرته وعائلته. ويضاف إلى ذلك أن هذه الجهة قد تحتوي على أمور عقائدية أو تربوية وأخلاقية فتكون منشأ للاقتداء والتأسي.

وقد ذكروا في حياة الإمام علي بن الحسين، أن زوجته الحرة الوحيدة هي فاطمة (أم عبد الله) بنت الإمام الحسن المجتبى بن أمير المؤمنين عليهم السلام. والباقي وهن ست نساء كن جواري وأمهات أولاد.[1]

(1) قد ذكرنا في كتابينا: كاظم الغيظ موسى بن جعفر، والآخر: عالم آل محمد علي بن موسى الرضا عليه السلام وجه تزوج الأئمة بالجواري وفلسفة ذلك حتى إنه لم تكن أم إمام من بعد جعفر الصادق عليه السلام إلا من الجواري.. فليراجع من أحب التفصيل.

كما ذكروا بأن أولاده (من الذكور والإناث) كانوا خمسة عشر[1] أو سبعة عشر[2]. ولعل ذلك يعود إلى تكرار بعض الأسماء أو حساب الاسم والكنية.. وعلى أي حال فإن القول بأنهم كانوا خمسة عشر هو أشهر الأقوال وأصحها، ونشير هنا إلى بعض تلك الأسماء:

**أولاده: منهم:**

1/ **سيدهم أبو جعفر محمد** بن علي عليه السلام، وهو الإمام المعروف بالباقر، وسيأتي الحديث عن سيرته بالتفصيل في كتاب خاص.

2/ **ومنهم عبد الله الباهر**: وهو على الظاهر شقيق الإمام الباقر، وسمي بالباهر لأجل جماله ووضاءة وجهه وكان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد عبّر عنه الإمام الباقر بأنه «يده التي يبطش بها». وكان فاضلًا فقيهًا، روى عن آبائه عن رسول اللّه عليهم السلام اخبارًا كثيرة وحدث الناس عنه وحملوا عنه

(1) مسند الإمام السجّاد عليه السلام، ج 1، الشيخ عزيز الله عطاردي، ص 179.
قال المفيد: ولد علىّ بن الحسين عليه السلام خمسة عشر ولدًا / وكذلك الطبرسي في إعلام الورى. والاربلي في كشف الغمة.

(2) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب» أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي، الشهير بابن فندق (ت 565هـ) (ص43 بترقيم الشاملة آليًا).

الآثار.[1] ومن تلك ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الْبَخِيلَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[2]

كما نقل عند الشيخ المفيد في الإرشاد عن آبائه عن أمير المؤمنين رواية في حد السارق.[3]

3/ **والحسين بن علي بن الحسين**: والذي «كان أشبه وُلْد علي بن الحسين به في التألّه والتعبد»[4] وخير من عرفه وعرّفه هو أخوه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال فيه: «وأما الحسين فحليمٌ يمشي على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا»[5] وكان فاضلًا، ورعًا، وروى حديثًا كثيرًا عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام وعمته فاطمة بنت الحسين عليها السلام، وأخيه أبي جعفر عليه السلام.[6]

(1) الشيخ المفيد: الإرشاد للمفيد 2/ 169.

(2) ذكره عنه مغلطاي الحنفي في إكمال تهذيب الكمال 4/ 491 وخرج ابن حبان حديثه في «صحيحه»، والحاكم أبو عبد اللّه النيسابوري، والترمذي.

(3) الشيخ المفيد: الإرشاد 2/ 70 عن عبد الله بن سمعان قال: لقيت عبد الله بن علي بن الحسين فحدثني عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه كان يقطع يد السارق اليمنى في أول سرقته، فإن سرق ثانية قطع رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة خلده السجن.

(4) الحاكم النيشابوري: المستدرك على الصحيحين 1/ 310.

(5) البحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام محمد الباقر1/ 346 وقد قيل له (الإمام الباقر): أي إخوانك أحبّ إليك؟ فأجاب عليه السلام: «أمّا عبد اللّه فيدي التي أبطش بها وأمّا عمر فبصري الذي أبصر به، وأمّا زيد فلساني الذي أنطق به، وأمّا الحسين فحليم يمشي على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلامًا».

(6) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث 7/ 46.

4/ **وعمر بن علي بن الحسين المعروف (بالأشرف)**،[1] وكان فاضلًا جليلًا ورعًا، وكان أيضًا يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام.[2] وكان «يَشْتَرِطُ عَلَى مَنِ ابْتَاعَ صَدَقَاتِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَثْلِمَ فِي الْحَائِطِ كَذَا وَكَذَا ثَلْمَةً وَلَا يَمْنَعَ مَنْ دَخَلَ الْحَائِطَ يَأْكُلُ»[3] وصفه الإمام الباقر عليه السلام بوصف يعلي شأنه فقال: «أما عمر فبصري الذي أبصر به». وروى عددًا من الروايات عن آبائه، منها «أن بعض البادية جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: هل علينا زكاة الفطر؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هي على كل مسلم صغير أو كبير حر أو عبد صاعًا من تمر أو شعير أو أقط».[4] وكان أحد ثلاثة أشخاص راسلهم أبو سلمة الخلال مخاطبًا إياهم في تحويل الخلافة والدعوة إليهم فقد كتب إلى جعفر بن محمد (الصادق) وإلى عبد الله بن الحسن (المثنى) وإلى عمر بن علي بن الحسين ثلاثة كتب ودفعها إلى رجل وأمره أن يلقى جعفر بن محمد

(1) تمييزا له عن عم أبيه وهو عمر بن علي بن أبي طالب المعروف بالأطرف. ولقب عمر بن السجّاد بالأشرف نظرًا لجهة شرف آبائه من جهة أبيه الحسين وأمه الزهراء، بخلاف الأطرف الذي ينتسب للأسرة الهاشمية من جهة أمير المؤمنين فقط.

(2) الشيخ الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى1/ 495.

(3) ابن المقرئ الأصفهاني: محمد بن إبراهيم: المعجم لابن المقرئ/ 283.

(4) الدارقطني؛ علي بن عمر بن أحمد: سنن الدارقطني 3/ 62.

فإن قبِل ما كتب به إليه مزق الكتابين وإن لم يقبل لقي عبد الله بن الحسن فإن قبِل مزق الكتاب الثالث فإن لم يقبل لقي عمر بن علي بن الحسين بن علي فقدم الرسول المدينة ولقي جعفر ابن محمد بالكتاب ليلًا فقرأ الكتاب وسكت فقال له الرسول ما تجيب فقدم الكتاب من السراج وأحرقه وقال هذا جوابه فلقي الرسول عبد الله بن الحسن وأوصل الكتاب إليه فقبل وأجاب إلى ذلك فأشار عليه جعفر بن محمد بالإعراض عنه فإن أبا سلمة مخدوع مقتول ولقي عمر بن علي بن الحسين فرفضه وقال لا أعرف من كَتَبه![1]

كما روى عن عمته فاطمة بنت الحسين، خبر طهارة الحسين الذاتية، فإنه لما ولد الحسين قال النبي لصفية بنت عبد المطلب: «يا عمّة هلمّي إلي ابني». فقالت: يا رسول اللّه إنّا لم ننظّفه بعد! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عمّة أنت تنظّفيه؟! إنّ اللّه تبارك وتعالى قد نظّفه وطهّره»[2] وروى كذلك خبر بكاء النبي على الحسين ساعة ولادته؛ وقال: «لعن اللّه قومًا هم قاتلوك يا بني قالها ثلاثًا، فقلت: فداك أبي وأمي ومن يقتله؟ قال: تقتله الفئة الباغية من بني

(1) التنوخي؛ المحسن بن علي: الفرج بعد الشدة 4/ 275.
(2) الشيخ الصدوق: الأمالي/ 199.

أمية لعنهم اللّه»[1] وخبر «لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكن لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام عمل لهن الطعام للمأتم».[2]

**لماذا التسمية باسم عمر؟**

يتشبث أتباع مدرسة الخلفاء بكل قشة لإثبات مشروعية الخلافة، وحيث أن التاريخ يشير إلى استثار حكامهم بقيادة الناس مع عدم النص الديني على ذلك، وافتقاد الرضا الشعبي، وإبعادهم لأهل البيت عن أبسط المواقع القيادية فضلًا عن كبيرها، فوقعوا في مشكلة جراء ذلك، فتمسكوا ببعض الأمور التي لا تَثبُت أحيانًا ولا تُثبِت أصلًا ـ انسجام أهل البيت مع الخلفاء ومشروعية خلافتهم على أثر ذلك. ومن ذلك وجود علاقات بين الحاكمين وأهل البيت بحيث كان آل النبي يأتون إليهم ويقبلون هداياهم وعطاياهم، ويزوجونهم ويتزوجون منهم، وأيضًا يُسمون أولادهم بأسمائهم.. وهذا كله في رأيهم دليل على مشروعية تلك الخلافة.

وبالرغم من أننا لا نريد أن نناقش الموضوع برمته فإن محله

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات1/ 301

(2) الحر العاملي: وسائل الشيعة 2 / 357.

هو في العقائد، إلا أننا بمناسبة كون اسم ابن زين العابدين عمر، أوردنا هذا. ونشير هنا إلى البحث المتقن[1] الذي قدمه المحقق السيد علي الشهرستاني لمن أراد تفصيل المسألة لكننا نختصر بعض الإجابة فنقول:

أ/ إن هذا الاسم وأمثاله كعثمان من الأسماء العربية الرائجة في تلك الفترة خصوصًا، وتَسَمّي الأشخاص المعروفين بها لا يعني أنها أصبحت ملكًا لهم بحيث لا يستطيع غيرهم أن يتسمى بها إلا بإذنهم أو يكون منسجمًا معهم ومحبًّا لسيرتهم وسياستهم وإلا فلا!

وربما يكون لهذا السبب صرّح الإمام علي بسبب تسمية ابنه بعثمان وأنه كاسم عثمان بن مظعون «كان للوقوف أمام استغلال الآخرِين للاسمين الآخَرَيْن من ولده، فكأنه يريد أن يقول: لا تتصوّروا إنّي سمّيت ابني بعثمان حبًّا بعثمان بن عفان، بل بتصريحي أُريد أن أنفي ما قد يُدَّعى من أنّي قد سمَّيت أولادي بأسماء الثلاثة حبًا بهم».[2]

ب/ بل يمكن النقض على هؤلاء بأنه لو كان الأمر كذلك فلماذا لم نرَ في ذريات الخلفاء والحاكمين أسماء مثل: علي

(1) فانظر كتابه: التسميات بين التوظيف الأموي والتسامح العلوي.

(2) الشهرستاني؛ السيد علي: التسميات بين التوظيف الأموي والتسامح العلوي 428.

والحسن والحسين وفاطمة وأمثالها؟ فهل كان الحب من طرف واحد؟ بحيث كان آل البيت يسمون بأسماء الخلفاء حبًّا وغرامًا بهم، بينما لا يسمي الخلفاء وأبناؤهم بأسماء أهل البيت بغضًا وكراهيةً؟ إن هذا يشير إلى أن المشابهة في الأسماء لا تعني بالضرورة المحبة لكل من تشابهت أسماؤهم ولا الإنسجام في الأفعال.

«فالأسماء قد توضع لجمالية الاسم، أو لتفاؤلهم بالعيش وطول العمر كالتسمية بعائشة وعمر، وقد يسمّي الإنسان ابنه بأنور أو حُسْني وأمثال ذلك لتناغمه مع معنى هذين الاسمين، مع عدم ارتياحه لأنور السادات وحسني مبارك. وقد توضع الأسماء خوفًا أو طمعًا أو مداراةً أو مجاملةً، وقد تكون هناك احتمالات أُخرى، فلا يمكن حصر سبب التسمية بسبب واحد هو وضعه للمحبة وتركه للبغض».[1]

وسيأتي أنهم ذكروا أن للإمام ابنًا اسمه عبد الرحمن، فإذا صح هذا فهل يعني ذلك أنه سمّاه بهذا الاسم حبًّا في عبد الرحمن بن ملجم قاتل جده أمير المؤمنين؟

(1) المصدر السابق / 479.

ج/ إن قضية أهل البيت عليهم السلام ليست سطحية إلى هذه الدرجة بحيث تنتهي إذا تشابهت الأسماء وتبقى إذا اختلفت وإنما الاختلاف هو في السيرة والمواقف وفهم الإسلام وما نتج عن ذلك من ظلم جهة الخلفاء لأهل البيت عليهم السلام. والناظر في كلمات[1] أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة يتضح له الأمر.

نكتفي بهذا المقدار من الحديث في هذا الموضوع ونحيل الراغب في الاستزادة إلى الكتاب المذكور آنفًا.

5/ **الشهيد زيد بن علي بن الحسين:**[2] وقد جاء ذكره في الحديث المنقول عن الإمام الباقر موصوفًا بأنه لسان الإمام عليه السلام «وأما زيد فلساني الذي انطق به»، ولعل ذلك يشير إلى ما كان عليه زيد الشهيد من العلم حيث أخذه عن أبيه السجّاد وأخيه الباقر، وبداهة الجواب في النقاش والمناظرة.

وقد رأى زيد بن علي مظالم بني أمية في الناس وجرائمهم في زمان هشام بن عبد الملك، ووالية على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي وهو نظير الحجاج في جرائمه، فلم يطق صبرًا عليها، وانضمت استفزازات السلطة له، إلى ما سبق فكان أن أعلن ثورته

(1) فانظر إلى الخطبة الشقشقية وأمثالها..

(2) قد بحثنا بشيء من التفصيل ذكر شخصيته في سلسلة: من تاريخ المذاهب في الإسلام.

على الأمويين في الكوفة، وبعد معارك حامية في الكوفة انتهى الأمر به إلى أن يصاب بسهم في جبينه فكان في ذلك منيته! استشهد سنة 122 هـ (وقيل 120). وهل كان جديرًا بغير الشهادة؟ مصدقًا قول القائل: فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا... ولكن على أقدامنا تقطر الدماء.

ترحم عليه الإمام الصادق عليه السلام وأخبر أنه كان صادقًا في نهضته سليم الدوافع والأهداف، وأنه لو ظفر لوفى! وقسم المال في عوائل الشهداء الذين قتلوا معه.

هذا زيد الثائر الشهيد! وأما زيد العالم فحدث عن البحر ولا حرج! كيف لا وهو تربية أبيه وأخيه، والآخذ عن ابن أخيه الصادق عليه السلام.

وقد تعرض الشهيد زيد إلى تشويه في مصادر مدرسة الخلفاء، من جهات مختلفة، فتارة هم يذكرون أنه ذهب إلى الشام لهشام بن عبد الملك في نزاع له مع زيد بن الحسن حول الولاية على صدقات أمير المؤمنين علي عليه السلام.. فلم يقض له هشام ما أراد! وأخرى يقولون إنه ذهب وطلب منه أموالًا لديون عليه.. فلم يعطه هشام فخرج عليه.. وأنت ترى عزيزي القارئ كيف أنهم بهذا يشوهون الدوافع، وترى في الوقت نفسه لماذا مدح الإمام الصادق عمه زيدًا المدح الكثير وزكّى دوافعه وأغراضه.

بل حتى في الجانب العلمي حاولوا تشويه آرائه فهم ينقلون

عنه كذبًا[1] ـ أنه قال: «أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر حكمت بمثل ما حكم به أبو بكر في فدك »[2] وهذا يعني تصويب فعل أبي بكر وتخطئة فاطمة الزهراء جدته عليها السلام.

7 / **سليمان بن علي بن الحسين**: قال في شأنه الشيخ النمازي: لم يذكروه. له مزار معروف يعرف بمزار سلطان سليمان بن الإمام السجّاد عليه السلام في قرية (عصمت آباد) على رأس ستة فراسخ من نيسابور.[3]

---

(1) الراوي الذي ينتهي إليه هذا الخبر هو فضيل بن مرزوق، وبغض النظر عما قيل في شأنه أبو حاتم بن حبان البستي:
يخطئ، ومرة: منكر الحديث جدًا كان ممن يخطىء على الثقات، والنسائي الذي ضعّفه، فإنه يظهر أنه كان متخصصًا في رواية ما هو مخالف لأقوال الأئمة المعصومين من خلال أبنائهم! فتراه هنا يُخطّئ الزهراء ويرى أن حكم الخليفة كان صائبًا ومطالبتها بلا معنى! وفي فضائل الصحابة للدارقطني» (ص84): نقل عنه أنه روى عن عمر بن علي بن الحسين تكذيب وجود نص فيهم أو وصية من رسول الله لعلي ثم للحسن ثم للحسين هكذا زعم فضيل: قلت لعمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أفيكم إمام تفترض طاعته تعرفون ذلك له من لم يعرف ذلك له فمات ميتة جاهلية؟. فقال عمر بن علي: لا والله ما ذاك فينا، من قال ذلك فهو كاذب قال: فقلت: يرحمك الله إنهم يقولون: إن هذه المنزلة كانت لعلي عليه السلام، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إليه، ثم كانت للحسن بن علي إن عليًا أوصى إليه، ثم كانت للحسين بن علي إن الحسن أوصى إليه، ثم كانت لعلي بن الحسين أوصى إليه، فقال عمر بن علي بن الحسين: والله لمات أبي فوالله ما أوصى بحرفين اثنين قاتلهم الله، لو أن رجلًا أوصى في أهله وماله وولده وما يترك بعده، ويلهم ما هذا من الدين، والله ما هؤلاء إلا متآكلين بنا» وهذا تمامًا على خلاف عقائد أئمة الهدى عليهم السلام. وهو نفسه صاحب الرواية المكذوبة عن علي عليه السلام «ما أحد أحب إلى أن ألقى الله بمثل صحيفته من هذا المسجى» يقصد الخليفة الثاني.

(2) البغدادي المالكي؛ حماد بن إسحاق: تركة النبي/ 86.

(3) النمازي الشاهرودي؛ الشيخ علي: مستدركات علم رجال الحديث 4/ 141.

ولم أجد له ذكرًا لا في كتب الإمامية ولا مصادر مدرسة الخلفاء.

8/ **محمد بن علي بن الحسين**: قال عنه النمازي في مستدركاته، بعد أن ذكر سليمان بن علي بن الحسين: وقريب منه مزار أخيه سلطان محمد بن السجّاد عليه السلام. وبالطبع فليس المقصود هنا محمد الباقر بن الإمام السجّاد. وربما وصف في بعض الكتب بالأصغر.

9/ **علي بن علي بن الحسين**: وقد ذكره في لباب الأنساب والألقاب والأعقاب[1] بعنوان: «أولاد علي الأطهر ابن زين العابدين علي بن الحسين» كما ذكره مصعبٌ الزبيري في نسب قريش، كما يذكر أبناؤه وأحفاده في جملة الناهضين مع شهيد فخ.

10/ **الحسين بن علي بن الحسين**: ويوصف بالأصغر، لم أجد معلومات عنه سوى وصفه بالأصغر، أو عند الحديث عن أبنائه لا سيما عبد الله (عبيد الله) الملقب بالأعرج.

11/ **عبد الرحمن بن علي بن الحسين**: وقد ذكره الشيخ المفيد في

(1) ابن فندق البيهقي؛علي بن زيد: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب / 44

الإرشاد مقتصرًا على القول: أمه أم ولد. ولعل الشيخ المفيد اعتمد في ذكره وذكر سليمان على ما جاء في مقاتل الطالبيين حيث صرح باسميهما.

**ويذكر من بناته:**

**12/ خديجة بنت علي بن الحسين**: وقد زوجها الإمام بمحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عمر الأطرف عمه) فإنه يذكر أن عمر الأطرف هذا قد خاصم الإمام السجّاد عليه السلام إلى عبد الملك في الولاية على صدقات أمير المؤمنين عليه السلام مع أنها معينة في ولد علي من فاطمة! فلما حكم عبد الملك للإمام دون عمر، تناول عمرُ الإمامَ السجّادَ بما يؤذيه من القول ولم يرد عليه الإمام كعادته وأخلاقه جوابًا، وفي اليوم التالي دخل على الإمام محمد بن عمر الأطرف فسلم عليه وأكب عليه يقبله، فقال الإمام عليه السلام: يا ابن عم لا تمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك فقد زوجتك ابنتي خديجة ابنة علي.[1]

وذكرت خديجة في بعض الراويات عن الإمام الباقر عليه السلام فقد روت عنه قائلة: «سمعت محمد بن علي عليهما السلام يقول: إنما تحتاج المرأة في

(1) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 3/ 308

المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها، ولا ينبغي لها أن تقول هجرًا، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح».[1] كما روت في فضل أمير المؤمنين عليه السلام ما نقله الحافظ الكوفي في مناقبه، بسنده عنها: أنها قالت: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾،[2] قال صلى الله عليه وآله وسلم: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، فجعلها».

**13/ فاطمة بنت علي بن الحسين**: روت عن عمتيها فاطمة وسكينة بنتي الحسين بن علي عليه السلام.. أن فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي عنها، قالت: أنسيتم قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.[3]

كما نقلت ردود فعل أهل البيت على ما عمله المختار من الأخذ بثأر الحسين فقالت: ما تحنّأت امرأة [منّا] ولا امتشطت ولا اكتحلت بعد قتل الحسين حتى بعث المختار برأس عبيد اللّه بن زياد.[4]

وقد ذكر البلاذري قصة والي المدينة معها، وهذه القصة تعرب بوضوح عن حال الحاكمين والولاة مع أشراف الناس فما ظنك بعملهم مع غيرهم؟ وإليك ما نقله البلاذري «لما ولّى يزيدُ بن

(1) الكليني: الكافي1/ 358
(2) الحاقة: 12
(3) ابن الجزري الدمشقي؛ محمد بن محمد: أسنى المطالب في مناقب الإمام علي/ 50
(4) أبو حيان التوحيدي؛ علي بن محمد بن عباس: البصائر والذخائر6/ 187

عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة خطب فاطمة بنت عَلِيّ بْن الْحُسَيْن بْن عَلِيّ بْن أَبِي طالب فأبت وقالت:

ما النكاح من حاجتي! أنا مُشبلة مقيمة على ولدي، فألح عليها الخطبة فقال: والله لئن لَمْ تفعلي لأخذن أكبر ولدك، يعني عَبْد اللَّه بْن حسن بْن حسن بْن علي بن أبي طالب في شراب، ثم لأضربنه على رؤوس الناس، ولأفعلنّ بعد هذا، ولأفعلنّ حتى أفضحك! فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك رسولًا، وكتبت معه كتابًا، فذكرت قرابتها ورحمها، وشكت عبد الرحمن وذكرت ما أرادها عليه، وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه، وقالت: إنما أنا حرمتك واحدى نسائك، والله لو كَانَ التزويج من شأني ما كَانَ لي بكفء». [1]

وأنت ترى هذا الوالي مستعد بأن يفتعل عليه تهمة شرب الخمر، ويجلده الحد علانية، وهكذا سائر تهديداته التي هي من هذا النوع.. ولعله سيتهمها بالفاحشة!

14/ **عُليّة بنت علي بن الحسين**: ذكرها النجاشي فقال: لها كتاب رواه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن القاسم قال حدثنا.. عن زرارة بن أعين عن علية بنت علي بن الحسين بالكتاب. [2]

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 8/ 246. ومشبلة يعني عندي أولاد أربيهم وأرعاهم.
(2) النجاشي؛ أبو العباس: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)/ 304

15/ وقد ذكر في الإرشاد أيضًا اسم أم كلثوم، كما ذكر في المعارف[1] أم موسى، وأم حسن وأشار إلى أنه تزوجهما على التعاقب داود بن علي بن عبد الله بن عباس.. ونحن لا نستبعد أن تكون هذه الأسماء أو بعضها هي نفس الأسماء السابقة بفارق أنها هناك جاءت بالاسم وهنا جاءت بالكنية.

كما نشير أيضًا إلى أنه يوجد ضريح في ضمن مشهد السيد عبد العظيم الحسني في طهران (شهر ري) معروف باسم طاهر بن زين العابدين، وهو ليس ابنًا مباشرًا للإمام علي بن الحسين عليه السلام بالرغم من أن الكثير يتوقعون كونه ابنه المباشر! والصحيح أن بينه وبين الإمام سبعة آباء، فهو «أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر بن يحيى (النسابة) بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان شريفًا جليلًا عالمًا فاضلًا كريمًا ممدَّحًا شهمًا شجاعًا مقدامًا مهيبًا مع الصلاح والورع والتقوى وهو الذي مدحه أبو الطيب المتنبي بالقصيدة البائية التي يقول فيها:

**إذا علوي لم يكن مثل طاهر**

**فما هو إلا حجة للنواصب**

(1) «المعارف» (1/ 216): وأما «أم موسى» بنت عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فتزوّجها: داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وتزوّج «أمّ حسن» أختها بعدها.

**يقولــون تأثيــر الكواكب فــي الورى**
**فمــا بالــه تأثيــره فــي الكواكــب**[1]

وهـذا يؤكـد لنـا فكـرة وهـي أن قسـمًا ممـا ينسـب مـن مشـاهد وأضرحة إلـى أبنـاء المعصومين عليهم السلام، لا يكـون بالضرورة الابن المباشـر للمعصـوم، فـلا ينبغـي المسـارعة إلى نفـي ذلـك نفيًا تامًّـا، وإنمـا ينبغي أن يقـود إلـى البحث فـي أنه هل هـو ابن مباشـر أو ليـس كذلـك. ومثاله مـا هـو مشـهور فـي قـم مـن ضريـح لعلـي بـن الإمـام جعفـر الصـادق، فـإن مـن المتسـالم عليـه أن عليًّا بـن الإمـام جعفـر الصـادق مدفـون في المدينـة ولـه مشـهد معـروف إلـى عهـد قريـب قبـل أن يهـدم مـن جهـة المخالفيـن لبنـاء القبـور. وأن هـذا الموجـود في قـم لا يمكـن أن يكون قبـره، فقـد يكـون قبـر أحـد أحفـاد الإمـام الصـادق عليه السلام أو غيـره.

**زوجاته عليهم السلام:**

قـد سـبق القـول بـأن الزوجـة الحـرة الوحيـدة للإمـام علـي بـن الحسـين السـجّاد كانـت فاطمـة (أم عبـد الله) بنـت الإمـام الحسـن المجتبـى بن أميـر المؤمنيـن عليهم السلام. ولـذا فمن ولـد عنها قد جمع شـرف النسـبين: فمن جهـة الأب هو حسـيني ومـن جهـة الأم حسـني، مثلما كان الإمـام الباقـر عليه السلام، وعبـد الله الباهـر.

(1) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان المدني الشيرازي، ص 543

وعندما تذكر هذه السيدة الهاشمية في الروايات فإنها تذكر بأعلى درجات التكريم، فقد نقل عن حفيدها الإمام الصادق عليه السلام قوله في حقها: «كانت صديقة، لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها» كما روي عن ابنها أبي جعفر الباقر عليه السلام كرامة حصلت لها، فقال: «كانت أمي قاعدة عند جدار، فتصدع الجدار، وسمعنا هدة شديدة، فقالت بيدها: لا وحق المصطفى صلوات الله عليه وآله ما أذن الله لك في السقوط، فبقي معلقًا في الجو حتى جازته، فتصدق عنها أبي بمائة دينار».[1] وقد ذكر ابن الأثير في الكامل[2] أنها توفيت سنة 117 هـ. وهذا يعني أنها توفيت بعد شهادة ابنها الباقر عليه السلام سنة 114 هـ بثلاث سنوات!

وأما باقي نسائه فكن ست جوارٍ وأمهات أولاد. وللأسف فإننا لا نمتلك معلومات عنهن.

(1) الكليني: الكافي1/ 517

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ5/ 195 قال: وفيها (سنة 117) وفيها توفّيت فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب

# ملحق نص رسالة الحقوق

اعْلَمْ[1] رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْكَ حُقُوقًا مُحِيطَةً بِكَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ حركتها [تَحَرَّكْتَهَا] أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنْتَهَا أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزَلْتَهَا أَوْ جَارِحَةٍ قَلَبْتَهَا أَوْ آلَةٍ تَصَرَّفْتَ بِهَا بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ وَأَكْبَرُ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكَ مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَأَصْلُ الْحُقُوقِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَ ثُمَّ مَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ عَلَى اخْتِلَافِ جَوَارِحِكَ فَجَعَلَ لِبَصَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِسَمْعِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِلِسَانِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِيَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرِجْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِبَطْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِفَرْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَهَذِهِ الْجَوَارِحُ السَّبْعُ الَّتِي بِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ ثُمَّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَفْعَالِكَ حُقُوقًا فَجَعَلَ لِصَلَاتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِصَوْمِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِصَدَقَتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِهَدْيِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ثُمَّ تَخْرُجُ الْحُقُوقُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ ذَوِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ وَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقًّا أَئِمَّتُكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثُمَّ

(1) الصدوق: الخصال / 564.

حُقُوقُ رَحِمِكَ فَهَذِهِ حُقُوقٌ يَتَشَعَّبُ مِنْهَا حُقُوقٌ فَحُقُوقُ أَئِمَّتِكَ ثَلَاثَةٌ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ ثُمَّ حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمِلْكِ وَكُلُّ سَائِسٍ إِمَامٌ وَحُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلَاثَةٌ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رَعِيَّةُ الْعَالِمِ وَحَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْمِلْكِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمَا مَلَكْتَ مِنَ الْأَيْمَانِ وَحُقُوقُ رَحِمِكَ كَثِيرَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِقَدْرِ اتِّصَالِ الرَّحِمِ فِي الْقَرَابَةِ فَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ أُمِّكَ ثُمَّ حَقُّ أَبِيكَ ثُمَّ حَقُّ وُلْدِكَ ثُمَّ حَقُّ أَخِيكَ ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ وَالْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ثُمَّ حَقُّ مَوْلَاكَ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مَوْلَاكَ الْجَارِي نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ لَدَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مُؤَذِّنِكَ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ ثُمَّ حَقُّ جَلِيسِكَ ثُمَّ حَقُّ جَارِكَ ثُمَّ حَقُّ صَاحِبِكَ ثُمَّ حَقُّ شَرِيكِكَ ثُمَّ حَقُّ مَالِكَ ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي تُطَالِبُهُ ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطَالِبُكَ ثُمَّ حَقُّ خَلِيطِكَ ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ ثُمَّ حَقُّ مُسْتَشِيرِكَ ثُمَّ حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مُسْتَنْصِحِكَ ثُمَّ حَقُّ النَّاصِحِ لَكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَأَكْبَرُ مِنْكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَأَصْغَرُ مِنْكَ ثُمَّ حَقُّ سَائِلِكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ سَأَلْتَهُ ثُمَّ حَقُّ مَنْ جَرَى لَكَ عَلَى يَدَيْهِ مَسَاءَةٌ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ مَسَرَّةٌ بِذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ عَنْ تَعَمُّدٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ ثُمَّ حَقُّ

أَهْلِ مِلَّتِكَ عَامَّةً ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ ثُمَّ الْحُقُوقُ الْحَادِثَةُ بِقَدْرِ عِلَلِ الْأَحْوَالِ وَتَصَرُّفِ الْأَسْبَابِ فَطُوبَى لِمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى قَضَاءِ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ.

فَأَمَّا حَقُّ اللَّهِ الْأَكْبَرُ فَأَنَّكَ تَعْبُدُهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهُمَا. وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتُؤَدِّيَ إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ وَتَسْتَعِينَ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا حَقُّ اللِّسَانِ فَإِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَى وَتَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ وَحَمْلُهُ عَلَى الْأَدَبِ وَإِجْمَامُهُ إِلَّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا وَإِعْفَاؤُهُ عَنِ الْفُضُولِ الشَّنِيعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي لَا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا وَيُعَدُّ شَاهِدُ الْعَقْلِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَتَزَيُّنُ الْعَاقِلِ بِعَقْلِهِ [وَ] حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوَّهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُكَ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ بَصَرِكَ فَغَضُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَرْكُ ابْتِذَالِهِ إِلَّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَرًا أَوْ تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْمًا فَإِنَّ الْبَصَرَ بَابُ الِاعْتِبَارِ.

وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لَا تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ ولَا تَجْعَلَهَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقِ لَكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لَا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةَ فِي الْآجِلِ وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللَّائِمَةِ فِي الْعَاجِلِ وَلَا تَقْبِضَهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تُوَقِّرُهَا بِهِ تَقْبِضُهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهَا وَتَبْسُطُهَا بِكَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ فِي الْآجِلِ.

وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لَا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الْحَرَامِ وَلَا لِكَثِيرٍ وَأَنْ تَقْتَصِدَ لَهُ فِي الْحَلَالِ وَلا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وَذَهَابِ الْمُرُوَّةِ فَإِنَّ الشِّبَعَ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى التُّخَمِ مَكْسَلَةٌ وَمَثْبَطَةٌ وَمَقْطَعَةٌ عَنْ كُلِّ بِرٍّ وَكَرَمٍ وَإِنَّ الرِّيَّ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مَسْخَفَةٌ وَمَجْهَلَةٌ وَمَذْهَبَةٌ لِلْمُرُوَّةِ.

وَأَمَّا حَقُّ فَرْجِكَ فَحِفْظُهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَالِاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ

الْبَصَرِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالْجُوعِ وَالظَّمَإِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ لِنَفْسِكَ بِاللَّهِ وَالتَّخْوِيفِ لَهَا بِهِ وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ.

حُقُوقُ الْأَفْعَالِ، فَأَمَّا حَقُّ الصَّلَاةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وِفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الذَّلِيلِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمِسْكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعَظِّمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلِينِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ الْمُنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّوْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وَفَرْجِكَ وَبَطْنِكَ لِيَسْتُرَكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَهَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ فَإِنْ سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حَجَبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْجُوبًا وَإِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبُ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَبَاتِ الْحِجَابِ فَتَطَّلِعُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظْرَةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالْقُوَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ لِلَّهِ، لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ تَخْرِقَ الْحِجَابَ وَتَخْرُجَ مِنْهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي

لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرًّا أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْرًا أَعْلَنْتَهُ وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرًّا عَلَى كُلِ حَالٍ وَلَمْ يَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا إِشْهَادَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَأَنَّهَا أَوْثَقُ فِي نَفْسِكَ وَكَأَنَّكَ لَا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْهَدْيِ فَأَنْ تُخْلِصَ بِهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَقَبُولِهِ وَلَا تُرِدْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ دُونَهُ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلِّفًا وَلَا مُتَصَنِّعًا وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرَادُ بِالْيَسِيرِ وَلَا يُرَادُ بِالْعَسِيرِ كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التَّيْسِيرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التَّعْسِيرَ وَكَذَلِكَ التَّذَلُّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّدَهْقُنِ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ وَالْمَئُونَةَ فِي الْمُتَدَهْقِنِينَ فَأَمَّا التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ فَلَا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلَا مَئُونَةَ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُمَا الْخِلْقَةُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

حُقُوقُ الْأَئِمَّةِ، فَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلًى فِيكَ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنْ

تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَنْ لَا تُمَاحِكَهُ وَقَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلَاكِ نَفْسِكَ وَهَلَاكِهِ وَتَذَلَّلْ وَتَلَطَّفْ لِإِعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَى مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلَا يُضِرُّ بِدِينِكَ وَتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِاللَّهِ وَلَا تُعَازِّهِ وَلَا تُعَانِدْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَقْتَهُ وَعَقَقْتَ نَفْسَكَ فَعَرَّضْتَهَا لِمَكْرُوهِهِ وَعَرَّضْتَهُ لِلْهَلَكَةِ فِيكَ وَكُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَكُونَ مُعِينًا لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَشَرِيكًا لَهُ فِيمَا أَتَى إِلَيْكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ فَالتَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا لَا غِنَى بِكَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنْ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ وَتُحَضِّرَهُ فَهْمَكَ وَتُذَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ وَتُجَلِّيَ لَهُ بَصَرَكَ بِتَرْكِ اللَّذَّاتِ وَنَقْضِ الشَّهَوَاتِ وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيمَا أَلْقَى رَسُولُهُ إِلَى مَنْ لَقِيَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيَةِ عَنْهُ إِلَيْهِمْ وَلَا تَخُنْهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدْتَهَا وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمِلْكِ فَنَحْوٌ مِنْ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْلِكُهُ مَا لَا يَمْلِكُهُ ذَاكَ تَلْزَمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَكَ مِنْ وُجُوبِ حَقِّ اللَّهِ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَقِّهِ وَحُقُوقِ الْخَلْقِ فَإِذَا قَضَيْتَهُ رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

حُقُوقُ الرَّعِيَّةِ، فَأَمَّا حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذًا لَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا يَسْتَنْصِرُ فِيمَا تَعَاظَمَهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللَّهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاطَةِ وَالْأَنَاةِ وَمَا أَوْلَاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ شَاكِرًا وَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ أَعْطَاهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ قَيِّمًا فِيمَا آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَوَلَّاكَ مِنْ خِزَانَةِ الْحِكْمَةِ فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِيمَا وَلَّاكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَقُمْتَ بِهِ لَهُمْ مَقَامَ الْخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلَاهُ فِي عَبِيدِهِ الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ رَاشِدًا وَكُنْتَ لِذَلِكَ آمِلًا مُعْتَقِدًا وَإِلَّا كُنْتَ لَهُ خَائِنًا وَلِخَلْقِهِ ظَالِمًا وَلِسَلَبِهِ وَغَيْرِهِ مُتَعَرِّضًا.

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَكَنًا وَمُسْتَرَاحًا وَأُنْسًا وَوَاقِيَةً وَكَذَلِكَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْكُمَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ وَيُكْرِمَهَا وَيَرْفُقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَغْلَظَ وَطَاعَتُكَ لَهَا أَلْزَمَ فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً فَإِنَّ لَهَا

حَقَّ الرَّحْمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَمَوْضِعُ السُّكُونِ إِلَيْهَا قَضَاءُ اللَّذَّةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَذَلِكَ عَظِيمٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ الْيَمِينِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ وَأَنَّكَ تَمْلِكُهُ لَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللَّهِ وَلَا خَلَقْتَ لَهُ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا وَلَا أَجْرَيْتَ لَهُ رِزْقًا وَلَكِنَّ اللَّهَ كَفَاكَ ذَلِكَ بِمَنْ سَخَّرَهُ لَكَ وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِتَحْفَظَهُ فِيهِ وَتَسِيرَ فِيهِ بِسِيرَتِهِ فَتُطْعِمَهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتُلْبِسَهُ مِمَّا تَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفَهُ مَا لَا يُطِيقُ فَإِنْ كَرِهْتَهُ خَرَجْتَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ وَاسْتَبْدَلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الرَّحِمِ، فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً فَرِحَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا أَلَمُهَا وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ وَتَكْسُوَكَ وَتَعْرَى وَتُرْوِيَكَ وَتَظْمَأَ وَتُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وَتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِهَا وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً وَنَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ وَأَنَّكَ فَرْعُهُ وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْمُعَذِّرِ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْتَجِي إِلَيْهِ وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ بِخَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ فَإِنِ انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ.

حُقُوقُ الناس، وَأَمَّا حَقُّ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاءِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَّةِ وَأُنْسِهَا وَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَلَكَةِ وَفَكَّ عَنْكَ حَلَقَ الْعُبُودِيَّةِ وَأَوْجَدَكَ

رَائِحَةَ الْعِزِّ وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الْإِنْصَافِ وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ وَحَلَّ أَسْرَكَ وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ وَمُكَانَفَتِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ فَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ مَا احْتَاجَ إِلَيْكَ أَبَدًا.

وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِرًا وَمَعْقِلًا وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبَبًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النَّارِ فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ ثَوَابُكَ مِنْهُ فِي الْآجِلِ وَيَحْكُمَ لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَاةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ فَإِنْ لَمْ تَخَفْهُ خِيفَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَطِيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْشُرَ بِهِ الْقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنْ أَمْكَنَكَ مُكَافَاتُهُ بِالْفِعْلِ كَافَأْتَهُ وَإِلَّا كُنْتَ مُرْصِدًا لَهُ مُوَطِّنًا نَفْسَكَ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِّرُكَ بِرَبِّكَ وَدَاعِيكَ إِلَى حَظِّكَ وَأَفْضَلُ أَعْوَانِكَ عَلَى قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ

عَلَيْكَ فَتَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِي بَيْتِكَ مُتَّهَمًا لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ مُتَّهِمًا وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ لَا شَكَّ فِيهَا فَأَحْسِنْ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ وَالْوِفَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ وَطَلَبَ فِيكَ وَلَمْ تَطْلُبْ فِيهِ وَكَفَاكَ هَمَّ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَالْمَسْأَلَةَ لَهُ فِيكَ وَلَمْ تَكْفِهِ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ وَإِنْ كَانَ آثِمًا لَمْ تَكُنْ شَرِيكَهُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِ فَضْلٌ فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وَوَقَى صَلَاتَكَ بِصَلَاتِهِ فَتَشْكُرُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْجَلِيسِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ كَنَفَكَ وَتُطِيبَ لَهُ جَانِبَكَ وَتُنْصِفَهُ فِي مُجَارَاةِ اللَّفْظِ وَلَا تُغْرِقَ فِي نَزْعِ اللَّحْظِ إِذَا لَحَظْتَ وَتَقْصِدَ فِي اللَّفْظِ إِلَى إِفْهَامِهِ إِذَا لَفَظْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْجَلِيسَ إِلَيْهِ كُنْتَ فِي الْقِيَامِ عَنْهُ بِالْخِيَارِ وَإِنْ كَانَ الْجَالِسَ إِلَيْكَ كَانَ بِالْخِيَارِ وَلَا تَقُومَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِبًا وَكَرَامَتُهُ شَاهِدًا وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعًا لَا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْأَةٍ لِتَعْرِفَهَا

فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلَا تَكَلُّفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْنًا حَصِينًا وَسِتْرًا سَتِيرًا لَوْ بَحَثَتِ الْأَسِنَّةُ عَنْهُ ضَمِيرًا لَمْ تَتَّصِلْ إِلَيْهِ لِانْطِوَائِهِ عَلَيْهِ لَا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَلَا تَحْسُدْهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ تُقِيلُهُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَلَا تَذْخَرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلَا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سِلْمًا لَهُ تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ وَتعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَإِلَّا فَلَا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَأَنْ تُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ وَتَحْفَظَهُ كَمَا يَحْفَظُكَ وَلَا يَسْبِقَكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَى مَكْرُمَةٍ فَإِنْ سَبَقَكَ كَافَأْتَهُ وَلَا تُقَصِّرَ بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُلْزِمْ نَفْسَكَ نَصِيحَتَهُ وَحِيَاطَتَهُ وَمُعَاضَدَتَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذَابًا وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ فَإِنْ غَابَ كَفَيْتَهُ وَإِنْ حَضَرَ سَاوَيْتَهُ لَا تَعْزِمْ عَلَى حُكْمِكَ دُونَ حُكْمِهِ وَلَا تَعْمَلْ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ تَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَتَنْفِي عَنْهُ خِيَانَتَهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ حِلِّهِ وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي حِلِّهِ

وَلَا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ وَلَا تَجْعَلَهُ إِذَا كَانَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ وَسَبَبًا إِلَى اللَّهِ وَلَا تُؤْثِرَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَعَلَّهُ لَا يَحْمَدُكَ وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يُحْسِنَ خِلَافَتَكَ فِي تَرِكَتِكَ وَلَا يَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ فَتَكُونَ مُعِينًا لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَوْ بِمَا أَحْدَثَ فِي مَالِكَ أَحْسَنَ نَظَرًا لِنَفْسِهِ فَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ رَبِّهِ فَيَذْهَبُ بِالْغَنِيمَةِ وَتَبُوءُ بِالْإِثْمِ وَالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْغَرِيمِ الطَّالِبِ لَكَ فَإِنْ كُنْتَ مُوسِرًا أَوْفَيْتَهُ وَكَفَيْتَهُ وَأَغْنَيْتَهُ وَلَمْ تَرُدَّهُ وَتَمْطُلْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِرًا أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ طَلَبًا جَمِيلًا وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدًّا لَطِيفًا وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لُؤْمٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْخَلِيطِ فَأَنْ لَا تَغُرَّهُ وَلَا تَغُشَّهُ وَلَا تَكْذِبَهُ وَلَا تُغْفِلَهُ وَلَا تَخْدَعَهُ وَلَا تَعْمَلَ فِي انْتِقَاضِهِ عَمَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَبْقَى عَلَى صَاحِبِهِ وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْكَ اسْتَقْصَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلِمْتَ أَنَّ غَبْنَ الْمُسْتَرْسِلِ رِبًا وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقًّا لَمْ تَنْفَسِخْ فِي حُجَّتِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ وَكُنْتَ خَصْمَ نَفْسِكَ لَهُ وَالْحَاكِمَ عَلَيْهَا وَالشَّاهِدَ لَهُ بِحَقِّهِ دُونَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ وَإِنْ كَانَ مَا

يَدَّعِيهِ بَاطِلًا رَفَقْتَ بِهِ وَرَوَّعْتَهُ وَنَاشَدْتَهُ بِدِينِهِ وَكَسَرْتَ حِدَّتَهُ عَنْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَأَلْقَيْتَ حَشْوَالْكَلَامِ وَلَفْظَةَ السُّوءِ الَّذِي لَا يَرُدُّ عَنْكَ عَادِيَةَ عَدُوِّكَ بَلْ تَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَبِهِ يَشْحَذُ عَلَيْكَ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ لِأَنَّ لَفْظَةَ السُّوءِ تَبْعَثُ الشَّرَّ وَالْخَيْرُ مَقْمَعَةٌ لِلشَّرِّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقًّا أَجْمَلْتَ فِي مُقَاوَلَتِهِ بِمَخْرَجِ الدَّعْوَى فَإِنَّ لِلدَّعْوَى غِلْظَةً فِي سَمْعِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَقَصَدْتَ قَصْدَ حُجَّتِكَ بِالرِّفْقِ وَأَمْهَلِ الْمُهْلَةَ وَأَبْيَنِ الْبَيَانِ وَأَلْطَفِ اللُّطْفِ وَلَمْ تَتَشَاغَلْ عَنْ حُجَّتِكَ بِمُنَازَعَتِهِ بِالْقِيلِ وَالْقَالِ فَتَذْهَبَ عَنْكَ حُجَّتُكَ وَلَا يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ دَرَكٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ فَإِنْ حَضَرَكَ لَهُ وَجْهُ رَأْيٍ جَهَدْتَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَشَرْتَ عَلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ وَذَلِكَ لِيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ فَإِنَّ اللِّينَ يُونِسُ الْوَحْشَةَ وَإِنَّ الْغِلَظَ يُوحِشُ مِنْ مَوْضِعِ الْأُنْسِ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَأَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَأْلُهُ خَيْرًا وَلَمْ تَدَّخِرْهُ نُصْحًا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ فَلَا تَتَّهِمْهُ فِيمَا يُوَافِقُكَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ إِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ الْآرَاءُ وَتَصَرُّفُ النَّاسِ فِيهَا وَاخْتِلَافُهُمْ فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالْخِيَارِ إِذَا اتَّهَمْتَ رَأْيَهُ فَأَمَّا تُهَمَتُهُ فَلَا تَجُوزُ لَكَ إِذَا

كَانَ عِنْدَكَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْمُشَاوَرَةَ وَلَا تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إِشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ وَجْهِ مَشُورَتِهِ فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ بِالشُّكْرِ وَالْإِرْصَادِ بِالْمُكَافَاةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزِعَ إِلَيْكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ فَإِنَّ حَقَّهُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي تَرَى لَهُ أَنْ يَحْمِلَ وَيَخْرُجَ الْمَخْرَجَ الَّذِي يَلِينُ عَلَى مَسَامِعِهِ وَتُكَلِّمَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الْكَلَامِ يَعْرِفُهُ وَيُجِيبُهُ وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ النَّاصِحِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ ثُمَّ تَشْرَئِبَّ لَهُ قَلْبَكَ وَتَفْتَحَ لَهُ سَمْعَكَ حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ ثُمَّ تَنْظُرَ فِيهَا فَإِنْ كَانَ وُفِّقَ فِيهَا لِلصَّوَابِ حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَقَبِلْتَ مِنْهُ وَعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُفِّقَ لَهَا فِيهَا رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَأْلُكَ نُصْحًا إِلَّا أَنَّهُ أَخْطَأَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقًّا لِلتُّهَمَةِ فَلَا تَعْنِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْكَبِيرِ فَإِنَّ حَقَّهُ تَوْقِيرُ لِسِنِّهِ وَإِجْلَالُ إِسْلَامِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الْإِسْلَامِ بِتَقْدِيمِهِ فِيهِ وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ لَا تَسْبِقُهُ إِلَى طَرِيقٍ وَلَا تَؤُمُّهُ فِي طَرِيقٍ وَلَا تَسْتَجْهِلُهُ وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ تَحَمَّلْتَ وَأَكْرَمْتَهُ بِحَقِّ إِسْلَامِهِ مَعَ سِنِّهِ فَإِنَّمَا حَقُّ السِّنِّ بِقَدْرِ الْإِسْلَامِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّغِيرِ فَرَحْمَتُهُ وَتَثْقِيفُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَالْعَفْوُ عَنْهُ وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ وَالرِّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ وَالسَّتْرُ عَلَى جَرَائِرِ حَدَاثَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْمُدَارَاةُ لَهُ وَتَرْكُ مُمَاحَكَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ.

وَأَمَّا حَقُّ السَّائِلِ فَإِعْطَاؤُهُ إِذَا تَهَيَّأَتْ صَدَقَةٌ وَقَدَرْتَ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِ وَالدُّعَاءُ لَهُ فِيمَا نَزَلَ بِهِ وَالْمُعَاوَنَةُ لَهُ عَلَى طَلِبَتِهِ وَإِنْ شَكَكْتَ فِي صِدْقِهِ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِ التُّهَمَةُ لَهُ لَمْ تَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ تَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ حَظِّكَ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إِلَى رَبِّكَ وَتَرَكْتَهُ بِسَتْرِهِ وَرَدَدْتَهُ رَدًّا جَمِيلًا وَإِنْ غَلَبَتْ نَفْسُكَ فِي أَمْرِهِ وَأَعْطَيْتَهُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمَسْئُولِ إِنْ أَعْطَى فَاقْبَلْ مِنْهُ مَا أَعْطَى بِالشُّكْرِ لَهُ وَالْمَعْرِفَةِ لِفَضْلِهِ وَاطْلُبْ وَجْهَ الْعُذْرِ فِي مَنْعِهِ وَأَحْسِنْ بِهِ الظَّنَّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ مَنَعَ مَالَهُ مَنَعَ وَأَنْ لَيْسَ التَّرِيبُ فِي مَالِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا لَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ أَوَّلًا ثُمَّ شَكَرْتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ الْجَزَاءِ وَكَافَأْتَهُ عَلَى فَضْلِ الِابْتِدَاءِ وَأَرْصَدْتَ لَهُ الْمُكَافَاةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَمَّدَهَا حَمِدْتَ اللَّهَ وَشَكَرْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْهُ تَوَحَّدَكَ بِهَا وَأَحْبَبْتَ

هَـذَا إِذْ كَانَ سَبَبًا مِـنْ أَسْبَابِ نِعَـمِ اللَّـهِ عَلَيْـكَ وَتَرْجُـو لَـهُ بَعْـدَ ذَلِـكَ خَيْـرًا فَإِنَّ أَسْبَابَ النِّعَـمِ بَرَكَةٌ حَيْـثُ مَـا كَانَـتْ وَإِنْ كَانَ لَـمْ يَتَعَمَّدْ وَلَا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ.

وَأَمَّـا حَـقُّ مَـنْ سَـاءَكَ الْقَضَـاءُ عَلَـى يَدَيْـهِ بِقَـوْلٍ أَوْ فِعْـلٍ فَـإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَـا كَانَ الْعَفْـوُ أَوْلَـى بِـكَ لِمَـا فِيـهِ لَـهُ مِـنَ الْقَمْـعِ وَحُسْـنِ الْأَدَبِ مَـعَ كَبِيـرِ أَمْثَالِـهِ مِـنَ الْخَلْـقِ فَـإِنَّ اللَّـهَ يَقُـولُ وَلَمَـنِ انْتَصَـرَ بَعْـدَ ظُلْمِـهِ فَأُولئِكَ مـا عَلَيْهِـمْ مِـنْ سَـبِيلٍ إِلَـى قَوْلِـهِ لَمِـنْ عَـزْمِ الْأُمُـورِ وَقَـالَ عَـزَّ وَجَـلَّ وَإِنْ عاقَبْتُـمْ فَعاقِبُـوا بِمِثْلِ مـا عُوقِبْتُمْ بِـهِ وَلَئِـنْ صَبَرْتُـمْ لَهُوَخَيْرٌ لِلصَّابِرِيـنَ هَـذَا فِـي الْعَمْـدِ فَـإِنْ لَـمْ يَكُـنْ عَمْـدًا لَـمْ تَظْلِمْـهُ بِتَعَمُّـدِ الِانْتِصَـارِ مِنْـهُ فَتَكُـونَ قَـدْ كَافَأْتَـهُ فِـي تَعَمُّـدٍ عَلَـى خَطَـاءٍ وَرَفَقْـتَ بِـهِ وَرَدَدْتَـهُ بِأَلْطَـفِ مَـا تَقْـدِرُ عَلَيْـهِ وَلا قُـوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ.

وَأَمَّـا حَـقُّ أَهْـلِ مِلَّتِـكَ فَإِضْمَـارُ السَّـلَامَةِ وَنَشْـرُ جَنَـاحِ الرَّحْمَـةِ وَالرِّفْـقُ بِمُسِـيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُـمْ وَاسْـتِصْلَاحُهُمْ وَشُـكْرُ مُحْسِـنِهِمْ إِلَـى نَفْسِـهِ وَإِلَيْكَ فَـإِنَّ إِحْسَـانَهُ إِلَـى نَفْسِـهِ إِحْسَـانُهُ إِلَيْـكَ إِذَا كَفَّ عَنْـكَ أَذَاهُ وَكَفَـاكَ مَئُونَتَهُ وَحَبَـسَ عَنْكَ نَفْسَـهُ فَعُمَّهُـمْ جَمِيعًـا بِدَعْوَتِـكَ وَانْصُرْهُـمْ جَمِيعًـا بِنُصْرَتِـكَ وَأَنْزِلْهُمْ جَمِيعًـا مِنْـكَ مَنَازِلَهُمْ كَبِيرَهُـمْ بِمَنْزِلَـةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُـمْ بِمَنْزِلَـةِ الْوَلَـدِ وَأَوْسَـطَهُمْ بِمَنْزِلَـةِ الْأَخِ فَمَـنْ أَتَـاكَ تَعَاهَدْتَـهُ بِلُطْفٍ وَرَحْمَـةٍ وَصِـلْ أَخَـاكَ بِمَـا يَجِـبُ لِـلْأَخِ عَلَـى أَخِيـهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللَّهُ وَتَفِيَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ وَتُكَلِّمَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طُلِبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنْ مُعَامَلَةٍ وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللَّهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُولِهِ حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا كُنْتُ خَصْمَهُ فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَهَذِهِ خَمْسُونَ حَقًّا مُحِيطَةً بِكَ لَا تَخْرُجْ مِنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَجِبُ عَلَيْكَ رِعَايَتُهَا وَالْعَمَلُ فِي تَأْدِيَتِهَا وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِين.

# المصادر


- بعد القرآن الكريم

تمت الاستفادة في كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام من موقع مكتبة أهل البيت على الانترنت (ablibrary.net) وتمت الاستفادة في كتب مدرسة الخلفاء من تطبيق المكتبة الشاملة.

- ابن الأثير الجزري؛ مبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت طاهر الزاوى، المكتبة العلمية ـ بيروت، 1399هـ.
- ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية 1959 م.
- ابن بَطَّة الحنبلي؛ عبيد الله: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ت رضا معطي وآخرين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت محمد عطا وأخيه، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.

- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة.
- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: فضائل الصحابة، ت وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1983.
- ابن إدريس الحلي؛ محمد بن منصور: كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ابن طاووس؛ السيد عبد الكريم: فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي، السيد تحسين الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، 1998م.
- ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: إقبال الأعمال، ت جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1409.
- ابن طاووس؛ السيد علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى ـ قم.
- ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، ت عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.

- ابن قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات، ت جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي 1417.
- ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ت علي شيري، دار إحياء التراث العربي 1988.
- ابن المقرئ الأصبهاني؛ محمد بن إبراهيم بن علي: المعجم، ت عادل بن سعد، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض ـ 1998 م.
- أبو خيثمة؛ أحمد بن زهير بن حرب: التاريخ الكبير، ت صلاح بن فتحي هَلل، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة 2006م.
- أبو يعلى التميمي؛ أحمد بن علي: مسند أبي يعلى، ت حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق 1404 .
- الأبطحي؛ السيد محمد باقر الموحد: الصحيفة السجّادية الجامعة، ت مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر، قم.
- الأبطحي؛ السيد محمد علي: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، قم 1417.
- الآبي؛ منصور بن الحسين: نثر الدر في المحاضرات، ت خالد محفوظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت 2004م.

- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405 ـ 1985م.
- الأصفهاني: أبو الفرج: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، ت كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف1965م.
- الأصفهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، مصر 1394هـ.
- الأميني؛ الشيخ عبد الحسين أحمد: الغدير دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.
- الأندلسي؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية ـ بيروت1404هـ.
- الأنصاري؛ زكريا بن محمد بن زكريا: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي.
- الألوسي؛ محمود شكري: مختصر التحفة الاثني عشرية، ت محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.
- البحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام محمد الباقر، مؤسسة الإمام المهدي، قم، 1413.

- البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، ت جماعة من العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ.
- البصري؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ت أكرم العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة ـ دمشق، بيروت 1397.
- البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ـ قم، 1399.
- البَلَاذُري؛ أحمد بن يحيى: جمل من أنساب الأشراف، ت سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر ـ بيروت 1996م.
- البغدادي المالكي؛ حماد بن إسحاق: تركة النبي ﷺ، ت أكرم العمري1404هـ.
- البيهقي؛ إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين: معرفة السنن والآثار، ت عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة دمشق، 1412هـ .
- البيهقي؛ علي بن زيد ابن فندق، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، نسخة في تطبيق المكتبة الشاملة.

- التنوخي البصري؛ المحسن بن علي: الفرج بعد الشدة، ت عبود الشالجى، دار صادر، بيروت 1978م.
- التوحيدي؛ أبو حيان، علي بن محمد بن العباس: البصائر والذخائر، ت وداد القاضي، دار صادر ـ بيروت 1408هـ.
- الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: الصحيفة السجّادية الثانية، مؤسسة المعارف الإسلامية ت فارس حسون كريم/ إلكترونية.
- الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، ت علاء الدّين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى تفصيل مسائل الشريعة ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
- الحنفي؛ علاء الدين مغلطاي بن قليج: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت2011 م.
- الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ.
- الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر: الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

- الجزري؛ محمد بن محمد بن محمد: أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، محمد هادي الأميني، نقش جهان طهران.
- الجلالي؛ السيد محمد رضا الحسيني: جهاد الإمام السجّاد، دار الحديث قم 1418هـ.
- الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1990.
- الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله: معرفة علوم الحديث، ت معظم حسين، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1977م.
- الحراني؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: مجموع الفتاوى، ت عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، المملكة العربية السعودية 1416هـ.
- الحميري القمي؛ عبد الله بن جعفر: قرب الإسناد، ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1413.

- حيدر؛ أسد: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار التعارف للمطبوعات2001م.
- الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر كفاية الأثر، ت عبد اللطيف الخوئي، انتشارات بيدار.
- الخوارزمي؛ الموفق بن أحمد المكي: مقتل الحسين عليه السلام، ت محمد السماوي، دار انوار الهدى، قم.
- الخوانساري؛ السيد محمد باقر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، طهران.
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) دفتر نشر برگزيده 1417.
- الدارقطني؛ علي بن عمر: السنن الكبرى، ت شعيب الارنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت 2004م.
- الدارقطني؛ علي بن عمر بن أحمد: فضائل الصحابة ومناقبهم، ت محمد بن خليفة الرباح، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، 1419.
- الدارمي؛ عثمان بن سعيد: الرد على الجهمية، ت بدر البدر، الناشر: دار ابن الأثير ـ الكويت 1416هـ.

- الدميري؛ محمد بن موسى بن عيسى: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.
- الدينوري؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، ت ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت بشار معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 2003.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة 1405.
- الراغب الأصفهانى؛ الحسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم ـ بيروت 1420هـ.
- الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح، ت مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.
- الروحاني؛ السيد محمد صادق: أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، دار زين العابدين قم 2010م.
- الروحاني؛ السيد مهدي الحسيني أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن طرق أهل السنة 1421.

- الزركلي؛ خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين 2002م.
- الزهري، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبير ت علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ 2001م.
- زين العابدين؛ الإمام علي بن الحسين: الصحيفة السجّادية الكاملة، مؤسسة النشر الإسلامي 1404.
- السبحاني؛ الشيخ جعفر: أدوار الفقه الإمامي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم 1424هـ.
- آل سيف؛ فوزي:إمام الإسلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، دار المحجة البيضاء بيروت، 1444.
- آل سيف؛ فوزي: تأملات في آيات الظهور، دار المحجة البيضاء، بيروت.
- آل سيف؛ فوزي: كاظم الغيظ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، دار المحجة البيضاء ـ بيروت 1443.
- آل سيف؛ فوزي: من أعلام الأسرة النبوية، دار المحجة البيضاء بيروت.
- الشافعي؛ محمد بن إدريس: اختلاف الحديث (مطبوع بآخر: كتاب «الأم» للشافعي)، دار الفكر ـ بيروت، 1403 هـ.

- الشافعي؛ محمد بن طلحة: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ت ماجد أحمد العطية.
- شرف الدين الموسوي؛ السيد عبد الحسين: أبو هريرة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ت صبحي الصالح 1967.
- الشهرستاني؛ السيد علي: التسميات بين التوظيف الأموي والتسامح العلوي، مؤسسة الرافد للمطبوعات.
- الشيرازي؛ أبو اسحاق إبراهيم بن علي: طبقات الفقهاء، ت إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1970.
- الشيرازي؛ الشيخ ناصر مكارم: أجوبة المسائل الشرعية، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم 1428.
- الصدر؛ السيد حسن: الشيعة وفنون الإسلام، ت مرتضى المير سجادي، مؤسسة السبطين العالمية قم 1427 هـ.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الإعتقادات، ت مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، 1435.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية النجف 1966.

- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي قم 1405.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: مشيخة الفقيه، ت محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات.
- ضيف؛ د. شوقي: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف، مصر 1976م / نسخة الكترونية.
- الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966م.
- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث ـ قم 1417.

- الطبري؛ محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد: الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية.
- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت 1387.
- الطبري (الشيعي)؛ لمحمد بن جرير: دلائل الإمامة، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم، 1413.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، إيران، 1404 .
- الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم 1411..
- الطهراني؛ الحاج ميرزا أبو الفضل: شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور (فارسي) ت علي موحد ابطحي.
- الظاهري؛ ابن حزم الاندلسي، ت عبد الغفار البنداري، دار الفكر ـ بيروت.
- العاملي؛ السيد جعفر مرتضى دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، مركز جواد للصف والطباعة والنشر والتوزيع، 1993م.

- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند1326هـ.
- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة ـ بيروت، 1379.
- العسقلاني؛ أحمد بن علي ابن حجر: لسان الميزان، ت عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية.
- العسكري؛ السيد مرتضى: أحاديث أم المؤمنين عائشة التوحيد للنشر، 1414 هـ.
- عطاردي؛الشيخ عزيز الله: مسند الإمام السجّاد،انتشارات عطارد، مركز فرهنگي خراسان.
- الغروي؛ الشيخ محمد هادي: عصر الإمام السجّاد، سياسيًا وإجتماعيًا،المؤتمر العالمي للإمام السجّاد ﷺ، موقع مكتبة الفقاهة https://lib.eshia.ir/12390/1/10.
- الفضلي؛ عبد الهادي: تاريخ التشريع الإسلامي، منشورات الغدير.
- القفاري؛ ناصر بن عبد الله بن علي: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1428 هـ.

- القشيري؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة1374 هـ.
- كاشف الغطاء؛ الشيخ علي: أدوار علم الفقه وأطواره، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران إيران.
- الكوفي؛ أحمد بن أعثم: الفتوح، ت علي شيري، دار الأضواء 1411.
- المازندراني؛ بن شهرآشوب؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- المازندراني؛ الشيخ عبد الرسول الفيروزكوهي: شرح زيارة عاشوراء، ت السيّد حسن الدُّرَازي، مكتبة فدك لإحياء التراث.
- المازندراني؛ المولى محمد صالح: شرح أصول الكافي، تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- مالك بن أنس؛ الموطأ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ 1985م.

- المالينـي؛ أحمد بـن محمد الهـروي: الأربعـون في شـيوخ الصوفية، ت عامر صبري، دار البشـائر الإسـلامية، بيروت 1997 م.
- المبـرد؛ أبـو العبـاس محمد بـن يزيـد: الكامـل فـي اللغـة والأدب، ت محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، دار الفكـر العربـي القاهـرة 1997 م.
- المجلسـي؛ المولى محمـد باقر: بحـار الأنوار، مؤسسـة الوفاء ـ بيـروت ـ لبنان 1403.
- المدنـي؛ السـيد علـي خـان: الدرجـات الرفيعـة فـي طبقـات الشـيعة، تقديـم السـيد محمـد صـادق بحـر العلـوم، مكتبـة بصيرتـي قـم.
- المشـهدي؛ محمـد بـن جعفـر: المـزار، ت جـواد القيومـي، مؤسسـة النشـر الإسـلامي قـم 1419.
- المسـعودي؛ علـي بـن الحسـين: إثبـات الوصيـة للإمـام علـي بن أبـي طالـب، انصاريـان ـ قـم 1426.
- المسـعودي؛ علـي بـن الحسـين: مـروج الذهـب ومعـادن الجوهـر، منشـورات دار الهجـرة قـم.
- المفيـد؛ محمـد بـن محمـد بـن النعمـان العكبـري: الإرشـاد فـي معرفـة حجج الله علـى العبـاد، تحقيق مؤسسـة آل البيـت لتحقيق التـراث، دار المفيـد.

- المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر.
- المقرم؛ السيد عبد الرزاق: حياة الإمام زين العابدين، المكتبة الحيدرية، النجف العراق 1424.
- المقريزي؛ تقي الدين أحمد بن علي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ت محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1999 م.
- المكي؛ محمد بن أحمد الحسني: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، ت محمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت.
- الميلاني؛ السيد علي الحسيني: أجلى البرهان ( سلسلة إعرف الحق تعرف أهله )، دار نشر الحقائق، قم 1429.
- الميلاني؛ السيد علي الحسيني: استخراج المرام من استقصاء الإفحام، صداقت ـ قم1425.
- النجاشي؛ أحمد بن علي بن أحمد: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، ت السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران.
- النمازي؛ الشيخ علي الشاهرودي: مستدركات علم رجال الحديث، شفق ـ تهران.

- الهروي؛ عبد الله بن محمد: ذم الكلام وأهله، ت عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، 1418هـ.
- الهروي؛ القاسم بن سلاّم: فضائل القرآن، ت مروان العطية، وآخرين، دار ابن كثير (دمشق ـ بيروت) 1415 هـ.
- الهيتمي؛ ابن حجر أحمد بن محمد:الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ت عبد الرحمن التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة ـ لبنان 1997م.
- اليعقوبي؛ أحمد بن: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
- اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ.

**مجلات ومواقع:**

- مجلة تراث النجف عدد 2 سنة 1434 هـ / الكترونية لوحظت بتاريخ 1/ 4/ 1444 هـ
- مجلة تراثنا ج 58، اصدار مؤسسة آل البيت، قم، ايران
- مصباح الهداية mhedaiat.blogspot.com
- مركز الأبحاث العقائدية https://www.aqaed.com/faq/7995/

# الفهرس

**الإمام السجَّاد من الميلاد إلى الاستشهاد** ..... 8
1/ ولادة الإمام ووالدته ..... 8
2/ مع جده أمير المؤمنين وعمه الحسن عليهما السلام ..... 13
3/ هل هو الأصغر سنًّا أو الأكبر؟ ..... 16
4/ الإمام السجّاد قبيل وأثناء واقعة كربلاء ..... 23
ماذا كان مرض الإمام في يوم عاشوراء؟ ..... 25
5/ الإمام السجّاد وموكب السبي في الكوفة ..... 35
6/ الإمام السجّاد في الشام ..... 37
7/ هل السلام في زيارة عاشوراء عليه أو على الشهيد؟ ..... 39
8/ ظروف إمامة السجّاد عليه السلام وحكام عصره ..... 44
بيت الشَّعر خارج المدينة عنوان المرحلة الأولى ..... 47
حركة أهل المدينة وواقعة الحرة ودور الامام عليه السلام ..... 48
**الأول**: وضع الاضطراب العام (من سنة **64** إلى **73** هـ) ..... 50
**الثاني**: فترة حكم عبد الملك بن مروان: (من 65 85 هـ) ..... 55
9/ الإمام السجّاد وقصة سك النقود ..... 64

**الثالث**: وضع الإمام في حكومة الوليد بن عبد الملك (86 هـ إلى شهادة الإمام) ..... 75
سياسة الوليد وولاته بغض علي وقتل شيعته ..... 81
10/ خاتمة جرائم الوليد تسميم الإمام السجّاد عليه السلام ..... 87
هل هو هشام أو الوليد؟ ..... 91
**من أدوار الإمام السجّاد** عليه السلام ..... 92
إبقاء دروس وحرارة النهضة الحسينية ..... 93
توضيح معالم الدين وتبيين أحكامه وأصوله العقائدية ..... 97
الإمام يواجه خط اللهو والانحراف الأخلاقي ..... 100
**شخصية الإمام السجَّاد في مصادر مدرسة الخلفاء** ..... 108
**الإمام والدعاء والصحيفة السجّادية** ..... 129
**المناجيات الخمس عشرة.. هل هي من دعائه؟** ..... 149
حجج المانعين ..... 154
حجج المؤيدين ..... 155
**الجانب العلمي في حياة الإمام السجّاد** ..... 160
أقوال الفقهاء والعلماء في حقه ..... 167
أسماء من تلامذته والرواة عنه ..... 170
1/ أبان بن تغلب البكري (ت **141** هـ) ..... 171
2/ أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار (ت 150 هـ) ..... 173

3/ سعيد بن جبير الأسدي: (**45 ـ 95 هـ**) ..... 176
4/ القاسم بن محمد بن أبي بكر (**37 ـ 105 هـ**) ..... 178
5/ قيس بن الماصر ومتكلمون آخرون ..... 184
ماذا عن زيد بن أسلم العدوي؟ والحسن البصري؟ ..... 186
الحسن بن (أبي الحسن) يسار البصري (21 ـ 110هـ) ..... 192
**رسالة الحقوق (المسؤوليات والواجبات)** ..... 197
**سيد العابدين وزين العابدين** ..... 202
وأما صومه ..... 210
وأما صدقاته وعطاياه ..... 212
دعاؤه ومناجاته ..... 213
كيف يتسق هذا مع عصمة الإمام؟ ..... 213
**الإمام السجّاد في الواقعة: راوية كربلاء** ..... 219
1/ من خطبه عليه السلام بعد عاشوراء إلى المدينة ..... 226
2/ خطبة الإمام في مجلس يزيد في الشام ..... 228
3/ خطبة الإمام السجّاد على أبواب المدينة ..... 232
**الحياة الأسرية للإمام السجّاد عليه السلام** ..... 235
أولاده: منهم ..... 236
لماذا التسمية باسم عمر؟ ..... 240
زوجاته عليهن السلام ..... 251

ملحق نص رسالة الحقوق ..... 253

المصادر ..... 273

الفهرس ..... 291